ضياء الفرقان في تفسير القرآن

أحمد الشيخ نجم

الجمعية المحمدية للثقافة الدينية والاجتماعية

من الأخرة كما يئسوا من رجوع أصحاب القبور إليهم، و قيل معناه يئسوا كما يئس الكفّار الّذين في القبور أن يرجعوا إلى الدّنيا.

و محصلّ الكلام في الآية هو حثّ المؤمنين و ترغيبهم على العمل الصّالح و أن يؤثروا الأخرة على الدُّنيا و إن يراعوا التَّولي و التَّبري بالنّسبة إلى أولياء اللّه و أعداء اللّه لقولهم عليهم السّلام و هل الدّين إلاّ الحبّ و البغض و كيف يصلح لمن يدّعي الإيمان باللّه و رسوله أن يحبّ أعداء اللّه، ثمّ أنّ اللّه ختم السُّورة بما بدأها من ترك موالاة الكفّار و هى خطاب لحاطب إبن أبي بلتعة و أمثاله فأنّ كفّار قريش قد يئسوا من خير الأخرة كما يئس الكفّار المقبورون من حظّ الأخرة و نعمها.

■

سورة الصف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ وَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ ٱللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيٰنٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَ إِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يٰا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يٰا بَنِىٓ إِسْرٰٓئِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرٰيةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرٰى عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعٰٓى إِلَى ٱلْإِسْلٰامِ وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ ٱللَّهُ مُتِمُّ

نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَ دِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلٰى تِجٰارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ بِأَمْوٰالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهٰارُ وَ مَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَ أُخْرٰى تُحِبُّونَهٰا نَصْرٌ مِنَ ٱللّٰهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا كُونُوٓا أَنْصٰارَ ٱللّٰهِ كَمٰا قٰالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوٰارِيِّينَ مَنْ أَنْصٰارِيٓ إِلَى ٱللّٰهِ قٰالَ ٱلْحَوٰارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصٰارُ ٱللّٰهِ فَاٰمَنَتْ طَّآئِفَةٌ مِنْ بَنِيٓ إِسْرٰآئِيلَ وَ كَفَرَتْ طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا عَلٰى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظٰاهِرِينَ ﴿١٤﴾

◄ اللّغة

سَبَّحَ: التَّسبيح التَّنزيه.

ٱلْعَزِيزُ: الغالب الّذي لا يغلب.

مَقْتًا: المقت بفتح الميم و المقاتة مصدران يقال رجل مقيتٌ إذا لم يحبُّه النّاس و إن شئت قلت المقيت المبغوض.

مَرْصُوصٌ: ما بني بالرّصاص.
زاغُوا: الزَّيغ الذّهاب من الشّئ بإسراع فيه و الأظهر الذّهاب عن الحقّ.
اَفْتَرى: الإفتراء الكذب.
لِيُطْفِؤُا: الإطفاء الإذهاب و المقصود إذهاب نور الإسلام.

◄ الإعراب

أَنْ تَقُولُوا يجوز أن يكون فاعل كَبُرَ أو على تقدير (هو) و أن يكون بدلاً و مَقْتًا تمييز و صَفًّا حال و كذلك كَأَنَّهُمْ و مُصَدِّقًا حال مؤكّدةٌ و العامل فيه رسول مِنَ اَلتَّوْرٰيةِ حال من الضّمير في بَيْنَ و مُبَشِّرًا حال أيضاً و إسمه أحمد، جملة في موضع خبر نعتاً لرسول أو في موضع نصب حال من الضّمير في يأتي بِالْهُدٰى حال من رسول اللّه تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ في موضع جرٍّ على البدل أو في موضع رفع على تقدير هو يغفر لكم، فى جزمه وجهان:

أحدهما: أنّه جواب شرطٍ محذوف تقديره، إن تؤمنوا يغفر لكم.

الثّانى: هو جواب لما دلّ عليه الإستفهام و المعنى هل تقبلون إن دلّتكم وَ أُخْرى في موضعها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه نصب على تقدير و يعطيكم أخرى.

الثّانى: أنّه نصب بتحبُّون و المدلول عليه تحبّونها.

الثّالث: موضعها الرّفع أي و ثمّ أخرى كَمٰا قٰالَ الكاف في موضع نصب أي أقول لكم كما قال.

◄ التّفسير

سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِى اَلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ

قد مضى تفسير هذه الآية في أوّل الحشر و الحديد تفصيلاً.

يٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

خاطب اللّه المؤمنين باللّه و رسوله و قال لم تقولون بألسنتكم، ما لا تفعلون ثمّ قال كبر مقتاً، عند اللّه أي غضباً أن تقولوا ما لا تفعلون، أنّ اللّه تعالى يغضب على من قال بلسانه ولم يعمل به و فى الآية إشارة إلى أنّ المؤمن ينبغي له أن يعمل بما يقول.

قال إبن عبّاس قال عبد اللّه بن رواحة، لو علمنا حبّ الأعمال إلى اللّه لعلمناه فلمّا نزل الجهاد تركوه.

و عن محمّد بن كعب أنّه قال لمّا أخبر اللّه تعالى نبيّه بثواب شهداء بدر قالت الصّحابة اللّهم أشهد لئن لقينا قتالاً لنفرغنَّ فيه و سعنا ففرُّوا يوم أحد فعيَّرهم اللّه بذلك في هذه الآية.

و قال إبن زيد نزلت في المنافقين كانوا يقولون بألسنتهم للنّبي و أصحابه أن خرجتم و قاتلتم خرجنا معكم و قاتلنا فلمّا خرجوا نكصوا عنهم و تخلّفوا و الأقوال كثيرة و الجامع بينها هو القول الأخير و هو أنّ الآية نزلت في النّفاق و ذمّه و قبحه و ذلك لأنّ التّقول بالقول و التّخلف بالعمل من شأن المنافق بل هو عينه إذ لا نعين بالنّفاق إلاّ مخالفة القول العمل و على هذا فالآية بصدد بيان حكم كلّي و هو أنّ المؤمن باللّه و رسوله لا ينبغي أن يكون كذلك و يحتمل أن تكون الآية إشارة إلى الوفاء بالعهد فأنّ المؤمن إذا وعد وفا بعهده و على هذا فمعنى الآية يا أيّها الّذين تدّعون الإيمان و تقولون نحن مؤمنون فأن كنتم كذلك لم تقولون ما لا تفعلون فأنّ هذا ينافي الإيمان، و لعمري أنّ ما قاله اللّه تعالى حقٌّ في حقّ المسلمين من صدر الإسلام إلى يوم القيامة و ذلك لأنّهم لم يفعلوا بما قالوا و بايعوا عليه النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بل خالفوه في حياته فضلاً عن مماته و الأن أيضاً كذلك و من الّذي عمل بما قال أو يعمل بما يقول من صدر

الإسلام إلى زماننا هذا غير المعصومين من أولاد الرَّسول إلاّ ما شذّ و ندر بقدر وسعه و طاقته و أمّا العمل بما قال أو يقول كاملاً فلا نعلم أحداً غير المعصوم و على هذا فأنّ نزول الآية لا يختّص بقوم دون قوم أو شخصٍ دون شخصٍ بل نقول أنّ اللّه تعالى عيَّر في الآية كلّ من إتَّصف بالنّفاق إلى يوم القيامة و هو أي النّفاق و إن شئت قلت مخالفة القول العمل موجود في أكثر المسلمين قلّ أو كثر فثبت و تحقّق أنّ الخطاب في الآية عامٌّ و لا نحتاج إلى ما نقلوه عن إبن عبّاس عن عبد اللّه بن رواحة و أمثاله حيث قال فلمّا نزل الجهاد و تركوه.

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ

البنيان المرصوص البناء المحكم المتلائم الّذي لا خلال فيه شبَّه اللّه تعالى المقاتلين في سبيل اللّه بالبناء الّذي لا خلل فيه في الإستحكام كناية عن إستقامتهم و صبرهم و ثباتهم في الجهاد فهؤلاء الّذين أخبر اللّه أنّه يحبّهم و مفهوم الآية أنّ اللّه لا يحبّ من ليس كذلك كالذّين رجحُّوا الفرار على القرار في غزوة أحد و تركوا رسول اللّه ﷺ بين الأعداء.

وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَ قَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ

أي و إذكر يا محمّد إذ قال موسى إبن عمران لقومه، من بني إسرائيل (لم توذونني) و لا تطيعني فيما أمركم به **وَ قَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ** فأنّ الإنسان العاقل لا يخالف علمه و كانوا يؤذونه فيقولون هذا ساحرٌ كذّاب و يرمونه بالبرص و غير ذلك و يتهمونه بأنواع التُّهم ففي هذه الآية تسليةٌ من اللّه تعالى للنّبي ﷺ و في إيذاء المشركين إيّاه و أنّه ليس هذا أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام بل هذا دأب أبناء الدّنيا و ديدنهم بالنّسبة إلى جميع الأنبياء و في الإسلام إشارة إلى أنّ مخالفة الحقّ لا يختصّ بالجهّال فقط بل

العلماء الذّين يحبُّون الدّنيا و يؤثّرونها على الأخرة أيضاً يخالفون الحقّ و لذلك قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئةٍ** و لا فرق في ذلك بين العالم والجاهل و إلى هذاالمعنى أشار أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة بقوله:

أَمَا وَ اَللّٰهِ لَقَدْ تَقَمصَّهَا ابْنُ اَبِی قُحافَةَ و اِنَّهُ لَيَعْلَمُ اَنَّ مَحَلِّی مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحٰی الخ... .

و ذلك لأنّ مخالفة الحقّ من العالم به أقبح و أشنع من مخالفة الجاهل الّذي لا يعرف الحقّ فأنّ الجاهل إذا كان قاصراً فهو معذور لجهله بخلاف العالم إذ لا عذر له و أنّما خصَّصنا الجاهل بالقاصر لأنّ المقصّر في حكم العامد إذا كان قادراً على معرفة الحقّ ولم يعرفه ثمّ قال تعالى: **فَلَمّٰا زٰاغُوٓا أَزٰاغَ ٱللّٰهُ قُلُوبَهُمْ** أي فلمّا مالوا و أعرضوا عن الحقّ بإختيارهم و سوء سريرتهم أزاغ اللّه قلوبهم أي حكم على قلوبهم بالزّيغ و الميل عن الحقّ و لذلك قال: **وَ ٱللّٰهُ لٰا يَهْدِی ٱلْقَوْمَ ٱلْفٰاسِقِينَ** أي لا يحكم لهم بالهداية لأنّهم صدُّوا سبيل الهداية بإختيارهم، و قال بعضهم معنى الكلام، فلمّا زاغوا و أعرضوا عن الإيمان أزاغ اللّه قلوبهم عن الثّواب يوم القيامة.

وَ إِذْ قٰالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يٰا بَنِیٓ إِسْرٰآئِيلَ إِنِّی رَسُولُ ٱللّٰهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمٰا بَيْنَ يَدَیَّ مِنَ ٱلتَّوْرٰيةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِی مِنْ بَعْدِی ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمّٰا جٰآءَهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ قٰالُوا هٰذٰا سِحْرٌ مُبِينٌ

لمّا أشار اللّه تعالى في الآية السّابقة إلى قصّة موسى إبن عمران و أنّ قومه آذوه و لم يطيعوه حقّ الطّاعة أشار في هذه الآية إلى عيسى إبن مريم الذّي جاء بعد موسى و الغرض من ذكره بعد موسى أنّ الإيذاء من جهّال النّاس بالنّسبة إلى الأنبياء لم يكن مختصّاً بموسى فهذا عيسى إبن مريم إذ قال لبني‌إسرائيل أنّي رسول اللّه إليكم مصدّقاً، نصب على الحال **لِمٰا بَيْنَ يَدَیَّ**

مِنَ ٱلتَّوْرٰيةِ أي أنّي لا أنكر رسالة موسى و أنّ التّوراة كتابه الّذي أنزله اللّه عليه و هو الحقّ لا مرية فيه، و مبشّراً أي أنا أبشّركم برسولٍ يأتي من بعدي إسمه أحمد، و هو نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم **فَلَمّا جٰآءَهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ** أي لمّا جاءهم محمّد كفّار قومه بالبيّنات أي المعجزات قالوا هذا سحرٌ مبين أي واضح، و قيل معنى الكلام لمّا جاء عيسى قومه بالبيّنات و المعجزات قالوا هذا سحرٌ مبين و حاصل الكلام هو أنّ حكم الأمثال واحدٌ.

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرٰى عَلَى ٱللّٰهِ ٱلْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعٰى إِلَى ٱلْاِسْلٰامِ وَ ٱللّٰهُ لٰا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظّٰالِمِينَ

من، إستفهاميّة و المراد به التّكبيت أي لا أحد أظلم على نفسه ممّن إفترى على اللّه الكذب، أي من أظلم ممّن نسب الكذب إلى اللّه و حرض عليه و هو يدعى إلى الإسلام، أي و الحال أنّه يدعى إلى الإسلام يعني الإستسلام لأمره و الإنقياد لطاعته، قيل هو متوجّه إلى كفّار قريش و سائره في جميع الكفّار.

و قال بعض المفسّرين هذا تعجّبٌ ممّن كفر بعيسى و محمّد بعد المعجزات الّتى ظهرت لهما **وَ ٱللّٰهُ لٰا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظّٰالِمِينَ** لعدم قابليّتهم للإهتداء إلى الحقّ.

يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ ٱللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ ٱللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ ٱلْكٰافِرُونَ

لمّا حكم اللّه تعالى بأنّه لا يهديهم علّل ذلك بقوله: **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ ٱللّٰهِ** أي لأنّ الظّالمين لا يريدون إذهاب نور الإسلام فأنّ الإطفاء الإذهاب **وَ ٱللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ** أي نور الإسلام رغماً لأنوفهم **وَ لَوْ كَرِهَ ٱلْكٰافِرُونَ** فأنّ اللّه تعالى قادر على كلّ شيءٍ و لا يقدر أحد على منعه و ردعه عمّا شاء و أراد.

هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَ دِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ

أي أنّ اللّه تعالى هو الّذي أرسل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخلق بالهدى و دين الحقّ من التّوحيد و إخلاص العبادة له و دين الإسلام تعبد فيه الخلق.

لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ قيل و من الإظهار أن لا يبقى دينٌ سوى الإسلام في أخر الزّمان و ذلك إذا نزل عيسى من السّماء لم يكن في الأرض إلاّ الإسلام و قيل معنى ليظهره أي ليطلع محمّداً على سائر الأديان حتّى يكون عالماً بها عارفاً بوجوه بطلانها و بما حرّفوا و غيّروا فيها نقله القرطبي في تفسيره.

و نقل أيضاً عن أبي هريرة أنّه قال ليظهره على الدّين كلّه، بخروج عيسى و حينئذٍ لا يبقى كافرٌ إلاّ أسلم.

أقول فعلى ما ذكره القرطبي يصير معنى الآية أنّ اللّه أرسل رسوله ليطلعه على الأديان و هذا غير معقول و ذلك لقوله تعالى: **بِٱلْهُدٰى وَ دِينِ ٱلْحَقِّ** أي أرسله إلى الخلق ليهتدوا به و ليس معنى دين الحقّ أعني به الإسلام أنّ سائر الأديان كانت باطلة فأنّ إثبات الشّئ لا ينفي ماعداه و كيف يعقل بطلان الأديان و المفروض أنّ جميعها من اللّه تعالى نعم لكلّ دين من الأديان مدّة معيّنة و زمانٍ خاصّ إلاّ دين الإسلام فأنّه باقٍ إلى يوم القيامة و قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **حلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه كذلك** ولذلك يقال أنّ أحكام الإسلام غير قابل للنّسخ إلى يوم القيامة.

أقول و الّذي ظهر لنا من الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام هو أنّ المراد بالنّور في الآية السّابقة في قوله: **لِيُطْفِؤُا نُورَ ٱللّٰهِ** هو الإمام و في بعض أخر هو الولاية و المأل واحد إذ لا نعني بالإمامة إلاّ الولاية و بالعكس و أمّا الإمام بمعناه اللّغوي فلا نقول به.

روى في تفسير نور الثّقلين عن أصول الكافي بأسناده عن أبي الحسن الماضي قال: سألته عن قول اللّه عزّ و جله يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا

نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوٰهِهِمْ قال عليه السلام: يريدون ليطفئوا نور اللّه ولاية أميرالمؤمنين بأفواههم قلت و اللّه متّم نوره، قال عليه السلام: و اللّه متّم الإمامة لقوله تعالى و الذّين أمنوا باللّه و رسوله و النُّور الّذي أنزلناه فالنُّور هو الإمام و ذكر بقية الحديث في صحفة أخرى من هذا الكتاب و هذا لفظه قال قلت هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَ دِينِ ٱلْحَقِّ قال عليه السلام: هو الّذي أرسل رسوله بالولاية لوصيّه و الولاية هي دين الحقّ قلت لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ قال عليه السلام: يظهر على جميع الأديان عند قيام القائم، يقول اللّه و اللّه متّم نوره، و اللّه متّم ولاية أميرالمؤمنين ولو كره الكافرون بولاية عليّ قلت هذا تنزيل قال نعم إمّا هذا الحرف فتنزيل و أمّا غيره فتأويلُ الحديث طويلٌ إنتهى ما نقله.

و أيضاً بأسناده عن أبي الحسن قال سألته عن قول اللّه عزّ وجلّ: يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ قال: ليطفئوا ولاية أميرالمؤمنين بأفواههم.

قلت و اللّه متّم نوره قال عليه السلام: يقول اللّه و اللّه متّم الإمامة و الإمامة هي النُّور و ذلك قوله تعالى: فَاٰمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنْزَلْنَا[1] فقال النُّور هو الإمام إنتهى.

و في تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله: يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ ٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ قال عليه السلام: القائم من أل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حتّى إذا خرج يظهره اللّه على الدِّين كلّه حتّى لا يعبد غير اللّه و هو قوله صلى الله عليه وآله وسلم يملأ الأرض به قسطاً و عدلاً كما ملأت ظلماً و جوراً إنتهى.

١- التّغابن = ٨

و الأحاديث بهذه المضامين كثيرة و أنت إذا تأمّلت في قوله تعالى: **لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ** أي ليظهر الرّسول أو ليظهر الإسلام على الدّين كلّه و المراد بالدّين جميع الأديان لأنّ الدّين مصدر يعبّر به عن جمع و اللاّم فيه للجنس و الجنس يفيد العموم أيضاً و من المعلوم أنّ هذا المعنى لم يتحقّق في حياة الرّسول فما معنى الآية و بعبارةٍ أخرى أخبر اللّه تعالى في هذه أنّ اللّه أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ و هو الإسلام ليظهره أي ليظهر الإسلام على جميع الأديان و هذا معنى ألفاظ الآية.

و لقائلٍ أن يقول من المظهر في هذه الآية فأن كان المظهر هو الرَّسول فأنّا نعلم أنّ الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم مات ولم يظهره على الأديان إلى زماننا هذا و أن كان المظهر هو اللّه فلم لم يظهره في حياة رسوله، و الظّاهر من الآية أنّ المظهر هو الرَّسول و على التَّقديرين لا شكّ في عدم تحقّق ما أخبر اللّه في الآية من ظهور الدّين على جميع الأديان و حيث أنّ اللّه تعالى أخبر بظهوره على الأديان ولم يظهر إلى الآن فلا محالة يظهر في المستقبل ثمّ أنّ المظهر للدّين في المستقبل إن كان غير أولاد الرَّسول سواء كان عيسى إبن مريم أو غيره فهو منافٍ لما أخبره اللّه في الآية لأنّه قال: **أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَ دِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ** لا غير الرّسول فلو كان المظهر في أخر الزّمان هو عيسى أو غيره لذكره في الآية فلا محالة يكون المظهر من أولاد الرَّسول و أوصيائه فأنّ إظهارهم إظهار الرَّسول و قد ثبت أنّ أوصياء النَّبي و خلفاءه أثنى عشر مضى منهم أحد عشر وصّي ولم يظهروه على الدّين كلّه و بقي فيهم واحداً فلا محالة هو المظهر للدّين و إلى هذا أشار النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

لو لم يبق من الدّنيا إلاّ يومٌ واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يخرج من ولدي من إسمه إسمي يملأ اللّه الأرض به قسطاً و عدلاً بعد ما ملأت ظلماً و جوراً.

و هذا هو الإمام القائم المنتظر سلام اللّه عليه و هو المظهر لدين جدّه على جميع الأديان بل نقول أنّ اللّه تعالى خلقه و جعله وصيّاً و أطال عمره و حفظه من شرّ الأشرار و مجوباً عن الأنظار لأجل ما أخبره في الآية و من أصدق من اللّه قيلاً هذا ما فهمناه من الآية و اللّه أعلم.

يٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ٰامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلٰى تِجٰارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ بِأَمْوٰالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

قال بعض المفسّرين نزلت الآية في عثمان بن مظعون و ذلك أنّه قال لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لو أذنت لي لطلقت خولة و ترَّعبت و إختصت و حرَّمت اللّحم و لا أنام بليلٍ أبداً و لا أفطر بنهارٍ أبداً فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **أنّ من سنّتي النكاح و لا رهبّانية في الإسلام أنّما رهبانيّة أمّتي الجهاد في سبيل اللّه و خصاء أمّتي الصّوم و لا تحرّموا طيّبات ما أحلَّ اللّه لكم و من سنّتي أنام و أقوم و أفطر و أصوم فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.** فقال عثمان: واللّه لوددت بانبّي اللّه أيّ التّجارات أحبَّ إلى اللّه فأتّجر فيها فنزلت الأية، و كيف كان يقول اللّه تعالى في هذه الآية مخاطباً للمؤمنين **يٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ٰامَنُوا** باللّه و رسوله و أقرُّوا بتوحيده تعالى و نبّوته صلى الله عليه وآله وسلم **هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلٰى تِجٰارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ** أي مؤلم موجع قيل صورة الكلام صورة العرض و المراد به الأمر و التّجارة طلب الرّبح في شراء المتاع ثمّ أنّ المتاع قد يكون من الماديّات و قد يكون من المعنويّات و يتبعه الثّمن و الرّبح.

و قوله: **تُنْجِيكُمْ** بالتّخفيف على قراءة المشهور و قرأ إبن عامر مشّددة الجيم من باب التّفضيل و المعنى واحد.

تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ بِأَمْوٰالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ كأنّه قال قائلٌ وماهذه التّجارة فقال

تعالى الإيمان باللّه و رسوله، و الجهاد في سبيل اللّه بالمال و النّفس ثمّ قال تعالى ذلكم، أي ما ذكرته لكم **خَيْرٌ لَكُمْ** في الدّنيا و الأخرة إن كنتم تعلمون، فصار الأشياء و منافعها و خيرها و شرّها شبّه اللّه تعالى الإيمان باللّه و رسوله و الجهاد بالأموال و الأنفس في سبيل اللّه بمنزلة المبيع و لا عامل به بمنزلة التّاجر و الثّواب المترتب العمل بمنزلة الثّمن ثمّ حكم بأنّ هذا الثّواب الّذي هو بمنزلة الثّمن يوجب نجاتكم من العذاب الأليم يوم القيامة و أنّما ذلكم خيرٌ لكم لأنّ الأثمان و الأرباح في الدّنيا لا بقاء لها فأنّها فانية و أمّا الثّواب في الأخرة فليس كذلك و لذلك قال لو كنتم تعلمون ثمّ بيّن اللّه تعالى ما يعطي العبد من الرّبح في هذه التّجارة و قال:

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ وَ مَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ

أي متى آمنتم باللّه و رسوله و جاهدتم بأموالكم و أنفسكم، يغفر اللّه لكم ذنوبكم، الّتى حصلت لكم بسبب المعاصي، و يدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار و مساكن طيّبة، لتسكنوا فيها، في جنّات عدنٍ ثمّ حكم اللّه بأن ذلك الجزاء و الثّواب هو الفوز و الفلاح العظيم الّذي لا يوازيه نعمة و قيل الفوز النّجاة من الهلاك إلى النّعيم و الإنصاف إنّ هذه التّجارة من أنفع التّجارات و أحسنها بل لا يقاس بها شئ لأنّ المشتري لهذا البيع هو اللّه تعالى و قد إشتراها بأعلى الثّمن.

وَ أُخْرٰى تُحِبُّونَهٰا نَصْرٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ أخرى معطوفة على تجارة، فهي في محلّ خفضٍ و المعنى و تجارةٌ أخرى، و قيل هى فى محلّ الرّفع أي و لكم خصلة و تجارة أخرى تحبونّها و هى **نَصْرٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ** و قيل هي بدل من أخرى أي و لكم نصرٌ من اللّه و فتحٌ قريب أي و غنيمةٌ في عاجل

الدّنيا و هو فتح مكّة أو فتح فارس و الرُّوم وَ **بَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** بذلك أي بغنيمة الأجل و العاجل.

يَٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوٓا أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَ كَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ

ثمّ أنّ اللّه تعالى خاطب المؤمنين و أمرهم أن يكونوا من أنصار اللّه أي من أنصار دينه فقال: **يَٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا** باللّه و رسوله و اليوم الآخر **كُونُوٓا أَنصَارَ ٱللَّهِ** أي أنصار دينه الّذي إرتضاهم لكم و هو الإسلام فأنصروه بألسنتكم و أموالكم و أنفسكم **كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ** وَ هم خاصّته سمّيت خاصّة الأنبياء حواريّين قيل لأنهُم أخلصوا من كلّ عيبٍ، و قيل لبياض ثيابهم.

و قال إبن عبّاس و كانوا صيّادين للسَّمك و قيل كانوا ضالّين و أحسن الأقوال إن الحواريّين خواصّ الرُّسل و أقرب النّاس إليهم في العبودية لا في النّسب و لكلّ نبيّ حواريّ و حواريّ رسول اللّه ﷺ سلمان و أبوذر و المقداد و حذيفة و امثالهم في رأسهم عليّ‌بن أبي‌طالب هذا عند الخّاصة، و أمّا عند العامّة فهم أبوبكر و عمر و عليّ و طلحة و الزُّبير و سعدبن مالك و أبو عبيدة و إسمه عامر، و أمّا حواريّ عيسى عليه السلام و هم أصفيائه كانوا إثني عشر رجلاً و هم أوّل من آمن به من بني‌إسرائيل **فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَ كَفَرَت طَّآئِفَةٌ** يعني صدّقت بعيسى طائفة منهم و كفرت به طائفة أخرى فأنّ الّتى كفرت هي الّتى قتلت شبيه عيسى و صلبته، و الّتى آمنت هي الّتى قتلت الطّائفة الّتي قتلته و صلبته و إلى ذلك أشار اللّه بقوله تعالى: **فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا** بعيسى **عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ** و هم الّذين قتلوا شبيه عيسى **فَأَصْبَحُوا**

ظٰاهِرِينَ أي فأصبح المؤمنون ظاهرين أي غالبين على الأعداء فأنّ اللّه تعالى ناظر المؤمنين و خاذل الكافرين الظّالمين.

عن أصول الكافي بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال أنّ حوارّي عيسى كانوا شيعته و أنّ شيعتنا حواريّ عيسى عليه السلام بأطوع له من حواريّنا لنا و إنّما قال عيسى من أنصاري إلى اللّه قال الحواريّون نحن أنصار اللّه فلا و اللّه ما نصروه من اليهود و لا قاتلوهم دونه و شيعتنا و اللّه لم يزالوا منذ قبض اللّه عزَّ ذكره رسوله ينصرونا و يقاتلون دوننا و يخوّفون و يحرقون و يعذّبون و يشرّدون في البلاد جزاهم اللّه عنّا خيراً.

و قد قال أميرالمؤمنين عليه السلام: و اللّه لو ضربت خيشوم محبيّنا بالسَّيف ما أبغضونا، و اللّه لو ادنتت إلى مبغضينا و حثوت لهم من المال ما أحبّونا إنتهى.

أقول صدق وليّ اللّه انّ شيعتهم عرفوهم بقدر إستطاعتهم و من عرف الحقّ لا يتّبع الباطل و من عرف النُّور لا يتّبع الظّلمة و السِّر فيه، هو أنّ شيعتهم خلقوا من فاضل طينتهم و لذلك يفرحون لفرحهم و يحزنون لحزنهم.

و قد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام يا علّي: أنت و شيعتك الفائزون يوم القيامة و لذلك تقول شيعتهم بلسان الحال أو المقال:

يا أبا حسن لو أنّ حبَّك مدخلي ... جهنَّم كان الفوز عندي جحيمها
و كيف يخاف النّار من كان موقناً ... بأنّ أميرالمؤمنين قسيمها

■

سُورَةُ ٱلْجُمُعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ
ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
اٰيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ وَ
إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَ اٰخَرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾
ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ وَ ٱللَّهُ ذُو
ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرٰيةَ
ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا
بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِ ٱللَّهِ وَ ٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
هَادُوٓا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ
ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ ﴿٦﴾ وَ لَا
يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ ٱللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ
فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلٰى عٰالِمِ ٱلْغَيْبِ وَ

ٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَ ذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَ ٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَ إِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَ مِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَ ٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

◄ اللّغة

أَسْفَارًا: الأسفار جمع سفر و هى الكتب لأنّها تكشف عن المعنى يقال سفر الرّجل عن عمامته إذا كشف و سفرت المرأة عن وجهها.

بِئْسَ: بكسر الباء من أفعال الذّم يقال بئس الرَّجل زيد.

فَاسْعَوْا: أي فاسعوا و ذروا البيع، أي أتركوا البيع يقال ذرهم أي أتركهم.

فَانْتَشِرُوا: أي تفَّرقوا.

وَ ٱبْتَغُوا: الإبتغاء الطَّلب.

ٱنْفَضُّوٓا: الإنفضاض التَّفرق و التَّشتت.

◄ الإعراب

ٱلْمَلِكِ و ما بعده بالجرّ على النَّعت و بالرَّفع على الإستئناف ٱلْقُدُّوسِ بضمّ القاف و فتحها و هما لغتان ٱلْأُخَرِينَ هو في موضع جرّ عطفاً على الأيتين و

يحمل في موضع الحال من الحمار و العامل فيه معنى المثل بِئْسَ مَثَلُ مثل هذا فاعل بئس (و في الّذين) في موضع جرٍّ تبعاً للقوم، و المخصوص بالذّم محذوف أي هذا المثل، و قيل هو في موضع رفع تقديره بئس مثل القوم مثل الّذين، فمثل المحذوف هو المخصوص بالذّم و قد حذف و أقيم المضاف إليه مقامه فَإِنَّهُ مُلٰاقِيكُمْ الجملة خبر، أن، من يوم الجمعة من بمعنى في، و الجمعة بضمّتين و بإسكان الميم مصدر بمعنى الإجتماع إِلَيْهَا أنّما أنث الضّمير لأنّه أعاده إلىٰ التّجارة و لأنّها كانت أهمّ عندهم.

◄ التّفسير

يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ

قد مضى تفسير هذه الآية غير مرّةٍ و بيّنا وجه التّكرار فيها و خلاصة المعنى أنّ جميع ما في السّموات و الأرض من المخلوق يسبّح و ينزّه اللّه تعالى عمّا لا يليق به و هو المالك المستحقّ للتعظيم بتظهير صفاته اللّه الّذي لا يغلب يفعل ما يشاء على وفق الحكمة و المصلحة.

هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيٰاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتٰابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ وَ إِنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلٰالٍ مُبِينٍ

أي أنّ اللّه الموصوف بالصّفات المذكورة في الآية الشّريفة هو الّذي بعث، و أرسل في الأمّيين، و هم المنسوبون بأمّ القرى يعني أهل مكّة، الأميّون العرب، و الأمّي منسوبٌ إلى أنّه ولد من أمّه لا يحسن الكتابة.

و قال إبن عبّاس العرب كلّهم أميّون من كتب منهم و من لم يكتب لأنّهم لم يكونوا أهل كتاب و قيل الأميّ الّذي يقرأ و لا يكتب و قد مضى الكلام فيه في

سورة البقرة: **رَسُولاً مِنْهُم** يعني محمّداً صلى الله عليه وآله و قوله: **مِنْهُمْ** أي من العرب قيل ما من حيّ من العرب إلاّ و برسول اللّه فيهم قرابة و قد ولدوه.

قال إبن إسحاق إلاّ حيّ تغلب، فأنّ اللّه طهّر نبيّه منهم لنصرانيّتهم فلم يجعل لهم عليه ولادة قال و كان رسول اللّه أميّاً لم يقرأ من كتاب اللّه ولم يتعلّم صلى الله عليه وآله من أحد.

نقل القرطبي عن الماوردي أنّه قال.

فأن قيل ما وجه الإمتنان في أن بعث نبيّاً أميّاً فالجواب عنه من ثلاثة أوجه:

أحدها: لموافقته ما تقدّمت بشارة الأنبياء به.

الثّاني: لمشاكلة حاله أحواله فيكون أقرب لموافقتهم.

الثّالث: لينتفي عنه سوء الظنّ في تعليمه ما دعى إليه من الكتب الّتى قرأها و الحكم تلاها.

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيٰاتِهٖ يعني القرأن **وَ يُزَكّيهِمْ** قيل معناه يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان و قيل يطهّرهم من دنس الكفر و الذُّنوب و قال السُّدي، يأخذ زكوة أموالهم.

أقول التّزكية تطهير القلب عن الأدناس و الأرجاس من الكفر و الحسد و البخل و امثال ذلك فالتّزكية بمنزلة الماء الّذي به تطهير الأشياء عن النّجاسة و قد يعبّر عنها، بعلم الأخلاق **وَ يُعَلِّمُهُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ** قيل معناه يعلّمهم القرأن و السّنة.

و عن إبن عبّاس أنّ المراد بالكتاب الخطّ بالقلم قال لأنّ الخطّ نشأ في العرب بالشّرع لمّا أمروا بتقييده بالخطّ و قال مالك إبن أنس الحكمة الفقه في الدّين.

وَ إِنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلٰالٍ مُبينٍ أي و أن كانوا من قبل البعث لفي ضلالٍ واضح و المراد عهد الجاهليّة فأنّ العرب كانت في عهد الجاهليّة

خارجةٌ عن حدود الإنسانيّة بالكليّة كما شهدت به التّواريخ و قد تكلّمنا فيما مضى في هذا الباب في سورة البقرة و غيرها فلا نعيد الكلام بذكره حذراً عن الإطناب.

وَ ءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

قوله: **وَ ءَاخَرِينَ** عطفٌ على الأمّيّين أي هو الّذي بعث في الأميّين و بعث في أخرين منهم.

قال إبن زيد و مجاهد هم كلّ من بعد الصّحابة إلى يوم القيامة فأنّ اللّه تعالى بعث النّبي منهم و شريعته تلزمهم و أن لم يلحقوا بزمانِ الصّحابة و ذلك لأدلّة الإشتراك في التّكليف فأنّ حلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرامٌ إلى يوم القيامة و قد ختم اللّه النّبوة بنبوّته و الشّرائع بشريعته فلا دين بعد الإسلام إلى يوم القيامة و لازم ذلك متابعة جميع النّاس عن دينه و شريعته:

قال اللّه تعالى: **وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**[1].

فقوله: **لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ** أي لم يكونوا في زمان الصّحابة و سيجيئون بعدهم.

نقل القرطبي في تفسيره لهذه الآية عن صحيح البخاري و مسلم عن أبي هريرة قال كنّا جلوساً عند النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلمّا قرأ صلى الله عليه وآله وسلم وَ ءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال رجلٌ من هؤلاء يارسول اللّه فلم يراجعه النّبي صلى الله عليه وآله وسلم حتّى سأله مرّةً أو مرّتين أو ثلاثاً قال و فينا سلمان الفارسي قال فوضع النّبي يده على سلمان ثمّ قال لو كان الإيمان عند الثُّريا لناله رجال من هؤلاء.

١- آل عمران = ٨٥

و في روايةٍ لو كان الدّين عند الثُّريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس حتّى يتناوله إنتهى.

و روى إبن سعد السّاعدي أنّ النّبي قال: أنّ في أصلاب أمّتي رجالاً و نساءً يدخلون الجنّة بغير حسابٍ ثمّ تلا هذه الآية وَ اٰخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ.

ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰآءُ وَ ٱللّٰهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ

قيل يعني إرسال الرَّسول فضل اللّه و هو نعمة يعطيه من يشاء من خلقه بحسب ما يعلمه من صلاحه و سداده في تحمّل أبناء الرّسالة.

و قال إبن عبّاس حيث ألحق العجم بقريش أي ذلك الإلحاق فضل اللّه، و قيل ذلك إشارة إلى الإسلام الّذي جاء به النّبي يعني الإسلام فضل اللّه يؤتيه من يشاء قاله الكلبي.

و قيل يعني الوحي و النّبوة قاله مقاتل و قيل المال ينفق في الطّاعة

أقول الحقّ أنّ ذلك في الآية إشارة إلى بعث الرُّسل و هو الّذي مرَّ ذكره فالمعنى أنّ إختيار الرَّسول من بين النّاس و إرساله لهداية الخلق من فضل اللّه على عباده و هو عبارة أخرى عن قاعدة اللُّطف و أنّ اللّه تعالى لطيفٌ بعباده، فأنّ فضله عظيمٌ لا نهاية له و حيث أنّه تعالى حكيمٌ عليمٌ فلا يفعل إلاّ ما تقتضيه الحكمة و أنّه على وفق المصلحة و منشأ ذلك رأفته و رحمته وجوده كما ورد «يادائم الفضل على البَّرية».

روي أنّ فقراء المهاجرين أتوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ذهب أهل الدُّثور بالدَّرجات العلا و النَّعيم المقيم فقال صلى الله عليه وآله وسلم و ما ذاك قالوا يصلّون كما نصلّي و يصومون كما نصوم و يتصدّقون كما نتصدّق، و يعتقون و لا نعتق فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقتم و تسبقون به من بعدكم و لا يكون أحد

فضل عليكم إلاّ من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يارسول اللّه فقال ﷺ: تسبّحون و تكبّرون و تحمدون دبر كلّ صلاةٍ ثلاثاً و ثلاثين مرَّةً ففعلوا ذلك.

فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول اللّه و قالوا نسمع إخواننا أهل الأموال ففعلوا مثل ما فعلناه فقال رسول اللّه ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء نقله القرطبي في تفسيره.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرٰيةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِ ٱللَّهِ وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ

حُمِّلوا بضّم الحاء و كسر الميم المشدّدة و ضّم اللاّم بعدها بصيغة المجهول فعل ماضٍ من التّحميل يقال حمَّل يحمِّل تحميلاً و هو التّكليف سمّي التّكليف به لأنّه أي التّكليف مشقّةٌ على العباد و لذلك يقال حمَّله اللّه على عباده و أن كانت فيه مشقّة من حيث العمل به.

و أنّ قوله: **يَحْمِلُ** فهو مضارع و ماضيه حمل يحمل حملاً و هو العمل و معنى ألفاظ الآية **مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرٰيةَ** و هم اليهود كلّفهم اللّه تعالى بالعمل بما في التّوراة من الأحكام **ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا** أى ثمّ لم يعملوا بما فيها **كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** أي مثلهم كمثل الحمار يحمل كتباً كثيرة ثقيلة من مكانٍ إلى مكانٍ أخر بالكدّ و التّعب و لا يعلم بما فيها من العلوم الجليلة النّافعة و ذلك لأنّه حيوان لا عقل له و أنّما خلق لأجل حمل الأثقال على ظهره من غير علم بها و لذلك حمل الكتاب و الحجر و التّراب و أمثالها بالنّسبة إلى الحمار على حدٍّ سواء هذا في الحيوان ممّا لا كلام فيه لأنّه محسوسٌ، فإذا كان الإنسان الّذي هو مكلَّفٌ بمقتضى عقله بالعمل بما في الكتاب يحمل الكتاب و لم يعمل بما فيه فأيّ فرقٍ بينه و بين الحمار في عدم الإنتفاع بما يحمله فأنّ

الإنتفاع بما في الكتاب من العلم به هو وجه الشَّبه في هذا التَّشبيه الّذي ذكره اللّه في الآية و بذلك قد ظهر لنا و لك أنّ الآية و أن كان موردها مختصّاً بعلماء اليهود حيث لم يعلموا بما في التّوراة بل حرّفوها و غيروها عمّا كانت عليه و أخفوا ما بينها من أوصاف النّبي بعد موسى، إلاّ أنّ الحكم في الآية غير مختصّ بهم بل هو عامّ يشمل جميع العلماء الّذين سلكوا مسلكهم في التّغيير و التّبديل و الإخفاء سواء كانوا من اليهود أو من النّصارى أو من المسلمين أو من غيرهم من أهل الأديان فأنّ الملاك في إثبات الحكم هو مقام الإنتفاع بالعلم و هذا موجود فيهم على الفرض، فأنّك لا تجد في الأديان ديناً سالماً عن الخرافات و الأوهام الباطلة الّتى لا يعقلها العقل السليم و المقصر في ذلك هو علماؤهم الّذين كانوا متلبّسين بلباس العالم الدِّيني لا غيرهم من أصناف الأمّة فأنّ البدعة و هى إدخال ما ليس من الدّين في الدّين لا يقدر عليها أحد إلاّ العالم بالدِّين في نظر العوام فأنّهم أي العوام كالأنعام لا يقبلون الحكم إلاّ ممّن يتزيّن بزيّ العلم في ظاهر الأمر و لازم ذلك تحريف الكتاب أو تأويل الأيات لأنّ المبدع لابدّ له من إنتساب حكمه إلى الكتاب و السنّة فلو قال أنا أقول ذلك من نفسي لم يقبلوا منه قطعاً و هذا داءٌ معضل سرى إلى جميع الأديان من اليهود و النّصارى و المجوس و غيرها حتّى الإسلام و لتفصيل الكلام فيه موضع أخر.

فأن قلت الحكم في الآية مختصّ باليهود لأنّهم حرّفوا التّوراة و غيَّروها و بدَّلوا أحكامها لا غيرهم من توابع الأديان فأنّ المسلمين لم يحرّفوا القرأن بإجماع الأمّة.

قلت نعم و لكن النّصارى حرَّفوا الإنجيل و بدَّلوا أحكامه هذا أوّلاً.

ثانياً: ليس البحث في تحريف الكتاب و الآية ساكتة عنه و أنّما البحث في العمل بكتاب اللّه فأنّ اللّه تعالى لم يقل مثل الّذين حرّفوا أو بدَّلوا التّوراة بل

قال مثل الّذين حمّلوا التّوراة ثمّ لم يحملوها، أي كلّفوا بالعمل بها ثمّ لم يعملوا بها و هذا هو وجه الشّبه في التّشبيه في الآية و هو يعني عدم العمل بالكتاب و أحكامه لا يختصّ باليهود بل هو من الأمراض المسرية إلى جميع الأديان حتّى الإسلام و من الّذي يدّعي أنّ المسلمين الّذين حمّلوا القرأن عملوا بما فيه من الأحكام و هذا هو الحكم الهام الّذي سرى إلى جميع أتباع الأديان فقوله تعالى: **بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ** المراد بالتّكذيب ليس التّكذيب باللّفظ فقط بل التّكذيب لساناً و عملاً و حيث أنّ المكذّب يظلم على نفسه بترك العمل بالكتاب فهو من الظّالمين و اللّه تعالى لا يهدي الظّالمين أي لا يحكم بهدايتهم و لا يرشدهم إلى طريق الجنّة لعدم قابليّتهم للإهتداء.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ

خاطب اللّه تعالى اليهود الّذين زعموا أنّهم أولياء اللّه و أحبّائه.

قال **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا** و هم اليهود **إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ** كما تدّعون ذلك و تقولون نحن أبناء اللّه و أحبّائه من دون النّاس **فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ** في إدّعائكم هذا، و الأولياء جمع وليّ و هو الحقيق بالنُّصرة الّتى يوَّليها عند الحاجة فاللّه وليّ المؤمنين لأنّه يوليهم النُّصرة عند حاجتهم و المؤمن وليّ اللّه لهذه العلّة، و لمّا إدَّعوا الولاية قال تعالى لهم فتمنُّوا الموت أي إن كنتم تظنُّون على زعمكم أنّكم أولياء اللّه و أنصاره و أنّ اللّه ينصركم كما عرفت في معنى الوليّ فتمنوّا الموت، إذا المفروض أنّ اللّه ينصركم بزعمكم إن كنتم صادقين في إدّعائكم الولاية.

وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ ٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالظَّٰلِمِينَ

أي يتّمنون الموت أبداً بما قدّمت أيديهم من الأعمال القبيحة و الشّرك باللّه و أنواع الظّلم و المعاصي و هو أي عدم تمنّي الموت دليلٌ على كذب إدّعائهم الولاية، و اللّه عليمٌ بالظّالمين، أي أنّ اللّه عالمٌ بأحوال الظّالمين و لا يخفى عليه شيء من أعمالهم و نيّاتهم و أقوالهم.

قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

أي قل يامحمّد لهؤلاء اليهود **إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ** لخوفكم من تبعاته و نكباته **فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ** لا يمكن الفرار منه فأنّ المخلوق حادث و كلّ حادثٍ مسبوق بالعدم و كلّ مسبوق بالعدم ملحوقٌ به أيضاً قال اللّه تعالى: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَ يَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَ ٱلْإِكْرَامِ**[1] و على هذا فلكلّ مخلوق أجلٌ معيّن في اللّوح المحفوظ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ**[2] هذا كلّه مضافاً إلى أنّ الموت ليس أمراً وجوديّا بل هو أمرٌ عدميّ أعني به عدم الحياة و نحن نرى بالحسّ و العيان تحققه لكلّ مخلوق، قال اللّه تعالى: **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ ٱلْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**[3] فالفرار منه لا معنى له عقلاً **ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهَادَةِ** و هو عالم الآخرة **فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** به في الدّنيا من خيرٍ أو شرٍّ و الأنباء الأخبار أي يخبركم فيها بما عملتم به في دار الدّنيا و اللّه تعالى يجازيكم عليه و في هذه الآية أخبار بأنّ الحساب و الثّواب و العقاب حتمٌ على العباد بعد الموت **لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ**[4].

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَ ذَرُوا ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

١- الرّحمن = ٢٧ / ٢٦
٢- النّحل = ٦١
٣- النّساء= ٧٨
٤- الصّافات = ٦١

قال الشّيخ في التّبيان معناه إذا سمعتم آذان يوم الجمعة فأمضوا إلى الصلّوة.

قال قتادة مسرعين غير متثاقلين و قال الزّجاج فأمضوا إلى السَّعي الّذي هو الإسراع، قرأ بعضهم **الجُمعَة** بضمّ الجيم و إسكان الميم و قرأ الأكثر بضمّ الجيم و الميم و عليها المصاحف و هو المشهور و كيف كان، هما أي ضمّ الميم و إسكانها، لغتان و جمعهما، جمع و جمعات و أجاز الفّراء قراءة الجمعة بفتح الميم ليكون صفة اليوم أي تجمع النّاس.

و قال إبن عبّاس نزل القرآن بالتّثقيل و التّفخيم فقرؤها **جُمعَة** بضمّتين و قال الفّراء و أبو عبيدة التّخفيف أحسن و أقيس يعني إسكان الميم نحو، غرفة و غرف و طرفة و طرف قيل إنّما سمّيت جمعة لأنّ اللّه تعالى جمع فيها خلق آدم.

و قيل لأنّ اللّه فرغ فيها من خلق كلّ شئ فأجتمعت فيها المخلوقات لتجتمع الجماعات فيها، و قيل لإجتماع النّاس فيها للصّلوة و كلمة (من) في يوم الجمعة بمعنى (في) أي في يوم الجمعة و أستدلُّوا على ذلك، بقوله تعالى: **أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ**[1] أي في الأرض.

أقول الحقّ أنّ كلمة (من) ليست بمعنى (في) بل هي بمعنى التّبعيض أي بعض، يوم الجمعة و ذلك لأنّ النّداء للصّلاة أعني به الأذان في بعض اليوم و هو أوّل الزّوال لا قبله و لا بعد و من المعلوم أنّ زوال الشّمس في بعض اليوم لا في كلّه فأيّ إحتياج إلى كون (من) بمعنى في، ولو كان الأمر كما ذكروه لقال تعالى في يوم الجمعة، و الآية الاتى يستدلُّوا بها على المدّعى أيضاً كذلك و المعنى أروني ماذا خلقوا من الأرض أي من أجزائها و أبعاضها و لعمري أنّ ما ذكرته لا يخفى حسنه على المنصف و اللّه أعلم.

١- فاطر = ٤٠

إذا عرفت هذا فنقول خاطب اللّه المؤمنين في هذه الآية و قال لهم يا أيّها الّذين أمنوا باللّه و رسوله **إِذٰا نُودِيَ لِلصَّلٰوةِ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ** النّداء كناية عن الأذان و هو الإعلام بدخول وقت الصّلاة **فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِ ٱللّٰهِ** الذّكر في الآية الصّلاة لأنّ فيها ذكر اللّه بل هي أي الصّلاة ذكرٌ بعينها و أيّ ذكر أحسن و أكمل من ذكر الصّلاة فأنّها ذكرٌ من أوّلها إلى أخرها **وَ ذَرُوا ٱلْبَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** أي أتركوا البيع عند النّداء للصّلاة من يوم الجمعة ذلكم، أي ما ذكرناه من السّعي إلى الصّلاة و ترك البيع خيرٌ لكم في الدّنيا و الأخرة أن كنتم تعلمون منافعه في الدّارين هذا تفسير ألفاظ الآية و في المقام أبحاثٌ ينبغي التّنبيه عليها:

الأوّل: قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية قال أبو سلمة أوّل من قال (أمّا بعد) كعب إبن لؤي و كان أوّل من سمّى الجمعة جمعة و كان يقال قبل ذلك ليوم الجمعة العروبة، و قيل أوّل من سمّاها الأنصار.

قال إبن سيرين جمع أهل المدينة من قبل أن يقدم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة و قبل أن تنزل الجمعة و هم الّذين سمّوها الجمعة و ذلك لأنّهم قالوا أنّ لليهود يوماً يجتمعون فيه في كلّ سبعة أيّامٍ يومٌ و هو السّبت و للنّصارى يوم مثل ذلك و هو الأحد فتعالوا فنجتمع حتّى نجعل يوماً نذكر اللّه و نصلّي فقالوا يوم السّبت لليهود و يوم الأحد للنّصارى فأجعلوه يوم العروبة فإجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلّى بهم يومئذٍ ركعتين و ذكّرهم فسمّوه يوم الجمعة حين إجتمعوا فذبح لهم أسعد شاةً فتعشّوا و تغدّوا منها لقلّتهم فهذا أوّل جمعةٍ في الإسلام.

و روى البيهقي عن إبن شهاب الزّهري أنّ مصعب بن عمير كان أوّل من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل أن يقدمها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و يحتمل أن يكون مصعب بن عمير جمع بهم بمعونة أسعد بن زرارة فأضافه كعب إليه و اللّه أعلم.

و أمّا أوّل جمعة جمعها النّبي بأصحابه فقال أهل السّير قدم رسول اللّه ﷺ مهاجراً حتّى نزل (بقباء) على بني‌عمرو بن عوف يوم الأثنين لأثنى عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأوّل حين إشتدّ الضّحى و من تلك السّنة يعدّ التّاريخ فأقام بقباء إلى يوم الخميس و أسّس مسجدهم ثمّ خرج يوم الجمعة إلى المدينة فأدركته الجمعة في بني‌سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم قد إتّخذ القوم في ذلك الموضع مسجداً، فجمع بهم رسول اللّه ﷺ و خطب و هى أوّل خطبةٍ خطبها بالمدينة و قال ﷺ فيها:

الحمد للّه، أحمده و أستعينه و أستغفره و أستهديه و أؤمن به و لا أكفره و أعدي من يكفر به و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله أرسله بالهدى و دين الحقّ و النُّور و الموعظة و الحكمة على فترةٍ من الرُّسل و قلّةٍ من العلم و ضلالةٍ من النّاس و إنقطاعٍ من الزّمان و دنوٍ من السّاعة و قربٍ من الأجل من يطع اللّه و رسوله فقد رشد و من يعص اللّه و رسوله فقد غوى و فرّط و ضلّ ضلالاً بعيداً أوصيكم بتقوى اللّه فأنّه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضّه على الأخرة و أن يأمره بتقوى اللّه لمن عمل به على وجلٍ و مخافةٍ من ربّه عون صدقٍ على ما تبغون من الأخرة و من يصلح الّذي بينه و بينه من أمبره في السِّر و العلانية لا ينوي به إلاّ وجه اللّه يكن له ذكراً في عاجل أمره و ذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم و ما كان ممّا سوى ذلك يوّد لو أنّ بينه و بينه أمداً بعيداً وَ يُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَ ٱللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ هو الّذي صدق قوله و أنجز وعده لا خلف لذلك فأنّ يقول: مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَ مَآ أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فإتّقُوا اللّه في عاجل

أمركم وآجله في السّر و العلانية وَ مَنْ يَتَّقِ اَللّٰهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئٰاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا و من يتّق اللّه فقد فاز فوزاً عظيماً، فأنّ تقوى اللّه توّقي مقته و توّقي عقوبته و توّقي سخطه و أنّ تقوى اللّه تبّض الوجوه و ترضي الرَّب و ترفع الدّرجة فخذوا بحظّكم و لا تفّرطوا في جنب اللّه فقد علَّمكم كتابه و نهج لكم سبيله (ليعلم الّذين صدقوا و ليعلم الكاذبين) فأحسنوا كما أحسن اللّه إليكم و عادوا أعدائه و جاهدوا في اللّه حقّ جهاده هو إجتباكم و سمّاكم المسلمين ليهلك من هلك عن بيّنةٍ و يحيا من حيّ عن بيّنةٍ و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه فكثروا ذكر اللّه تعالى و أعملوا لما بعد الموت فأنّه من يصلح ما بينه و بين اللّه يكفه اللّه ما بينه و بين النّاس ذلك أنّ اللّه يقضي علىٰ النّاس و لا يقضون عليه و يملك من النّاس و لا يملكون منه اللّه أكبر و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلّي العظيم إنتهى.

أقول و أنّما ذكرنا الخطبة بتمامها لما فيها من المواعظ و الحكم ما لا يخفى على أحدٍ و أيّة موعظةٍ بعد موعظة اللّه أحسن و أنفع من موعظة الرّسول الّذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌّ يوحى.

الثّاني: أنّ المراد بالسَّعي المضيّ و الذّهاب كما قاله الأكثر و قيل المراد به الإسراع كما يرشد إليه الأمر بترك البيع.

ففي رواية جابر إبن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له قول اللّه عزّ و جلّ: فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِ اَللّٰهِ قال عليه السلام: أعملوا و عجلّوا فأنّه يومٌ فضيّقٌ على المسلمين و ثواب أعمالهم على قدر ما ضيق عليهم و الحسنة و السَّيئة تتضاعف فيه إنتهى.

الثّالث: لا خلاف عند الفقهاء أن صلاة الجمعة واجبة على كلّ مسلمٍ وجوباً عينيّاً.

فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: أنّ اللّه عزّ وجلّ فرض في كلّ سبعة أيّامٍ خمساً و ثلاثين صلاة واجبة على كلّ مسلمٍ أن يشهدها إلاّ خمسة، و المريض و المملوك و المسافر و المرأة و الصَّبي إنتهى.

و عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: أنّما فرض اللّه عزَّ و جلَّ على النّاس من الجمعة إلى الجمعة خمساً و ثلاثين صلاة منها صلاة واحدة فرضها اللّه في جماعة و هى الجمعة و وضعها عن تسعة، عن الصَّغير و الكبير و المجنون و المسافر و العبد و المرأة و المريض و الأعمى و من كان على رأس أزيد من فرسخين.

الرّابع: لا تنعقد صلاة الجمعة في أقلَّ من خمسة أو سبعة على إختلافٍ في العدد و الأشهر فيه الأوّل.

لما رواه منصور بن حازم عن أبي عبد اللّه قال عليه السلام: يجتمع القوم يوم الجمعة إذا كانوا خمسة فما زاد كانوا أوَّل من خمسة فلا جمعة لهم و الجمعة واجبة على كلّ أحد لا يقدَّر النّاس فيها إلاّ خمسة، المرأة و المملوك و المسافر و المريض و الصَّبي إنتهى.

و نحو ذلك من الأخبار الصّريحة الدّالة على وجوب العيني و قد إشتهر بين الأصحاب توقّف وجوبها على حضُور الإمام أو نائبه الخاصّ، بل أسنده في المعتبر إلى علماؤنا مؤذناً بدعوى الإجماع وبه قال جمع من العامّة كأبي حنيفة هذا كلّه في زمان الحضور أي حضور الإمام المعصوم و أمّا في عصر الغيبة كزماننا هذا فذهب جماعة من الفقهاء منهم الشّيخ في الخلاف و المبسوط إلى الوجوب التّسخيري بينها و بين الظُّهر بمعنى أنّ المكلّف في زمان الغيبة مخيّرٌ بينهما و بين صلاة الظُّهر، و ذهب قوم إلى عدم الجواز قال بعض المحقّقين و الّذي يظهر من بعض الأخبار هو عدم توقّف الوجوب على

حضور الإمام أو نائبه الخاصّ و يكفي في وجوبها حضور إمامٍ عدلٍ يحسن بالخطبة و لا يشترط كونه فقيهاً جامعاً لشرائط الفتوى فضلاً عن الإمام المعصوم و تفصيل الكلام في هذا الباب موكولٌ إلى الفقه.

الخامس: يشترط في صلاة الجمعة العدد و هو على المشهور خمسة أحدهم الإمام وفاقاً للأكثر و اقتصاراً في تقييد الآية على موضع الوفاق و لدلالة الأخبار الصَّحيحة على ذلك.

فعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: لا تكون الخطبة و الجمعة صلاة ركعتين على أقلّ من خمسة رهطٍ، الإمام و أربعة إنتهى.

و ممّا يشترط فيها الخطبتان قبل الصّلاة، و الجماعة فلا تصّح فرادى، و السُّكوت عند قراءة الخطبة للمصلّي و غيرها ممّا هو مذكور في الكتب الفقهيّة و الرّسائل العمليّة.

السّادس: قوله تعالى **وَ ذَرُوا ٱلْبَيْعَ** هل النّهي يدلّ على تحريم البيع أو لا يدلّ فقال بعضهم أنّ البيع الواقع في أثناء السَّعي محرّمٌ و ذلك لأنّه وقع بعد النّداء و تعلّق به النَّهي قال في التّذكرة و عليه إجماع العلماء كافّة.

و قال ابن بابويه كان بالمدينة إذا أذَّن المؤذّن يوم الجمعة نادى منادٍ حرم البيع لقوله تعالى: **إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ** و الحقّ أنّ البيع ليس بحرامٍ لعدم منافاته للسَّعي إليها. أمّا غير البيع من العقود و المعاملات فهو غير محرّمٍ قطعاً إلاّ على القول بالقياس و نحن لا نقول به ثمّ فرض تحريم البيع هل هو باطلٌ أو لا فقال بعضهم بالبطلان و الحقّ عدمه لأنّ النّهي في المعاملات لا يدلّ على الفساد و إنّما يدلّ عليه في العبادت فلا منافاة بين أن يكون الفعل حراماً و البيع صحيحاً و لتفصيل الكلام في هذه المسائل موضع أخر، فتحصّل من جميع ما ذكرناه أنّ صلاة الجمعة في زمان الحضور واجب عيناً على جميع المكلّفين عدا ما

إستثنى من المرأة و المملوك و المريض و المسافر و أمّا في زمان الغيبة فليس كذلك، و فيها قولان:

الوجوب التّسخيريّ، و عدم الجواز مطلقاً و أمّا قوله تعالى: **ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** أي ذكر اللّه و السّعي و ترك البيع خيرٌ لكم لأنّ فيها نفع الأخرة و هو خيرٌ و أبقى من الدّنيا و ما فيها من النّفع فأنّ ما عندكم ينفد و ما عند اللّه باقٍ و الباقي غيرٌ من الفاني و هذا ظاهرٌ.

فَإِذٰا قُضِيَتِ ٱلصَّلٰوةُ فَانْتَشِرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَ ٱبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ ٱللّٰهِ وَ ٱذْكُرُوا ٱللّٰهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

المراد بقضاء الصّلاة في الآية فعلها أي إذا فرغتم من الصّلاة و فيها دلالة على كون المراد بالذّكر في قوله فأسعوا إلى ذكر اللّه هو الصّلاة، و قوله فأنتشروا في الأرض، فالإنتشار التّفرُّق و المعنى بعد الفراغ من الصّلاة تفرّقوا في الأرض فليذهب كلّ واحدٍ من المصلّين إلى ما شاء و أراد.

وَ ٱبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ ٱللّٰهِ وَ فالإبتغاء من فضل اللّه هو طلب رزقه على وجهٍ مباح و فيه إشارة إلى أنّ الأرزاق كلّها منه تعالى كما دلّت عليه أيات أخر و في تفسير علّي بن إبراهيم يعني إذا فرغتم من الصّلاة فأنتشروا في الأرض يوم السَّبت.

فقد روي عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال: الصّلاة يوم الجمعة و الإنتشار يوم السَّبت.

و عن المحاسن بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه تعالى: فَإِذٰا قُضِيَتِ ٱلصَّلٰوةُ قال عليه السلام: الصّلاة يوم الجمعة و الإنتشار يوم السَّبت و قال السَّبت لنا و الأحد لبني أميّة.

و روي السَّبت لبني هاشم و الأحد لبني أمّية فإتّقوا أخذ الأحد.

و في عيون الأخبار بأسناده عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: السّبت لنا و الأحد لشيعتنا و الأثنين لبني أميّة و الثلثاء لشيعتهم و الأربعاء لبني العبّاس و الخميس لشيعتهم و الجمعة لسائر النّاس جميعاً و ليس فيه سفر قال اللّه تعالى: فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ يعني يوم السّبت.

و أمّا قوله: **ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** أي و أذكروا اللّه كثيراً على إحسانه إليكم بالتّوفيق و الألطاف، أو أذكروه في تجاراتكم و أسواقكم أو أذكروا أوامره و نواهيه عند طلب الرّزق فلا تأخذوا إلاّ ما أحلّ، و الظّاهر من الآية أنّ المراد بالذّكر هو على جميع الأحوال ليخرجوا بذلك عن الغافلين و يكونوا من الفائزين بالفلاح و الثّواب و النّعيم فأنّ ذكر اللّه حسنٌ على كلّ حالٍ قال اللّه تعالى: **أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ**[1].

وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِنْدَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِنَ ٱللَّهْوِ وَ مِنَ ٱلتِّجَارَةِ وَ ٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ

عن غوالي اللّئالئ روى مقاتل بن سليمان و مقاتل بن قبا قالا، بينا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية الكلبي من الشّام بتجارةٍ و كان إذا قدم لم يبق في المدينة عائقٌ إلاّ أتته و كان يقدم إذا قدم بكلّ ما يحتاج إليه النّاس من دقيقٍ و برٍّ ثمّ يضرب الطّبل ليؤذن النّاس بقدومه فيخرج النّاس فيبتاعوا منه فقدم ذات جمعة و كان قبل أن يسلم رسول اللّه يخطب على المنبر فخرج النّاس فلم يبق في المسجد إلاّ أثنى عشر رجلاً.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: لولا هؤلاء لسوّمت لهم الحجارة من السّماء.

١- الرّعد = ٢٨

و في روايةٍ أخرى قال صلى الله عليه وآله وسلم: لو تتابعتم حتّى لا يبقى أحدٌ منكم لسأل بكم الوادي ناراً.

و عن إبن كيان أنّ الّذين بقوا أحد عشر و عن إبن عبّاس ثمانية، و يقال لكلّ ما ألهى عن ذكر اللّه و المراد به هنا الطَّبل.

روي في الفقيه و الخصال فيما أوصى به النّبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً، يا علّى: ثلاث يقسين القلب، إستماع اللّهو، و طلب الصَّيد، و إتيان باب السُّلطان إنتهى.

و عن أبي الحسن الأوّل قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: أربع خصالٍ يفسدن القلب و ينبتن النّفاق في القلب كما ينبت الماء الشَّجر، إستماع اللّهو و البذا، و إتيان باب السُّلطان و طلب الصَّيد إنتهى.

و عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: لهو المؤمن في ثلاثة أشياء، التَّمتع بالنّساء و مفاكهة الأخوان، و الصّلاة باللّيل إنتهى.

و المراد بالتّجارة في الآية المال المنتقل بعقد المعاوضة مع قصد الإكتساب و الرّؤية في قوله: **وَ إِذَا رَأَوْا** يحتمل أن تكون بالبصر و أن تكون بالقلب أي رأوا تجارةً قادمة و الضّمير في (إليها) يرجع إلى التّجارة لأنّها المقصودة بالذّات من الخروج لما روي أنّه قد أصابهم جوعٌ و غلا سعرها فبادروا بالخروج خشيةً أن يسبقوا و قيل التّقدير إذا رأوا تجارةً إنفضّوا إليها وإذا رأوا لهواً إنفضّوا إليه فحذفت لوجود الدّلالة عليه فالتّرديد للدّلالة على أنّ منهم من خرج للتّجارة و منهم من خرج للّهو و قدّم التّجارة للتّرقي مبالغةً في الذّم بأنّهم خرجوا إلى ما لا حاجة لهم إليه و قدّم اللّهو في قوله: **خَيْرٌ مِنَ ٱللَّهْوِ وَ مِنَ ٱلتِّجٰارَةِ** مبالغةً في المدح فأفهم ذلك و الرّوايات دلّت على أنّ الرّسول كان يخطب قائماً.

و في الصّحيح عن أبي بصير أنّه سأله عن الجمعة كيف يخطب الإمام قال عليه السلام يخطب قائماً فأنّ اللّه يقول (وتركوك قائماً) إنتهى.

أقول هذا الحكم ممّا لا خلاف فيه بين المسلمين من العامّة و الخاصّة فقد روت العامّة و الخاصّة عن جابر بن سمرة أنّه قال ما رأيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يخطب إلاّ و هو قائم و ذلك في بيان الواجب فيدلّ على الوجوب و هو مذهب أصحابنا.

و نقل العلامّة في التّذكرة عليه الإجماع، و أوّل من خطب و هو جالس معاوية إبن أبي سفيان.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه، و أقلّ ما يجري في الخطبة أن يحمد اللّه و يصلّي على نبيّه و يوصي بتقوى اللّه و يقرأ أيةً من القرأن و يجب في الثّانية أربع كالأولى إلاّ أنّ الواجب بدلاً من قراءة الآية في الأولى الدُّعاء قاله أكثر الفقهاء و قال أبو حنيفة لو إفتقر على التَّحميد أو التَّسبيح أو التَّكبير أجزاه و عن عثمان رضي اللّه عنه أنّه صعد المنبر فقال الحمد للّه و أرتجّ عليه فقال أنّ أبا بكر و عمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً و أنّكم إلى إمامٍ فقال أحوج منكم إلى إمامٍ قوّال و ستأتيكم الخطب ثمّ نزل فصلّى و كان ذلك بحضرة الصّحابة فلم ينكر عليه أحد و قال أبو يوسف و محمّد، الواجب ما تناوله إسم خطبةٍ و هو قول الشّافعي.

قال أبو عمرو بن عبد البّر و هو أصحّ ما قيل في ذلك إنتهى كلامه.

أقول أنّما نقلنا ما ذكره في المقام لتعلم أنّهم كيف لعبوا بالدِّين و أخترعوا من عند أنفسهم ما شاؤوا و أرادوا و نسبوه إلى الدّين فتارةً يقولون أقلّ ما يجزي في الخطبة أن يحمد اللّه و يصلّي على نبيّه و أوصى بتقوى اللّه و يقرأ أيةٌ من القرأن، بأن يقول الخطيب الحمدللّه، و الصّلاة على رسول اللّه، و

أوصيكم بتقوى اللّه، و مدّهامتان، فإذا قال هذه الكلمات فقد أتى بالواجب، و تارةً يقولون لو إقتصر على التّحميد و التّسبيح و التكبير أجزأه، بأن يقول الحمد للّه، و سبحان اللّه و اللّه أكبر فقد أجزأه لأنّه أتى بالواجب و تارةً يقولون الواجب ما تناوله إسم الخطبة و هو قول الشّافعي و الحاكم بصحّة هذه الكلمات بعنوان الخطبة هو أبو عمرو بن عبد البرّ.

و لا أظنّ عاقلاً يحكم بأنّها تكفي في صدق الخطبة و أعجب من ذلك كلّه إستدلال القرطبي على صحّة ما فعله عثمان من عدم قدرته على إيراد الخطبة بسكوت الصّحابة و عدم إنكارهم على عثمان، فأن أراد القرطبي بالصحابة الّذين لم ينكروا عليه كلّ من رأى النّبي أو صاحبة، فسكوتهم ليس بحجّةٍ في الدِّين لأنّهم تركوا النّبي قائماً على ما مرَّ بيانه.

و من المعلوم أنّ من كان كذلك لا دين له و لا إيمان فأنّ ترك النّبي ترك الدّين و على هذا فسكوتهم في قصّة عثمان كاشفٌ عن عدم إعتنائهم بالدّين، و أن كان مراد القرطبي عن الصحابة الّذين كانوا مؤمنين باللّه و رسوله حقّاً أمثال أبيذرّ و عمّار و حذيفة و غيرهم، فأنّهم لم يسكتوا عن أفعال عثمان أصلاً بل أنكروا عليه في أكثر أفعاله لولا كلّها إلاّ أنّه لم يسمع منهم و الدّليل على ما ذكرناه أنّهم لمّا رأوا عدم القبول من ناحية عثمان قتلوه و من قتل عثمان بن عفّان غير أصحاب الرَّسول، نعم المنافقون سكتوا و سكوتهم دليل على نفاقهم و لا يدلّ على صحّة عمل عثمان كما سكتوا في حكومة أبي بكر و عمر، و لم يقولوا لأبي بكر لمّا نقل عن رسول اللّه أنّه قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، كيف سمعت هذا من رسول اللّه و لم نسمع منه، و كما سكتوا عند إحراق عمر بيت فاطمة و ضربها بأمر أبيبكر أو من عند نفسه ولم يقولوا له أو لهما لم فعلتما ما فعلتما، و كما سكتوا عمّا فعله معاوية من

الأعمال القبيحة الّتى يستحيي القلم عن ذكره و اللّسان عن بيانه و نظائره كثيرة و الحاصل أنّ سكوت المنافقين الكاذبين الّذين سّموهم الصّحابة دليلٌ على عدم إيمانهم لا على صحّة فعل الفاعل.

■

سُورَةُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ ٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَ لِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ لَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ
لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَ
لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ
وَ لَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَ أَنفِقُوا مِمَّا
رَزَقْنَٰكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ
رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ
أَكُنْ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَ لَنْ يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا
إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَ ٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

◄ اللّغة

أَيْمَانَهُمْ: بفتح الألف جمع يمين و هو الحلف، و قرئ بكسر الألف أيضاً و هو التّصديق.

جُنَّةً: بضمّ الجيم و هى السُّترة، كالسّلاح المتّخذ لدفع الجراح.

فَصَدُّوا: الصَّد المنع.

فَطُبِعَ: أي رسخ.

خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ: خشب بضمّتين جمع خشبة مثل بدن و بدنة فيمن سكن و من ضمَّ قال مثل ثمرة و ثمر و قوله مُسَنَّدَةٌ فالإسناد الإمالة تقول أسندت الشّئ أملته و مسندة للتكثير أي إستندوا إلى الإيمان بحقه دمائهم.

يُؤْفَكُونَ: الإفك الكذب و قيل هو الإعراض عن الحقّ.

لَوَّوْا: أي حرّكوا.

يَنْفَضُّوا: أي يتَّفرقوا الإنفضاض التَّفرق.
لَا تُلْهِكُمْ: أي لا تشغلكم و الإلهاء في الأصل المنع.
فَأَصَّدَّقَ: أصله فأتَّصدق و الباقي واضح.

◄ الإعراب

كَأَنَّهُمْ الجملة حال من الضَّمير المجرور في قولهم يَحْسَبُونَ حال من معنى الكلام لَيُخْرِجَنَّ على تسمية الفاعل و التَّشديد و ٱلْأَعَزُّ فاعل ٱلْأَذَلَّ مفعول وَ أَكُنْ بالنَّصب عطفاً على ما قبله و هو جواب الإستفهام و يقرأ بالجزم حملاً على المعنى.

◄ التَّفسير

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ ٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ

النِّفاق هو الدُّخول في الشَّرع من بابٍ و الخروج عنه من باب و على ذلك نبَّه إنّ المنافقين هم الفاسقون أي الخارجون من الشَّرع و جعل اللّه المنافقين شرَّاً من الكافرين فقال: **إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ**[1].

و قد ورد في ذمّهم آيات كثيرة و لا سيّما في أوائل البقرة و كفى في ذمّهم أنّ هذه السُّورة إختصّت بهم و ليست في القرآن سورة إختَّصت بالكافرين و الوجه في كونهم شرّاً من الكافرين أنّ الكافر يظهر كفره فيعرف به بخلاف المنافق فأنّه لا يظهر كفره بل يظهر الإيمان و يبطن الكفر و لذلك لا يعرف في النّاس فالمؤمن يعتمد عليه لكونه متظاهراً بالإيمان و لا يعلم ما في قلبه و هو الكفر و لعمري أنّ ضرر المنافقين على الإسلام و المسلمين كان أشدّ و أعظم

١- النّساء = ١٤٥

من ضرر الكفّار ثمّ أنّ النّفاق لا يختصّ بقوم دون قوم و لا بشخص دون شخص بل كلّ إنسان ظاهره غير باطنه و يقول بلسانه ما ليس في قلبه فهو منافق و أكثر المسلمين في صدر الإسلام كانوا كذلك.

قال اللّه تعالى: **وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**[1] و لأجل ذلك عرّفهم اللّه لنبيّه و حذّره عن مكرهم و كيدهم فقال: **إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ** و هم الّذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فيظهرون لك الإيمان و يبطنون الكفر **قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ** أي قالوا لك إنّا نشهد و نعترف بنبوّتك و رسالتك **وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ** إذ المرسل اعرف بحال المرسل من غيره مضافاً إلى أنّ اللّه بكُلّ شئٍ عليم فلا يخفى عليه شئ لا في الأرض و لا في السّماء و لا في الباطن و لا في الظّاهر.

وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ في قولهم هذا أي أنّهم يشهدون بنبوّتك لساناً و ينكرونها قلباً و الإيمان لا يتحقّق بمُجرد اللّسان مع إنكار القلب ثمّ بيّن اللّه تعالى ذلك بقوله:

اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ

المشهور بين القُرّاء فتح الألف في الإيمان فهو على هذا جمع يمين و هو الحلف باللّه و المعنى أنّهم يحلفون على أنّهم منكم في الإيمان باللّه و رسوله مع أنّهم ليسوا منكم واقعاً فصار حلفهم و يمينهم، مثل جنّة أي سترةٍ يستترون بها من الكفر لئلّا يقتلوا و لا يسبوا و لا تؤخذ أموالهم و إنّما جعل اللّه أيمانهم جنّة لأنّ الجنّة بضّم الجيم السّترة المتّخذة لدفع الأذيّة كالسّلاح المتّخذ لدفع الجراح و يقال لها بالفارسيّة (سپر) فجعل المنافق أيمانه و أحلافه عندكم بأنّه مؤمن، كالسّترة لدفع القتل و الأسر، و قرئ بكسر الألف أيضاً و على هذا فمعنى الكلام جعلوا إيمانهم الّذي إدّعوه باللّسان عندكم جنّة و سترة للقتل و الأسر و

١- سباء = ١٣

ذلك لأنّ المؤمن لا يقتل و لا يؤخذ ماله و إلى هذا المعنى أشار بقوله: **فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ** أي منعوا غيرهم عن إتّباع سبيل الحقّ أي منعهم غيرهم عن متابعة الحقّ من آثار نفاقهم فأنّ المؤمن الحقيقي لا يصدّ و لا يمنع غيره عن إتّباعه **إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** من إظهارهم الإيمان و إبطانهم الكفر و الصّد عن سبيل الحقّ و أيُّ عملٍ أسوأ و أقبح منه.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ

ذلك إشارة إلى ما ذكره اللّه تعالى من أوصافهم من أنّهم إتّخذوا أيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل اللّه إلى آخر ما قال كأنّه قيل لم صاروا كذلك فقال تعالى ذلك بأنّهم آمنوا باللّه و رسوله بألسنتهم فقالوا نشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّداً رسول اللّه، و كفروا باللّه و رسوله بقلوبهم بعد الإقرار **فَطُبِعَ** أي الكفر **عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** أي ثبت و رسخ الكفر في قلوبهم كالنّقش على الحجر ثمّ حكم اللّه بأنّهم لا يفقهون، أي لا يفقهون بأنّ الإيمان لا يحصل باللّسان فقط ثمّ أشار اللّه تعالى إلى بعض أوصافهم فقال:

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ

أشار اللّه تعالى في هذه الآية إلى أوصافهم الظّاهرية الّتى في أجسامهم و قال: **وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ** أي هيأتهم و مناظرهم أي أنّهم حسن المنظر جميل الزيّ **وَ إِنْ يَقُولُوا** أي و إن تكلّموا تسمع لقولهم، أي تصغي إليهم و تسمع ما يقولون بحسن بيانهم و بلاغة لسانهم و تلاوتهم كتاب اللّه **كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ** في هدم تحرّكهم و حاصل هذه الأوصاف أنّ المنافق حسن الظّاهر قبيح الباطن **يَحْسَبُونَ** أي يظنّون **كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ**

و هو كناية عن خوفهم و ورعهم كما قيل في المثل المشهور، (الخائن خائفٌ) ثمّ بعد ذكر هذه الأوصاف لهم أمر اللّه نبيّه بالحذر عنهم فقال: **فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** أي كيف يصرفون عن الحقّ و إنّما أمر اللّه رسوله بالحذر عنهم لأنّهم كانوا ينقلون الأسرار إلى الكفّار و معنى قاتلهم اللّه لعنهم اللّه، و هى كلمة ذمٍّ و توبيخ، معناه أحلّهم محلّ من قاتله عدوّ قاهرٌ.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ

هذا وصفٌ آخر لهم و هو أنّه **وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ** فيغفر اللّه ذنوبكم **لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ** أي حرّكوا رؤسهم و قيل أكثروا تحريكها إستهزاءً بدعائهم إلى ذلك **وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ** عن سبيل الحق **وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** و المقصود أنّ تكبرّهم صار منشأ لنفاقهم و صرفهم عن الحقّ و عدم إيمانهم باللّه و رسوله واقعاً و لذلك تراهم لا يقبلون الحقّ بأن يستغفر الرّسول لهم عمّا فعلوا من النِّفاق ولم يعلموا أنّ اللّه لا يغفر لهم إستغفَر لهم الرَّسول أم لم يستغفر كما قال تعالى:

سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ

أخبر اللّه رسوله بأنّ اللّه لن يغفر لهم و إنّما أتى بكلمة (لن) لأنّها لنفي الأبد أي لا يغفر لهم أبداً إستغفرت لهم أم لم تستغفر و ذلك لأنّهم يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر، فهم في الحقيقة من أوصاف المشركين باطناً و قلباً و أنّ اللّه لا يغفر من يشرك به و يغفر ما دون ذلك بل الحقّ أنّهم أسوء حالاً عند اللّه من الكفّار و المشركين هكذا قيل في معنى الآية.

أقول الحقّ أنّ المنافق لا يغفر له ما دام كونه باقياً على نفاقه فلو خرج عن النِّفاق واقعاً و تاب عمّا فعل سابقاً و دخل في سلك المؤمنين حقّاً فالظّاهر أنّ اللّه يغفر له إلاّ أنّ تحقق هذا المعنى عن المنافق بعيد جدّاً و يحتمل أن يكون الوجه في عدم المغفرة لهم أنّهم صدُّوا عن سبيل اللّه و منعوا النّاس عن الإيمان فماتوا على كفرهم و هذا ذنبٌ لا يغفر و اللّه أعلم.

ثمّ أشار اللّه تعالى إلى وصف آخر لهم فقال اللّه:

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَ لِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ لٰكِنَّ ٱلْمُنٰافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ

روي التّرمذي عن زيد إبن أرقم أنّه قال غزونا مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم معنا أناسٌ من الأعراب فكُنّا بيدي الماء و كان الأعراب يسبقونا إليه فسبق الأعرابي أصحابه فيملأالحوض و يجعل حوله حجارة و يجعل النَّطع عليه حتّى تجئ أصحابه فأتى رجلٌ من الأنصار أعرابّياً فأرخى زمام ناقته للشُّرب فأبى أن يدعه فأنتزع حجراً فغاض الماء فرفع الإعرّابي خشبةً فضرب بها رأس الأنصاري فشجَّه فأتى عبد اللّه بن أبّي رأس المنافقين فأخبره و كان من أصحابه فغضب عبداللّه بن أبّي ثمّ قال لا تنفقوا على من عند رسول اللّه حتّى ينفضّوا من حوله يعني الأعراب و كانوا يحضرون رسول اللّه عند الطّعام فقال عبد اللّه إذا إنفضُّوا من عند محمّد فأتوا بالطّعام فليأكل هو من عنده ثمّ قال لأصحابه لئن رجعتم إلى المدينة ليخرجنّ الأعَّز منها الأذَّل قال زيد و أنا ردف إبن عمّي فسمعت عبد اللّه أبيّ فأخبرت عمّي فأنطلق فأخبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فحلف و جحد قال فصدّقه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و كذّبني قال فجاء عمّي إليّ فقال ما

أردت إلى أن قصّتك رسول اللّه صلى الله عليه وآله و كذّبك و المنافقون فوقع عليّ من جرأتهم ما لم يقع على أحدٍ قال فبينما أنا أسير مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد حفظت برأسي من الهمّ إذ أتاني رسول اللّه صلى الله عليه وآله فحكّ أذني و ضحك في وجهي فما كان يسرّني أنّ لي بها الخلد في الدُّنيا ثمّ أنّ أبابكر لحقني فقال ما قال لك رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

قلت ما قال شيئاً إلاّ أنّه حرّك أذني و ضحك في وجهي فقال أبشر ثمّ لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبى بكر فلمّا أصبحنا قرأ رسول اللّه صلى الله عليه وآله سورة المنافقين قال أبو عيسى هذا حديث حسن إنتهى.

اقول الحديث نقلناه عن تفسير القرطبي و العهدة عليه و سئل حذيفة إبن اليمان عن المنافق فقال الّذي يصف الإسلام و لا يعمل به و هو اليوم شرّاً منهم على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله لأنّهم كانوا يكتمونه و ليس مراده صنفٌ خاصّ بل أكثر المسلمين الّذين كانوا يعدُّون أنفسهم من حواريون كانوا من المنافقين و لم يكن النّفاق مختصّاً بعبد اللّه أبيّ و أصحابه كما ظنَّه القرطبي و الطّبري و أمثالهما بل جميع المفسّرين من العامّة فأنت إذا تأمَّلت في تفاسيرهم تراهم يمثّلون في المنافق بعبد اللّه إبن أبيّ و أصحابه كأنّهم زعموا أنّ أيات النّفاق مع كثرتها نزلت في عبد اللّه بن أبيّ و أصحابه و لم يعلموا أنّ أكثر حوار الرَّسول كانوا أشدَّ نفاقاً من عبد اللّه، أليس من ترك وصيّة رسول اللّه في تعيين خليفته بعده في غدير خمّ و غير الغدير منافقاً، أليس من ترك بيعة عليٍّ و لو بعد الخلفاء الثّلاثة و هم عبد اللّه بن عمر و سعد بن وقّاص و أبو طلحة الأنصاري و أمثالهم منافقاً، أليس من بايع عليّاً بالمدينة و حاربه بالبصرة و هو طلحة و الزُّبير و من حذى حذوهما من المنافقين، أليس من أنكر النّص الجليّ من رسول اللّه في علّي و أهل بيته منافقاً، أليس من تخلّف عن جيش أسامة في حياة رسول اللّه مع أنّه صلى الله عليه وآله قال لعن اللّه من تخلّف عن جيش أسامة و

هلّم جرّا إلى وصلت النّوبة إلى معاوية و يزيد و مروان بن الحكم إلىٰ أخر بني أميّة و بني المروان و بني العبّاس.

اللّهم إلاّ أن يقال أنّهم لم يكونوا من المنافقين بل كانوا من الكفّار و إذا كان الأمر على هذا المنوال فما ذنب عبد اللّه أبيّ و أصحابه حتّى صاروا مرمى سهام الأيات النّازلة في المنافقين و اللّه أعلم.

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

قيل، القائل بهذا الكلام كان عبد اللّه بن أبيّ و مراده بالأعزّ هو نفسه و من تبعه من أصحابه و بالأذلّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه و المقصود لئن رجعنا إلى المدينة لنخرجنَّ منها محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه فردَّ اللّه عليه و قال للّه العزّة و لرسوله و للمؤمنين لا له و أصحابه و لكنّ المنافقين لا يعلمون، ذلك و يظنُّون أنّ العزّة بكثرة المال و العشيرة و الأولاد و امثال هذه الأمور و هذا دليلٌ على جهلهم و حماقتهم و أنّهم لا يعلمون ما يقولون و لا يعرفون ما يدَّعون فلو كانوا عالمين بمعنى العزّة و أنّها ما هي و كيف تحصل للإنسان لم يقولوا ذلك و علموا أنّ العزّة للّه و رسوله و للمؤمنين و توضيح ذلك إجمالاً أنّ العزّة على ما قاله الرّاغب في المفردات حالةٌ مانعة للإنسان من أن يغلب من قولهم أرضٌ عزاز أي صلبة إلى أن قال و العزيز الّذي يقهر و لا يقهر قال تعالى أنّه هو العزيز الحكيم إذا عرفت هذا فنقول:

العزيز الّذي يقهر و لا يقهر و يغلب و لا يغلب ليس في عالم الوجود إلاّ اللّه تعالى إذ ما سواه كائناً ما كان فهو مقهورٌ مغلوبٌ تحت قدرته و كيف لا يكون المخلوق مقهوراً و هو لا يقدر على شئٍ بدون مشيّته و إرادته فعلى هذا العزّة بقولٍ مطلق منحصّرة به تعالى لا لغيره فإطلاق العزيز على غير اللّه تعالى ليس على حقيقته و أمّا عزّة الرّسول و عزّة المؤمن فهما من عزّة الله لا من عند

أنفسهما كما أنّ ولاية الرّسول و ولاية عدول المؤمنين منه تعالى و حيث أنّ المنافق لا إيمان له واقعاً و لا يعرفه يظنّ أنّ القدرة منه نفسه ولم يعلم أنّ العبد و ما في يده كان لمولاه و لذلك قال تعالى و لكنّ المنافقين لا يعلمون، أي لا يعلمون أنّ لا عزّة لهم فعلى ما ذكرناه و قرّرناه المنفيّ في الآية هو علمهم بمعنى العزّة و ظنّهم الفاسد بأنّ العزّة ثابتةٌ لهم، لا أصل الحكم بإخراج الأعزّ الأذلّ فأنّه من الأحكام العقليّة الّتى لا خلاف فيها لأنّ الأعزّ غالبٌ و الأذلّ مقهورٌ مغلوب له قهراً و بعبارةٍ أخرى الحكم أعني به إخراج الأعزّ الأذلّ عن المدينة قد وقع كما أخبر به المنافقون إلاّ أنّ المخرج كان اللّه تبارك و تعالى بواسطة رسوله و المؤمنين فقد شرّدهم اللّه و طردهم و أنفاهم من أرض المدينة إلى نواحي السّام غير من قتلهم اللّه فى الحروب و الغزوات و الحاصل أنّهم قتلوا أو أسروا أو أنفوا في البلاد فأخرج الأعزّ الأذلّ من المدينة ولكنّهم أخطأوا في تطبيق الأعزّ على أنفسهم و تطبيق الأعزّ على المؤمنين فكأنّه تعالى قال لهم نعم يخرج الأعزّ الأذلّ و لكن الأعزّ هو اللّه و رسوله و المؤمنون و الأذلّ أنتم و من تبعكم فقول المنافق هذا هو أشبه شئٍ بالمغالطة لو كانت مقالتهم صدرت عنهم عن علم بالخرافات و الموهومات و الأباطيل لو كانت صدرت عن جهلٍ و أنّما قلنا ذلك لأنّه لا يبعد أن يكون القائل بها و هو عبد اللّه بن أبّي عالماً بأنّ العزّة للّه و لرسوله و لكن قال ما قال لأصحابه لئلا ينفضّوا من حوله و يعتمدوا على قدرته و يبقوا على ضلالهم و نفاقهم و ليس هذا الإحتمال بعيداً من العقل و اللّه أعلم.

يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

لمّا ذكر اللّه تعالى أوصاف المنافقين و حذّر رسوله عنهم و حكم عليهم بما حكم من الجهل و الفسق و التّكبر و غير ذلك من القبائح.

خاطب المؤمنين فقال: **يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا** باللّه و رسوله و اليوم الأخر **لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ لَآ أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ** و أنّما خصَّ الأموال و الأولاد بالذِّكر لأنّ المال و الأولاد من أحبِّ الأشياء و أقربها إلى الإنسان و لذلك جعل اللّه الأولاد و الأموال فتنةً في قوله:

قال اللّه تعالى: **وَ ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ ٱللَّهَ عِنْدَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ**[1].

قال اللّه تعالى: **وَ مَآ أَمْوَالُكُمْ وَ لَآ أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰٓ**[2].

و هذا أي حبّ المال و الأولاد لا يحتاج إلى دليلٍ لأنّ حبّ الإنسان بالأولاد و الأموال محسوسٌ لكلّ أحدٍ لأنّه موافق للفطرة و الغريزة الحيوانيّة و لذلك ترى هذه المحبّة في الحيوانات أيضاً فأنّ الحيوان يحبّ أولاده و الأموال الّتى ينتفع بها في حياته من المأكول و المشروب، فثبت و تحقّق أنّ الإنسان بالفطرة يحبّ المال و الأولاد و هذا ممّا لا خلاف فيه و لكن في هذه المحبَّة خطرٌ عظيم للمؤمن باللّه و رسوله و هو غلبة الحبّ للأموال و الأولاد على ذكر اللّه و التوجّه إليه و ذلك هو الخسران المبين و توضيح ذلك أنّ المؤمن يحبّ اللّه و رسوله بمقتضى إيمانه إذ لا يعقل أن يكون الإنسان مؤمناً باللّه و رسوله و لا يحبّهما و هذا واضح.

ثمّ أنّه يحبّ المال و الأولاد أيضاً إلاّ أنّ هذا الحبّ بمقتضى فطرته وطبيعته ثمّ أنّ هذين الحبّين لا يجتمعان في قلبٍ للإنسان إلاّ أن يكون أحدهما غالباً و الأخر مغلوباً و أن شئت قلت أحدهما راجحاً و الأخر مرجوحاً و ذلك لأنّ حبّ المال و الأولاد منشأه حبّ الدُّنيا و حبّ اللّه و رسوله منشأه حبّ الأخرة، و الدُّنيا فانية و الأخرة باقية و الباقي خير من الفاني فحبّ اللّه و رسوله هو الأصل و حبّ المال و الولد هو الفرع و الفرع محبوبٌ بتبع الأصل و هذا هو المراد من الآية.

١- الأنفال = ٢٨ ٢- سَبَأ = ٣٧

ألا ترى أنّ اللّه تعالى لم يقل يا أيّها الّذين أمنوا لا تحبُّوا أموالاكم أولادكم بل قال لا تلهكم أموالكم و لا أولادكم أي لا تلهكم محبّة الأموال و الأولاد عن محبَّة اللّه أي لا يمنعكم هذا من ذاك، و هذا ممكنٌ معقولٌ بخلاف لا تحبُّوا أولادكم و أموالكم، إذ هو غير ممكنٍ و غير معقولٍ إذ محبّة الأولاد و الأموال على أساس الفطرة البشريّة فالنّهي عنها مخالف للفطرة غير معقول مضافاً إلى أنّه غير ممكنٍ للإنسان خارج عن قدرته و **لا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** مضافاً إلى أنّ الأمر و النّهي لا يتّعلقان بالمحال و عدم محبّة المال و الولد للإنسان مستحيلٌ لكونه مخالفاً للفطرة و على هذا فليس في الآية نهيٌ عن محبّة الأولاد و الأموال بل النّهي تعلّق بالإفراط في حبّهما بحيث غلب على حبّ اللّه و رسوله و التّوجه إلى المعبود و هذا موافق للعقل فأنّ العبد المؤمن ينبغي أن يكون حبّه و بغضه للّه.

قال الصّادق عليه السلام: **من أحبَّ للّه و أبغض للّه و أعطى للّه فهو ممّن كمل إيمانه** و المقصود أنّ المؤمن يحبّ أمواله و أولاده للّه و هذا أصلٌ أصيل و ركنٌ وثيق فإذا كان المال و الأولاد على غير طاعة اللّه فحبّهما موجبٌ للخسران و لذلك قال تعالى فأولئك هم الخاسرون، و أيُّ خسرانٌ أعظم و أشنع من ترك ذكر اللّه و طاعته و ترجيح حبّ الدُّنيا على حبّ الأخرة.

وَ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ، وَ لَنْ يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَ ٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

الواو للعطف و الآية معطوفة على ما قبلها أمر اللّه المؤمنين بالإنفاق في سبيل اللّه ممّا رزقهم اللّه من الأموال في الدُّنيا قبل حلول الأجل و وجه المناسبة بين الأيتين ظاهرٌ لأنّه تعالى نهى في الآية السّابقة عن حبّ المال على وجه الإفراط و ترجيحه على ذكر اللّه و طاعته و في هذه الآية أمر بالإنفاق من

الأموال و فيه إشارة إلى أنّ المال للإنفاق في سبيل اللّه فقال: **أَنْفِقُوا** في طاعته **رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ** أي إغتنموا الفرص **فَيَقُولَ** بعد موته **رَبِّ** أي ربّي حذفت الياء و بقيت الكسرة للدّلالة عليه **لَوْلَآ** أي هلاّ **أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ** أي هّلا أخّرت أجلي **فَأَصَّدَّقَ** أي فأتّصدق في سبيل اللّه **وَ أَكُنْ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** فيقال له **وَ لَنْ يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا** أي أنّ التّأخير بعد بلوغ الأجل لا يكون أبداً، فأنّ كلمة (لن) لنفي الأبد.

وَ ٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ لا يخفى عليه شئ من أعمالكم و نيّاتكم، و فيه إشارة إلى أنّ المسترجع لو رجع إلى الدُّنيا فهو أيضاً لا يعمل لأنّ اللّه تعالى أعرف بحال عبده منه نفسه و قد مضى الكلام فيه غير مرّةٍ في تفسير الأيات.

■

سُورَةُ ٱلتَّغَابُنِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَ لَهُ ٱلْحَمْدُ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَ ٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ وَ ٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوا وَ ٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَ ٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَ رَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ٱلنُّورِ ٱلَّذِي أَنْزَلْنَا وَ

ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ
ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ
يَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا
بِـَٔايَاتِنَآ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ
بِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا
بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ
وَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَ
أَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ وَ عَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَآ أَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ
تَغْفِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ
وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ ٱللَّهُ عِنْدَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾
فَاتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَ ٱسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ
أَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا ٱللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ ٱللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

◄ اللّغة

يُسَبِّحُ: قد مرَّ تفسيره غير مرّةٍ.

وَبَالَ: الوبال بكسر الواو ثقل المعصية.

لَتُنَبَّؤُنَّ: النَّبأ الخبر أي لتخبرنَّ.

ٱلتَّغَابُنِ: التّغابن هو التّفاوت في أخذ الشّئ بدون القيمة مأخوذٌ من الغبن.

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ: الوقاية الحفظ و الشُّح بضّم الشّين منع النّفس على مخالفة العقل لمشقّة البذل.

◄ الإعراب

أَبَشَرٌ مبتدأ و يَهْدُونَنَا الخبر يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ هو ظرف لخبير و الباقي واضح.

◄ التّفسير

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أي ينزّهه و يقدّسه جميع الموجودات السّماوية و الأرضيّة عمّا لا يليق بشأنه من شوائب الإمكان و قد مرَّ الكلام فيه مراراً.

لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي للّه الملك و للّه الحمد فالضّمير في، له، راجعٌ إلى اللّه و يستفاد من الآية أنّ الملك و الحمد مختصّ به تعالى و ذلك لتقديم الظّرف فلو قال الملك له و الحمد لله و لم يدلّ على الحصر ألا ترى أنّك إذا قلت زيدٌ في الدّار معناه أنّ زيداً في الدّار و أمّا أنّ عمرواً أيضاً في الدّار مع زيد أو لا فالكلام ساكتٌ عنه فيمكن أن يكون في الدّار و يمكن أن لا يكون و هذا بخلاف قولك في الدّار زيدٌ فأنّه يفيد الحصر أي في الدّار زيدٌ لا غيره.

إذا عرفت هذا فقوله له الملك و له الحمد يفيد حصر الملك و الحمد للّه تعالى و هذا معنى قولهم لا شريك له فى الملك، و الدّليل على هذا الإختصاص واضح و هو أنّه تعالى خالق لما سواه، و أيضاً جميع النِّعم الماديّة و المعنويّة أيضاً له و قد ثبت أنّ الحمد على النِّعمة في جميع المحامد و يرجع اليه فهو المالك و هو المحمود، ثمّ أنّ الفرق بين **المِلك** بكسر الميم و **المُلك** بضمّها هو أنّ الملك على ضربين، ملكٌ هو التَّملّك و التَّولي، و ملكٌ هو القوّة على ذلك تولّى أو لم يتَّول، فمن الأوّل قوله تعالى: **إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا**[1].

و من الثّاني قوله تعالى: **إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَآءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكًا**[2] فَجَعل النُّبوة مخصوصة و الملك عامّاً، و قيل الملك الحقّ الدّائم للّه فلذلك.

قال: **لَهُ ٱلْمُلْكُ وَ لَهُ ٱلْحَمْدُ** و قيل **المِلك** بكسر الميم كالجنس للملك بضمّها فكُلّ ملكٍ ملكٌ و ليس كلّ ملكٍ ملكاً.

و أمّا قوله: **وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** فهو إشارة إلى عموم قدرته لأنّ عدم القدرة ضعفٌ و عجزٌ و الضَّعف و العجز من شئون الممكن المخلوق فكلّ ضعيفٍ مخلوق و الخالق منزّهٌ عنه و قد مرَّ الكلام فيه مراراً.

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

كلمة (من) في قوله: **مِنْكُمْ** للتَّبعيض أي بعض المخلوق كافر و بعض الأخر مؤمن و اللّه تعالى بما تعملون، أي بما يعمل الكافر و المؤمن بصير، لا يخفى عليه شئ من أعمالها.

إن قلت هذه الآية صريحة في أنّ الكفر و الإيمان مخلوقان للّه تعالى لأنّه خلق الكافر كافراً و المؤمن مؤمناً و لا نعني بالجبر إلاّ هذا و إذا كان كذلك فما ذنب العبد العاصي أو الكافر حتّى يعاقب على كفره و فسقه يوم القيامة و

١- النّمل = ٣٤ ٢- المائدة = ٢٠

المفروض أنّ اللّه خلقهما كذلك و أيُّ مدح و ثواب للمؤمن و المفروض أنّ اللّه خلقه مؤمناً.

قلت لو تأمَّلت في الآية لعلمت أنّ الآية لا تصريح لها لذلك بل مصرّحة بخلافه و ذلك لأنّ اللّه يقول هو الّذي خلقكم جميعاً فمنكم كافر و منكم مؤمن، يعني منكم من إختار الكفر و منكم من إختار الإيمان في الدُّنيا بعد الخلق و لولا كان المراد من الآية ما ذكرت لقال هو الّذي خلقكم كافرا و مؤمناً أو هو الّذي خلق بعضكم كافراً و بعضكم مؤمناً و لم يقل ذلك و بعبارةٍ أخرى الخلق لم يتعلّق بالكفر و الإيمان بل تعلّق بالكافر و المؤمن و الفرق واضح.

و إن شئت قلت الخلق تعلّق بالموصوف و هو ذات الكافر و المؤمن ولم يتعلّق بالصّفة أعني بها الكفر و الإيمان و الجبر يلزم على الثّاني دون الأوّل، هذا مفاد الآية و لكن بعض المفسّرين من العامّة حيث لم يتَّفطنوا هذه الدَّقيقة في الآية و أمثالها حملوها على الجبر و وضعوا أحاديث و نسبوها إلى النّبى.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه، قال إبن عبّاس أنّ اللّه خلق بني‌أدم مؤمناً و كافراً و يعيدهم في يوم القيامة مؤمناً و كافراً.

و روى أبو سعيد الخدري قال خطبنا النّبي صلى الله عليه وآله وسلم عشيّةً فذكر شيئاً ممّا يكون فقال: يولد النّاس على طبقات شتّى، يولد الرَّجل مؤمناً و يموت مؤمناً و يولد الرَّجل كافراً و يعيش كافراً و يموت كافراً و يولد الرّجل مؤمناً و يعيش مؤمناً و يموت كافراً و يولد الرَّجل كافراً و يعيش كافراً و يموت مؤمناً.

و قال إبن مسعود قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: خلق اللّه فرعون في بطن أمّه كافراً و خلق يحيى بن زكريّاً في بطن أمّه مؤمناً.

و في الصّحيح من حديث إبن مسعود و أنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتّى ما يكون بينه و بينها إلاّ ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النّار فيدخلها، و أنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النّار

حتّى ما يكون بينه و بينها إلاّ ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخلها.

و في صحيح مسلم عن سهل إبن سعد السّاعدي أنّ رسول اللّه قال أنّ الرَّجل ليعمل عمل أهل الجنّة فيما يبدوا للنّاس و هو من أهل النّار و أنّ الرَّجل ليعمل عمل أهل النّار فيما يبدوا للنّاس و هو من أهل الجنّة.

ثمّ قال القرطبي قال علماؤنا و المعنى تعلّق العلم الأزلي بكلّ معلومٌ فيجزي ما علم و أراد و حكم فقد يزيد إيمان شخصٍ على عموم الأحوال يزيد إلى وقتٍ معلوم و كذلك في الكفر إنتهى ما ذكره القرطبي من الأخبار.

و نحن نقول أنّ هذه الأخبار تنادي بأعلى صوتها أنّها من الموضوعات و ألفاظ الأخبار تدلّ على أنّها ليست من كلام رسول اللّه الّذي قال ﷺ: **أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش** و معانيها تنافي العقل و النّقل الصّحيح و أقبح من ذلك تفسير علماؤهم لها و كيف كانوا من العلماء ولم يعلموا أنّ العلم الأزلي لا يكون علّة لفعل العبد حتّى يقال فيجري ما علم و اراد و حكم، فأنّ العلّة و السّبب لإيجاد الفعل هو الارادة و تحريك العضلات بعدها و نحن لا ننفي علم الأزلي فأنّ اللّه تعالى عالمٌ بأفعال العبد بل خلقه إيّاه بل ننفي عليّة العلم الأزلي للفعل الصّادر من العبد هذا كلّه مضافاً إلى أنّ العقل السّليم لا يقبل أنّ اللّه خلق فرعون في بطن أمّه كافراً ثمّ أرسل إليه موسى ليهديه إلى سبيل الحقّ مع أنّ العلم الأزلي تعلّق بكفره و جعله من أهل النّار و إذا كان كذلك فما معنى إرسال الرُّسل و إنزال الكتب و المفروض أنّ الكافر لا يؤمن لتعلّق العلم الأزلي بكفره و على ذلك فيلزم أن يكون الرّسول أرسل إلى المؤمنين في بطن أمّهاتهم دون الكافرين و لا يقول به عاقلٌ و لكن من أضلّه اللّه فلا هادي له فيقول ما شاء و أراد.

خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ

أخبر اللّه تعالى في هذه الآية أنّه خلق السّموات و الأرض بالحقّ لا بالباطل و ذلك لأنّ الحقّ لا يصدر منه إلاّ الحقّ و اللّه تعالى هو الحقّ بقولٍ مطلق فأفعاله أيضاً كذلك فينتج أنّ كلّ ما خلقه اللّه حقٌّ و هو المطلوب.

و الدّليل على ذلك أنّ الباطل عبث و لغوٌ لا فائدة فيه بل قد يضّر و منشأه الجهل و السّفاهة فأنّ العالم العاقل لا يفعل عبثاً، و اللّه تعالى منزّهٌ عن الجهل فكيف يصدر منه العبث و أمّا قوله: **وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** فالصُّورة ما ينتقش به الأعيان و يتميّز بها عن غيرها و ذلك ضربان.

أحدهما: محسوسٌ يدركه الخاصّة و العامّة بل يدركه الإنسان و كثير من الحيوان كصورة الإنسان و الفرس و الحمار بالمعاينة.

الثّانى: معقول تدركه الخاصّة دون العامّة كالصُّورة الاتى يختصّ الإنسان بها من العقل و الرُّؤية و المعني الّتى خصّ بها شئ بشئ:

قال اللّه تعالى: **وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ**[١].

قال اللّه تعالى: **وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ**[٢].

قال اللّه تعالى: **هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**[٣].

قال اللّه تعالى: **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**[٤].

قال اللّه تعالى: **هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ**[٥].

و قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أنّ اللّه خلق أدم على صورته.

١- غافر = ٦٤
٢- الاعراف = ١١
٣- أل عمران = ٦
٤- الإنفطار = ٨
٥- الحَشر = ٢٤

و لا شكّ أنّ المصوّر هو اللّه تعالى و أنّما الكلام في أنّ الصُّورة الّتى خلق اللّه الإنسان عليها ما هي فقال بعض المحقّقين المراد بها معناها العامّ الشّامل للصُّور المحسوسة و المعقولة.

و قال بعضهم أراد بها ما خصّ الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر و البصيرة و بها فضّله على كثيرٍ من خلقه و إضافته إلى اللّه سبحانه على سبيل الملك لا على سبيل البعضيّة و التّشبيه تعالى اللّه عن ذلك، بل هو على سبيل التّشريف له كقوله بيت اللّه، و ناقة اللّه.

و قال بعض المفسّرين في تفسيره لهذه الأية: **وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** حيث زيّنكم بصفوة أوصاف الكائنات و خصّكم بخلاصة خصائص المبدعات و جعلكم أنموذج جميع الخلق، و إليه المصير، أي فأحسنوا سرائركم حتّى لا يمسح العذاب ظواهركم إنتهى.

روي عن الباقر عليه السلام: و قد سئل عمّا يرون النّاس أنّ اللّه خلق أدم على صورته يعني صورة اللّه، فقال عليه السّلام صورة محدثة إصطفاها اللّه و إختارها على سائر الصُّور المختلفة فأضافها إلى نفسه كإضافة الكعبة إلى نفسه و الرُّوح إلى نفسه فقال بيتي و نفخت فيه من روحي إنتهى.

أقول و لذلك ذهب أكثر المفسّرين من العامّة إلى أنّ الضّمير في الصُّورة راجع إلى أدم عليه السّلام لا إلى اللّه تعالى شأنه المعنى أنّه خصَّ به و ذلك لأنّ النّاس خلقوا على أطوارٍ سبعة، نطفة، ثمّ علقة إلى تمام ما فصَّل في الكتاب ثمّ أنّهم كانوا يتدرّجون من صغرٍ إلى كبرٍ سوى أدم أبو البشر فأنّه خلق أوّلاً على ما كان عليه أخراً قالوا و هذا هو الصّحيح.

و عن العيون عن الرّضا عليه السلام: و قد سئل يابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّ النّاس يرون أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال أنّ اللّه خلق أدم على صورته

فقال عليه السلام و اللّه لقد حدّثني أوّل الحديث أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم مرّ برجلين يتهامسان فسمع أحدهما يقول لصاحبه قبّح اللّه وجهك و وجه من يشبهك فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عبد اللّه لا تقل هذا لأخيك فأنّ اللّه تعالى خلق آدم على صورته.

و الّذي ظهر لنا في تفسير الآية هو أنّ اللّه تعالى صوَّر صورة الإنسان في أحسن الصُّور و هذا ممّا لا كلام فيه إجمالاً فأنّ الخالق الحكيم كلّ ما يصدر عنه فهو حسنٌ كما هو مقتضى الحكمة الثّابتة له تعالى و من أسمائه تعالى (المصوّر) لأنّه صوَّر جميع الموجودات و رتّبها فأعطى كلّ شئٍ منها خاصَّة و هيئةً مفردة يتميّز بها على اختلافها و كثرتها و هذا ممّا لا كلام فيه إلاّ أنّه تعالى جعل لبني‌آدم صورتين و لغيرهم صورة واحدة الّتى قد يعَّبر عنها بالصُّورة الجسميّة و هى في جميع الموجودات على حدٍّ سواء على إختلافها ظاهراً بحسب الشِّكل و الهيئة و هذا مشاهدٌ محسوسٌ و لا كلام لنا فيه فعلاً فأنّ الآية ناظرة إلى صورة الإنسان لا إلى صور جميع الخلق لقوله تعالى: **وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** و الخطاب لبني‌آدم أعني بهم جميع أفراد البشر.

إذا عرفت هذا فنقول أنّ اللّه تعالى جعل للإنسان من بين جميع الموجودات صورتين صورة جسميّة، و صورة عقليّة، و ذلك لأنّ الإنسان مرَّكب من الجسم النّاسوتى و الرُّوح الملكوتي، فصورته الجسميّة كصور جميع الموجودات في كونها صورة جسميّة على إختلافها فيها من حيث الشِّكل، و أمّا صورته العقليّة فهي منحصرة به و هى متَّعلقة بروحه و نفسه الّتى أضافها إلى نفسه و قال: **وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي** شوقاً و تعظيماً له و بذلك صار الإنسان مظهراً لصفاته من العلم و القدرة و الإرادة و الحلم و الغضب و العدل و أمثالها و هذه المظهريّة مختصّة بالإنسان و لا توجد في غيره من الموجودات حتّى في الملائكة و بذلك شرَّفه اللّه تعالى على جميع خلقه و جعله أشرف

الموجودات لو علم قدره و لم يتجاوز صوره فأنّ الصُّورة العقليّة الإنسانيّة من أكبر آيات اللّه في الملك و الملكوت و قد أودع اللّه تعالى فيها عالم الكبير و جعلها نموذجاً له و إلى هذه الصّورة أشار أميرالمؤمنين فيما نسب إليه حيث قال:

دوائك فيك و لا تشعر ودائك منك فلا تبصر
و أنت الكتاب المبين الّذي بأحرفه يظهر المضمر
أتزعم أنّك جرمٌ صغير و فيك إنطوى العالم الأكبر

فهذه الصُّورة هي الصُّورة العقليّة الّتى جعلها اللّه للإنسان و بها يتخلّق بأخلاق اللّه و يصير إنساناً ربانيّاً فقوله تعالى في الأية: **صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** إشارة إلى هذه الصُّورة الّتى هي من أحسن الصُّور و لا صورة أحسن منها في عالم الوجود و لتفصيل الكلام في هذا الباب موضع أخر و اللّه أعلم.

يَعْلَمُ مٰا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مٰا تُسِرُّونَ وَ مٰا تُعْلِنُونَ

في هذه الآية إشارة إلى إحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء ظاهرها و باطنها و ذلك لأنّ الخالق أعرف بما في نفس المخلوق منه نفسه و إلاّ لا يكون خالقاً هذا مضافاً إلى أنّ الجهل نقصٌ و هو من شئون الممكن المخلوق و أمّا الخالق فهو منزّهٌ عنه و قد مرَّ البحث في هذا الباب مراراً فلا حاجة إلى إطالة الكلام في المقام. و قوله: **وَ ٱللّٰهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ ٱلصُّدُورِ** قد ظهر معناه ممّا ذكرناه.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذٰاقُوا وَبٰالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ

الإستفهام للإنكار التّوبيخي و النّبأ الخبر، إختلف المفسّرون في المخاطب بهذه الآية فقال بعضهم المخاطب بها هو النّبي و من أمن به، المخاطب بها هو كفّار قريش، فعلى الأوّل لا توبيخٌ فيها و على الثّاني وبّخ الكفّار، و على

التّقديرين الإستفهام للإنكار أي بلى أتاكم خبر الكفّار الّذين كانوا من قبلكم في الأمم السّالفة و أنّ اللّه أهلكهم لكفرهم و عنادهم بما كسبت أيديهم و هذا معنى قوله: **فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ** فالوبال الوزر الّذي يتّرتب على المعصية من العقاب و الذّوق في الأصلي الطّعم و هو حقيقة قي الذّائقة مجازٌ فى غيرها.

قال الرّاغب في المفردات، الذّوق وجود الطّعم بالفم و أصله فيما يقلُّ تناوله دون ما يكثر فأنّ ما يتكثّر منه يقال له الأكل و إختير فى القرأن لفظ الذّوق فى العذاب لأنّ ذلك و أن كان فى التّعارف للتّعليل فهو مستصلحٌ للكثير فخصّه الذّكر ليعمّ الأمرين:

قال اللّه تعالى: **وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ**[١].

قال اللّه تعالى: **فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**[٢].

قال اللّه تعالى: **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ**[٣].

قال اللّه تعالى: **إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ**[٤].

و أمثال ذلك من الأيات كثيرة و على هذا فمعنى قوله: **فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ** ذاقوا قليلاً من طعم العذاب في الدّنيا فأنّ عذاب الدّنيا بالنّسبة إلى عذاب الأخرة قليلٌ جدّاً كمّاً و كيفاً و لذلك قال: **وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** أي موجعٌ في الأخرة فعذاب الدّنيا بمنزلة الذّوق أعني به تناول القليل و عذاب الأخرة بمنزلة الأكل و هو تناول الكثير من الطّعام أعاذنا اللّه منه.

ثمّ علّل ذلك بقوله:

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوٓا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ ٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَ ٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

١- السجده = ٢٠
٢- آل عمران = ١٠٦
٣- الدّخان = ٤٩
٤- الصّافات = ٣٨

ذلك، إشارة إلى قوله: **فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ** أي ذلك العذاب في الدّنيا و الأخرة **بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ** من قبل اللّه تعالى واحداً بعد واحدٍ **بِالْبَيِّناتِ** أي المعجزات **فَقالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنا** الإستفهام للإنكار أي أنّ البشر لا يليق بذلك إذ لا مزيّة لهم علينا لأنّهم أمثالنا في البَّشرية و حكم الأمثال واحد، ولم يلعموا أنّ الأنبياء و أن كانوا مثلهم في الصُّورة الجسميّة إلاّ أنّهم كانوا غيرهم في الصُّورة الإنسانيّة الّتى هي من أعظم أيات اللّه فأنّ الإنسان إنسانٌ بعقله و معرفته و دينه لا بجسمه فأنّ الجسم و ما فيه من الأعضاء موجودٌ في الحيوان أيضاً بل أجسام بعض الحيوانات أعظم من جسم الإنسان و القوى المودَّعة فيه من السَّمع و البصر و الذّائقة و اللاّمسة و الشّامة في أكثر الحيوانات أقوى و أكمل منها في الإنسان فكون الإنسان أفضل من الحيوان ليس بجسمه بل الملاك في الفضل هو الرّوح الإنساني الّذي به يتقرّب العبد إلى ربّه و يصير مظهر لذاته و صفاته فالنّبي و الوصّي لا يقاس بغيره من أحاد البشر فقول الكفّار، أبشرٌ يهدوننا، على سبيل الإنكار دليل على جهلهم و عدم معرفتهم بحقيقة الإنسان و العجب أنّ القائل بهذا الكلام للأنبياء، إذا مرض قال دلُّوني إلى الطَّبيب و لا يقول أبشرٌ يعالجني، و أمّا في الهداية إلى طريق الحقّ يقول أبشرٌ يهدوننا و أيُّ فرقٍ بين الأمراض الجسمانيّة و الأمراض الرُّوحانية، فالمريض يحتاج إلى الطَّبيب مع أنّ الطَّبيب مثل المريض في الصُّورة.

فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ اسْتَغْنَى اللّهُ وَ اللّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ أي فكفروا بالأنبياء ولم يؤمنوا بهم و أعرضوا عنهم و أنكروا رسالتهم ولم يعلموا أنّ اللّه تعالى غنيٌّ عن عبادتهم و أنّما دعاهم إلى متابعة الأنبياء لما يعود عليهم بالنّفع حسب ما تقتضيه حكمته في تدبيرهم.

قال أميرالمؤمنين عليه السّلام:

اَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ حِيْنَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ[1] إلىٰ أخر ما قال عليه السلام.

و هذا حكمٌ عقليٌ، فأنّ العقل يحكم بعدم إحتياج الخالق أى إحتياجٍ كان لأنّ الإحتياج نقصٌ و هو تعالى منّزهٌ عن جميع النّقائص الإمكانيّة.

قال اللّه تعالى: **يٰآ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللّٰهِ وَ ٱللّٰهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ**[2].

و قد مرَّ الكلام فى هذا الباب فيما مضى بما لا مزيد عليه و قيل قوله: **حَمِيدٌ** يدلّ على أنّه تعالى أوجب على عباده أن يحمدوه، و قيل أنّ العقل يحكم به و كيف كان لا شكّ أنّ اللّه تعالى غنّي عمّا سواه و على هذا فنفع العبادة يرجع إلى العبد لا إلى الحقّ.

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلٰى وَ رَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمٰا عَمِلْتُمْ وَ ذٰلِكَ عَلَى ٱللّٰهِ يَسِيرٌ

كلمة **لَنْ** لنفي الأبد و المعنى زعم الكفّار أن لن يبعثوا، من القبور أبداً و ذلك لإنكارهم البعث **قُلْ** يا محمّد لهم **بَلٰى وَ رَبِّى لَتُبْعَثُنَّ** الواو للقسم أي قل لهم بلى و أنّا أقسم بربّى لتبعثنَّ يوم البعث من قبوركم **ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ** أي لتخبرون **بِمٰا عَمِلْتُمْ** في الدّنيا من خيرٍ أو شّرٍ **ذٰلِكَ** أي البعث و الجزاء على العمل **عَلَى ٱللّٰهِ يَسِيرٌ** أي سهلٌ لا صعوبة فيه لأنّه على كلّ شيءٍ قدير فأنّ الإحياء ثانياً ليس بأصعب من الإيجاد أوّلاً، بل هو أسهل منه لوجود المادّة في الثّاني دون الأوّل هذا كلّه مضافاً إلى عموم قدرته تعالى و قد مضى القول في هذا الباب و سيأتي الكلام فيه في المستقبل بوجهٍ أبسط.

١- الخطبة = ١٩٢ ٢- فاطر = ١٥

قال اللّه تعالى: **قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عالِمِ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**[١].

فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ ٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنْزَلْنا وَ ٱللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

أمر اللّه جميع النّاس بالتّوحيد و النّبوة، و الكتاب الّذي أنزل اللّه على نبيّه القرآن و أنّما صدّر الكلام بالإيمان باللّه لأنّه الأصل في باب المعرفة و لذلك كان شعار النّبي **قولوا لا إله إلاّ اللّه تفلحوا**.

ثمّ بعد التّوحيد تصل النّبوة إلى النّبوة و هى أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه، ثمّ الإيمان بما جاء النّبي به من الكتاب و السنّة و أنّما عبّر عن القرآن بالنُّور لأنّ النُّور ظاهرٌ بالذّات و مظهرٌ للغير يعني نورانيّة النُّور بذاته و نورانيّة غيره به و هذا بعينه خاصيّة الوجود و لذلك ترى الفلاسفة الأشراق يعبّرون عن الواجب تعالى الّذي هو حقيقة الوجود بنور الأنوار، و ترى فلاسفة المشّاء يعبّرون عنه تعالى بواجب الوجود قال اللّه تعالى: **اَللّٰهُ نُورُ ٱلسَّمٰواتِ وَ ٱلْأَرْضِ** و إذا كان الواجب نور الأنوار فكلامه أيضاً نور و القرآن و جميع الكتب السّماوية نورٌ إذ لا يوجد من النُّور إلاّ النُّور كما لا يوجد من الظُّلمة إلاّ الظُّلمة:

قال اللّه تعالى: **اَللّٰهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُماتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيآؤُهُمُ ٱلطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُماتِ أُولٰئِكَ أَصْحابُ ٱلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ**[٢].

و في قوله: **أَنْزَلْنا** إشارة إلى أنّه كلام اللّه لا كلام البشر **وَ ٱللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** أي أنّ اللّه عالم بأعمالكم لا يخفي عليه شئ.

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغابُنِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَ يَعْمَلْ صالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيهآ أَبَدًا ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

١- الجُمعة = ٨ ٢- البَقرة = ٢٥٧

يوم يجمعكم، قيل تقديره اذكروا يوم يجمعكم (ليوم الجمع) أي ليوم القيامة سمّي به لأنّ اللّه تعالى يجمع فيه الأوّلين و الأخرين لأجل الحساب و يجزيهم بما عملوا في الدّنيا من الثّواب و العقاب ثمّ قال تعالى: **ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ** و التّغابن هو التّفاوت في أخذ الشّئ بدون القيمة و من المعلوم أنّ الّذين أخذوا الدّنيا بالأخرة بهذه الصّفة في أنّهم أخذوا الشّئ بدون القيمة فقد غبنوا أنفسهم بأخذ النّعيم المنقطع بالدّائم و أغبنهم الّذين إشتروا الأخرة بترك الدّنيا المنقطع إليها من هؤلاء الّذين تغابنوا عليها.

و قال مجاهد و قتادة التّغابن غبن أهل الجنّة أهل النّار قاله بعض المفسّرين و هو حقّ لا بأس به إلاّ أنّ الآية تحتاج إلى توضيح أبسط و بيان أشمل لأنّها من أحسن المواعظ لمن يتدبّر فيها بعين البصيرة فنقول:

التّغابن بفتح التّاء و ضمّ الباء من باب التّفاعل و هو على ما قاله في الكشّاف مستعارٌ من تغابن القوم في التّجارة و هو أن يغبن بعضهم بعضاً قيل سمّي يوم القيامة يوم التّغابن لأنّه غبن فيه أهل الجنّة أهل النّار أي أنّ كلّ واحدٍ منهما أخذ ما أخذ على طريق المبادلة فوقع الغبن لأجل مبادلتهم الخير بالشّر و الجيّد و الرّديئ و النّعيم بالعذاب يقال غبنت فلاناً إذا بايعته فكان النّقص عليه و الغلبة لك و كذا أهل الجنّة و أهل النّار.

قال بعض الأدباء التّغابن تفاعلٌ من الغبن وليس من أثنين بل هو من واحدٍ، مثل تواضع و تحامل و تكاثر إنتهى.

ثمّ أنّ هذا تمثيل الغبن في البيع و الشّراء كما قال اللّه تعالى: **أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلٰلَةَ بِالْهُدىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجٰارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**[1].

فلمّا ذكر اللّه أنّ الكفّار إشتروا الضّلالة بالهدى، و ما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر في هذه الآية أنّهم غبنوا، و ذلك أنّ أهل الجنّة إشتروا الأخرة بترك

١- البقرة = ١٦

الدّنيا و إشترى أهل النّار الدّنيا بترك الأخرة و هذا نوع مبادلةٍ إتّساعاً و مجازاً.

قال الحسن و قتادة بلغنا أنّ التّغابن في ثلاثة أصناف، رجلٌ علم علماً فعلّمه و ضيّعه هو و لم يعمل به فشقي به، و عمل به من تعلّمه منه فنجا به، و رجلٌ إكتسب مالاً من وجوهٍ يسأل عنها وشحّ عليه و فرّط في طاعة ربّه بسببه و لم يعمل فيه خيراً و تركه لوارث لا حساب عليه فيه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربّه، و رجلٌ كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربّه فسعد، و عمل السّيد بمعصية ربّه فشقي إنتهى.

أقول التّغابن لا يختصّ بما ذكره بل هو معنى عامّ و مصداقه الأكمل التّغابن في الدّين و ليس المراد بالدّين أعني التّوحيد و النّبوة و المعاد، الإقرار اللّفظي به كما في المنافق بل المراد الإقرار و الإعتقاد و العمل و هو الإيمان فمن مات على الإيمان فقد أفلح و من مات على الكفر و النّفاق فقد خسر، و لذلك قال: **وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَ يَعْمَلْ صٰالِحًا** أي عملاً صالحاً موافقاً للشّرع **يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئٰاتِهِ** الّتى أتى بها حال كفره فأنّ الإسلام يجبّ ما قبله هذا إذا قلنا أنّ الآية ناظرةٌ إلى إيمان الكفّار و أمّا إذا قلنا أنّ الآية لا تختصّ بالكفّار بل المقصود منها فسّاق المسلمين فالمعنى أنّ اللّه تعالى يعفوا عن سيّئاتهم و يغفر لهم **وَ يُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَدًا ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** أيُّ فوزٍ أعظم من تكفير السّيئات و دخول الجنّة و الخلود فيها إلى الأبد.

وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ ٱلنّٰارِ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَ بِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

لمّا وعد اللّه المؤمنين في الآية السّابقة بما وعد من الخلود في الجنّة هدّد الكفّار الّذين بقوا على كفرهم و ماتوا عليه ولم يؤمنوا بالنّار و الخلود فيها و بئس المرجع و المأل نار جهنّم و الخلود فيها لأنّها نشأت عن غضب اللّه.

مَآ أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

ما، نافية بمعنى ليس و المعنى ليس يصيبكم مصيبة إلاّ بأذن اللّه تعالى أي بإرادته و قضاءه.

و قال الفرّاء يريد إلاّ بأمر اللّه، و قيل إلاّ بعلم اللّه و الحقّ هو القول الأوّل أي بقضاءه و إرادته على أساس المصلحة الّتى لا يعلمها إلاّ اللّه قيل في سبب نزول الآية أنّ الكفّار قالوا لو كان الإسلام الّذي إختاره المسلمون حقّاً لصانهم اللّه عن المصائب في الدّنيا ببركة الإسلام فقال تعالى أنّ ما أصاب من مصيبة فى نفسٍ أو مالٍ أو قولٍ أو فعلٍ يقتضي جمّاً أو يوجب عقاباً عاجلاً أو آجلاً فبعلم اللّه و قضاءه و قدره على ما إقتضته المصلحة و الحكمة.

وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ أي من يصدّق باللّه و يعترف بوحدانيّته **يَهْدِ قَلْبَهُ** أي يهدي اللّه قلبه بأنّ المصيبة بأذن اللّه هذا إذا قرئ بفتح الياء و كسر الدّال كما هو المشهور بين القّراء و أمّا إذا قرأناه بفتح الدّال فالمعنى يسكن قلبه.

و حاصل الكلام أنّ المؤمن يعلم أنّ الدّنيا دارٌ بالبلاء محفوفةٌ و بالغدر معروفةٌ و قضاء اللّه لا مردّ له و كلّ ما يصيب العبد من المصائب و البليّات فهو بمصلحته عاجلاً أو آجلاً فهو راضٍ بقضاءه و قدره و اللّه تعالى يهد قلبه عند المصيبة فيقول العبد عندها **إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** لأنّ اللّه قال لنبيّه و بشّر الصّابرين **ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**[1] و يُثاب على ذلك يوم القيامة و قرأ قتادة **يُهْدَ قَلْبه** بضّم الياء و فتح الدّال على الفعل المجهول و رفع الباء في **قلبُه** لأنّه إسم فعلٍ لم يسمَّ فاعله، و قرأ طلحة بن مصرّف و الأعرج **نَهِد قَلبه** بنُون على التّعظيم و على هذا فالباء في قلبه بالنّصب.

١- البقرة = ١٥٦

و قرأ عكرمة **يُهدء قَلبَه** بهَمَزةٍ ساكنة و رفع الباء أي يسكن و يطمئنّ و الأقوال المحتملة كثيرة و لكلٍّ منها وجهٌ وجيه و المعنى لا خفاء فيه **أَلا بِذِكْرِ اَللّٰهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ وَ اَللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** فلا يخفى عليه شئ و لو كان في القلب.

وَ أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمٰا عَلىٰ رَسُولِنَا اَلْبَلاٰغُ اَلْمُبِينُ

التَّولي الإعراض و المعنى أطيعوا اللّه و رسوله و أنّما قال و أطيعوا الرّسول مع أنّ الأصل إطاعة اللّه و الرَّسول يدعو إلى اللّه لا إلى نفسه فإطاعة اللّه تكفي للعبد، للإشارة إلى أنّ إطاعة اللّه لا تحصل إلاّ بعد إطاعة الرَّسول لأنّه الواسطة بين الخالق و المخلوق فلو كانت إطاعة اللّه بدون إطاعة الرّسول ممكناً للعبد فأيّ إحتياجٍ كان لارسال الرُّسل و إنزال الكتب و الحاصل أنّ إطاعة الرّسول إطاعة اللّه و مخالفته مخالفته فمن أعرض عن الرَّسول فقد أعرض عن اللّه.

و من المعلوم أنّه ليس على الرَّسول إلاّ تبليغ أحكام اللّه إتماماً للحجّة مضى الكلام في هذا المعنى فيما مضى بما لا مزيد عليه.

اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ عَلَى اَللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ أمّا أنّه لا إله إلاّ هو فقد سبق الكلام منّا فيه و أقمنا البراهين العقليّة و النَّقلية على التّوحيد، و أمّا أنّ المؤمن يتَّوكل على اللّه لا على غيره فالوجه فيه أنّه أمن به و إعتقد أنّه تعالى هو المعبود الّذي يستحقّ أن يعبد و أنّه لا مؤثّر في الوجود إلاّ هو و إذا كان كذلك فالعقل يحكم بالتَّوكل عليه في جميع الأمور لأنّه تعالى أعلم بمصالح العباد من أنفسهم.

يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ اٰمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ وَ أَوْلاٰدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

من، للتّبعيض خاطب اللّه المؤمنين و أخبرهم بأنّ بعض الأزواج و الأولاد في زمرة أعداء الرّجل ثمّ أمره بالحذر عنهم و عدم إطاعتهم.

قال إبن عبّاس نزلت هذه الآية بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي، شكا إلى النّبي ﷺ جفاء أهله و ولده، و حكاه الطّبري عن عطاء بن يسار قال نزّلت سورة التّغابن كلّها بمكّة إلاّ هؤلاء الأيات نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل و ولدٍ و كان إذا أراد الغزو بكوا إليه فقالوا إلى من تدعنا فيَّرق فيقم، فنزلت **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ**.

و روى التّرمذي عن إبن عبّاس و سأله رجلٌ عن هذه الآية فقال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكّة و أرادوا أن يأتوا النّبي ﷺ فأبى أزواجهم و أولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النّبي ﷺ فلمّا أتوا النّبي رأوا النّاس قد فقّهوا في الدّين همُّوا أن يعاقبوهم فأنزل اللّه تعالى هذه الآية نقله القرطبي في تفسيره.

و نحن نقول خصوص المورد لا ينافي عموم المعنى فالمعنى عامٌّ يشمل جميع المؤمنين إلى يوم القيامة فأنّ عداوة الأزواج و الأولاد في زماننا هذا أشدَّ و أعظم من عداوة الأزواج و الأولاد في صدر الإسلام بل أكثرهم في هذا الزّمان كذلك إلاّ ما شذَّ و نذر.

قال بعض المحقّقين هذا يبيّن وجه العداوة فأنّ العدُّو لم يكن عدّواً لذاته و أنّما كان عدّواً بفعله فإذا فعل الزّوج و الولد فعل العدُّو كان عدوّاً و لا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد و بين الطّاعة إنتهى.

ثمّ قال تعالى: **وَ إِنْ تَعْفُوا** يعني تتركوا عقابهم **وَ تَصْفَحُوا** و تعرضوا عمّا صدر منهم (و تغفروا) أي تستروا ذنوبهم إذا تابوا و أقلعوا عنها **فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** أي ستّار على خلقه **رَّحِيمٌ** بهم لأنّه أرحم الرّاحمين.

إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَ أَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَ ٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ

كلمة، أنّما، تفيد الحصر و المعنى أنّ أموالكم و أولادكم فتنة، أي محنة و إبتلاء و قال قتادة يعني بلاء و إختبار يحمّلكم على كسب المحرَّم و منع حقّ اللّه تعالى فلا تطيعوهم في معصية اللّه و لأجل ذلك قيل لا يقولَنّ أحدكم، اللّهم أعصمني من الفتنة، فأنّه ليس أحد منكم يرجع إلى مالٍ و أهلٍ و ولدٍ إلاّ و هو مشتملٌ على فتنةٍ ولكن ليقل اللّهم أني أعوذ بك من مضّلات الفتن و لذلك أدخل (من) الّتى للتّبعيض في قوله: **إِنَّ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ وَ أَوْلٰادِكُمْ عَدُوًّا** أي بعضهم كذلك و لم يذكر (من) في قوله تعالى: **إِنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلٰادُكُمْ فِتْنَةٌ** لأنّهما لا يخلون من الفتنة و إشتغال القلب بهما.

روى التّرمذي و غيره عن عبد اللّه بن بريدة عن أبيه قال رأيت النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فجاء الحسن و الحسين عليهما السّلام و عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران فنزل النّبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المنبر و وضعهما بين يديه ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: صدق اللّه عزّ وجلّ أنّما أموالكم و أولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصَّبيين يمشيان و يعثران فلم أصبر حتىّ قطعت حديثي و رفعتهما ثمّ أخذ رسول اللّه في خطبته.

أقول و الّذي ظهر لنا من هاتين الأيتين أمران:

أحدهما: أنّ بعض الأزواج و الأولاد في زمرة الأعداء واقعاً و هم الّذي يحمّلون على الزَّوج و الأب كسب المحرَّم و غصب حقّ الغير و منع حقّ اللّه كما هو شأن الأزواج و الأولاد في زماننا هذا و ذلك لأنّهم لا يقنعون بما قدَّر اللّه لهم من رزق الحلال.

الثّاني: أنّ الأموال و الأولاد فتنة أي بلاء و إختبار في دار الدُّنيا وكلا الأمرين لا شكّ فيهما فينبغي للإنسان أن يعرف قدره و منزلته و لا يتّجاوز طوره و لا يطيعهم في معصية اللّه.

ثمّ قال: **وَ ٱللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** يوم القيامة لمن صبر على هذا البلاء و حفظ دينه و لا يمكن هذا إلاّ بتوفيقٍ من اللّه تعالى.

فَاتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَ ٱسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

الفاء للتّفريع أي إذا عرفتم حال الأزواج و الأولاد و الأموال فلا تعتمدوا عليهم **فَاتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** بفعل الواجبات و ترك المحرّمات بقدر الإستطاعة و القدرة فأنّ اللّه تعالى: **لا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلّا وُسْعَهَا** و ذلك لأنّ التّكليف بما لا يطاق قبيحٌ عقلاً و شرعاً.

وَ ٱسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا أي و أسمعوا كلام اللّه أو كلام الرّسل و أطيعوا أوامره و نواهيه **وَ أَنْفِقُوا** في سبيل اللّه من أموالكم ما هو خيرٌ لأنفسكم غداً يوم القيامة **وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** الوقاية الحفظ و المنع يقال وقاه اللّه شرّ فلان أي حفظه و منع الشّر عنه، و المعنى من وقىٰ و حفظ شحّ نفسه، و فعل ما أوجبه اللّه عليه فهو من الفائزين بثواب اللّه.

إذا عرفت تفسير ألفاظ الآية فأعلم أنّ هاهنا كلام بين المفسّرين لا بأس بالإشارة إليه و هو أنّ هذه الآية هل هي ناسخة لقوله تعالى: **ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** أم ليست بناسخة لها فذهب قوم إلى أنّها ناسخة لها منهم قتادة و السُّدي و الرّبيع بن أنس و إبن زيد قالوا لمّا نزل قوله تعالى: **ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**[1] قال المسلمون جاء أمرٌ شديدٌ و من يعرف قدر هذا أو يبلغه فلمّا عرف اللّه أنّه إشتدّ ذلك عليهم نسخها عنهم و جاء بهذه الآية الأخرى فقال: **فَاتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** و قيل هي محكمة لا نسخ فيها فقال إبن عبّاس أنّ قوله تعالى: **ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** لم تنسخ و لكن حقّ تقاته أن يجاهد للّه حقّ جهاده و لا يأخذهُم في اللّه لومة لائمٍ و يقوموا للّه بالقسط ولو على أنفسهم و أبائهم و أبنائهم.

١- أل عمران = ١٠٢

فأن قلت إذا كانت هذه الآية محكمة غير منسوخة فما وجه قوله: **فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** و كيف يجوز إجتماع الأمر بإتّقاء اللّه حقّ تقاته و الأمر بإتّقاءه ما إستطعنا و الأمر بإتّقاءه حقّ تقاته إيجاب القرأن بغير خصوص وصل بشرط، و أمّا الأمر بإتّقاءه ما إستطعنا أمرٌ بإتّقاءه موصولاً بشرطٍ.

قلت قوله: **فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** بمعزلٍ عمّا دلَّ عليه قوله: **اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ** و أنّما عنى بقوله: **فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** فإتّقوا اللّه أيّها النّاس و راقبوه فيما جعل فتنة لكم في أموالكم و أولادكم أن تغلبكم فتنتهم و تصدّكم عن الواجب للّه عليكم من الهجرة عن أرض الكفر إلى أرض الإسلام فتتركوا الهجرة ما إستطعتم بفتنة أموالكم و أولادكم و ممّا يدلّ على هذا أنّ قوله: **فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** عقيب قوله: **يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ وَ أَوْلٰادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** هكذا قيل و قد أطالَ المفسّرون البحث حول الآية في أنّها ناسخة أو غير ناسخة و لا سيّما مفسرين العامّة.

و الّذي نقول في المقام هو أنّ البحث لا محلَّ له أصلاً و ليس في المقام ناسخاً و لا منسوخاً و ذلك لأنّ قوله تعالى في سورة أل عمران **اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ** لا ينافي قوله: **فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** و ذلك لأنّ قدرة المكلّف على الفعل و إستطاعته شرطٌ عقلّي و هو موجود في الأيتين ذكر أو لا يذكر و ذلك لأنّ التّكليف مشروط بالقدرة عقلاً لقوله تعالى: **لا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا إِلّٰا وُسْعَهٰا** فكلّ ما لا يقدر العبد على فعله و الإتيان به لا يكلّف به قطعاً و على هذا فقوله تعالى: **اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ** نَقديره إتّقوا اللّه حقّ تُقاته ما إستَطَعتُم.

و حاصل الكلام هو أنّ مفاد الأيتين واحد و الإستطاعة شرط فيهما عقلاً و قد ثبت أنّ الشّروط العقليّة لا تحتاج إلى الذِّكر فإذا قال المولى صوموا تصحّوا، أو حجُّوا أو صلُّوا أو جاهدوا، تقديره إن إستطعتم فمن كان مريضاً لم يقدر على الصَّوم و من كان فقيراً أو مريضاً لم يقدر على الحَّج و هكذا إذا قال المولى

صلِّ قائماً معناه صلِّ قائماً إن إستطعت و هذا معلوم لا يحتاج إلى إطالة الكلام و العجب من المفسرين حيث لم يفرّقوا بين الشَّرط العقليّ و النقليّ و لم يعلموا أنّ الإستطاعة و القدرة غير الطّهارة في الصّلوة و أنّ الطّهارة في الصّلٰوة لابدّ لها من بيان بخلاف القدرة على الفصل فأنّها لا تحتاج إلى ذكرٍ أو بيان لإستقلال العقل بلزومه سواء ذكر أم لم يذكر هذا و اللّه أعلم.

إِنْ تُقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضٰاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ ٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ، عٰالِمُ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهٰادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

القرض أخذ قطعةٍ من المال بتمليك الآخذ له على ردّ مثله و أصله القطع من قرض الشّئ يقرضه قرضاً إذا قطع منه قطعةً، و المعنى إن **تُقْرِضُوا ٱللَّهَ** أي تنفقوا في سبيل اللّه و هو كالقرض في مثله مع أضعافه و ليس معناه أن يملك اللّه تعالى لأنّه مالك لجميع الأشياء و المالك لا يملّك ما هو مالكه و يحتمل أن يكون المراد أن يقرض المؤمن قربةً إلى اللّه.

و قوله تعالى: **يُضٰاعِفْهُ لَكُمْ** أي يضاعف ثوابه لكم **وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ ٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ** معناه أنّه تعالى يجازي على الشُّكر و لا يعاجل العباد بما يستحقّونه من العقاب **عٰالِمُ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهٰادَةِ** أي يعلم السّر و العلانيّة و هو العزيز الحكيم، أي هو الّذي متّصف بالقدرة و الحكمة في جميع أفعاله و قد مرَّ الكلام في آية القرض فى سورة البقرة و الحديد مفصّلاً.

■

سُورَةُ ٱلطَّلَاقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓ أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا ٱلْعِدَّةَ وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَنْ يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْأٰخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَ ٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِنْ نِسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَ ٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَ أُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ

أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

◄ اللّغة

طَلَّقْتُمُ: الطّلاق في الأصل التّخلية من الوثاق يقال أطلقت البعير من عقاله و منه أسُعير طلّقت المرأة.

ٱلْعِدَّةَ: بكسر العَين و فتح الدّال المشدّدة قعود المرأة عن الزّواج حتّى تنقضي المدّة المقررة في الشّريعة.

بِفَٰحِشَةٍ: الفاحشة كلّ فعلٍ قبيح و المراد بها في المقام الزّناء.

نُكْرًا: النُّكر بضّم النُّون ما ينكره الطّبع.

وَبَالَ: بكسر الواو الوزر و الإثم.

ٱلْأَلْبَٰبِ: جمع لبّ و هو العقل.

◄ الإعراب

بَٰلِغُ أَمْرِهِ يقرأ بالتّنوين و النّصب و بالإضافة و الجرّ و الإضافة غير محضة، و يقرأ بالتّنوين و الرّفع على أنّه فاعل بالغ، و قيل أمره مبتدأ و بالغ خبره وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ هو مبتدأ و الخبر محذوفٌ أي فعدّتهن كذلك أَجَلُهُنَّ مبتدأ و أَنْ يَضَعْنَ خبره و الجملة خبر أولات مِنْ وُجْدِكُمْ بضّم الواو و فتحها و الوجد الغنى رَسُولًا.

الاوّل: ينتصب بذكر أو يجوز أن يكون بدلاً من ذكراً.

الثّانى: و يكون الرّسول بمعنى الرّسالة و يَتْلُوا على هذا نعتٌ.

الثّالث: أن يكون حالاً من إسم اللّه.

قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُ الجملة حال ثانية و أو حال من الضّمير في خالدين مِثْلَهُنَّ بالنّصب و الرّفع فالنّصب على أنّه معطوف على (و خلق من الأرض مثلهنّ) و الرّفع على الإستئناف و يَتَنَزَّلُ مستأنف و يجوز أن يكون حالاً لما قبله و لكلٍّ وجهٌ وجيهٌ و اللّه أعلم.

◄ التّفسير

يٰٓ أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا ٱلْعِدَّةَ وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرًا

الخطاب للنّبي و المراد الأمّة **إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ** أي إذا أردتم طلاق النّساء، و قيل تقدير الكلام، يا أيّها النّبي قل لأمّتك إذا طلّقتم النّساء فعلى هذا القول يكون النّبي خارجاً عن الحكم.

و قيل هو على خطاب الرّئيس الّذي يدخل فيه الأتباع فعلى هذا حكم النّبي حكم أمّته و أجمعت الأمّة على أنّ حكم النّبي حكم الأمّة في الطّلاق، ذكره الشّيخ في التّبيان.

أقول في الآية مباحث:

الأوّل: أنّ قوله **يٰٓ أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ** الخطاب للنّبي ولجميع الأمّة و لكن خصّه اللّه تعالى بالذّكر لأنّه الرّئيس المقدّم جرى سبحانه في ذلك على المتعارف في توجّه الخطاب إلى أشرف القوم فيما يراد منهم و يرشد إلى ذلك التّعبير من الحكم بصيغة الجمع و الإجماع على أنّ حكمه في الطّلاق حكم أمّته و قيل المعنى قل لأمّتك و هو بعيد و المعنى إذا أردتم فهو على المجاز المشهور و قد مرّ معناه أي معنى الطّلاق في اللُّغة.

و أمّا في الشّرع فهو إزالة قيد النّكاح بصيغة طالق من القادر على النّطق بها و بالإشارة من العاجز مع كون ذلك من غير عوضٍ و القيد الأخير لإخراج الطّلاق بالعوض فأنّه من أقسام الخلع كما هو أحد القولين في المسألة و هو أي الطّلاق ينقسم إلى بدعيٍّ، و سنيٍّ، و المراد بالبدعي ما لم يقع على الشُّروط الاتى

ٱعتبرها الشّارع في صحّته، كما أنّ المراد من السُّني ما إجتمع فيه الشُّروط و يعبّر عنه بالسنيّ بالمعنى الأعمّ لشموله لكلّ طلاقٍ صحيحٌ و هو أنواعٌ:

منها، ما لم يكن للمطلّق فيه الرُّجوع و يسمّى البائن كطلاق الغير المدخول بها و الصَّغيرة و الخلع و المباراة و المطلّقة ثلاثاً بينها رجعتان و المطلّقة تسعاً للعدّة و الأيس.

و منها، ما يطلّقها و يراجعها في العدّة و يواقعها و يسمّى طلاق العدّى.

و منها، ما يطلّقها و يراجعها بعد إنقضاء العدّة بعقدٍ جديدٍ و مهرٍ و يسمّى السُّني بالمعنى الأخصّ.

و منها، ما يطلّقها و يراجعها في العدّة لكن لم يواقعها.

و منها، ما يطلّقها و لم يراجعها مطلقاً و هذا يدخل في السُّني بالمعنى الأخصّ كما يفهم من الرّوايات و قد يعبّر عمّا عدا البائن بالرّجعي لأنّه ممّا يصحّ فيه الرّجوع.

فقد روي الشّيخ في الصّحيح من زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال كلّ طلاقٍ لا يكون على السُّنة أو على طلاق العدّة فليس بشئٍ، قال زرارة قلت لأبي جعفر عليه السلام فسِّر لي طلاق السنّة و طلاق العدّة فقال عليه السلام أمّا طلاق السنّة فإذا أراد الرّجل أن يطلّق إمرأته فلينتظرها حتّى تطمث و تطهر فإذا خرجت من طمثها طلّقها تطليقةً من غير جماع و يشهد شاهدين على ذلك ثمّ يدعها حتّى تطمث طمثتين فتنقضي عدتّها بثلاث حيض و قد بانت منه و يكون خاطباً من الخطّاب إن شائت تزوجته و إن شائت لم تتزوّجه نفقتها و السُّكنى ما دامت في عدتّها و هما يتوارثان حتّى تنقضي العدّة، قال عليه السلام و أمّا طلاق العدّة الّتى قال اللّه تعالى: فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا ٱلْعِدَّةَ فإذا أراد الرّجل أن يطلّق إمرأته طلاق العدّة فلينتظرها حتّى

تحيض و تخرج من حيضها ثمّ يطلّقها تطليقة من غير جماعٍ و يشهد شاهدين عدلين و يراجعها من يومه ذلك إن أحبَّ أو بعد ذلك بأيّام قبل أن تحيض و يشهد على رجعتها و يواقعها و يكون معه حتّى تحض فإذا حاضت و خرجت من حيضها طلّقها تطليقةً أخرى من غير جماعٍ و يشهد على ذلك ثمّ يراجعها أيضاً متى شاء قبل أن تحيض و يشهد على رجعتها و يواقعها و يكون معها الى أن تحيض الثّالثة فإذا خرجت من حيضها طلّقها الثّالثة بغير جماعٍ و يشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بانت مه و لا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره قيل له و إن كانت ممّن لا تحيض فقال مثل هذه تطلق طلاق السنّة. و الظّاهر أنّ المراد بالسُّنة هنا المعنى الخّاص.

و أيضاً عن الباقر و الصّادق عليهما السّلام أنّهما قالا: الطّلاق الّذي أمر اللّه تعالى به في كتابه و سنَّة نبيّه أنّه إذا حاضت المرأة و طهرت عن حيضها أشهد رجلين عدلين من قبل أن يجامعها على تطليقة ثمّ هو أحقّ برجعتها ما لم تمض ثلاثة قروءٍ فأن راجعها كانت عنده على تطليقتين أي باقيتين و إن مضت ثلاثة قروءٍ قبل أن يراجعها فهي أملك بنفسها.

البحث الثّانى: في قوله تعالى: **وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ** و العدَّة تعوّد المرأة عن الزّواج حتّى تنقضي المدَّة المقرّرة المرتبّة في الشَّريعة و هى على أقسام:

أحدها: عدَّة الّتى لم تبلغ المحيض و مثلها لا تحيض و هى الّتى لم تبلغ تسع سنين فهذه لا عدَّة عليها عند أكثر أصحابنا و فيهم من قال عدَّتها بالشُّهور.

و عدَّة الّتى لا تحيض و مثلها تحيض ثلاثة أشهر بلا خلاف، و عدَّة الّتى تحيض ثلاثة أقرء و هى الأطهار عندنا و عند كثير من الفقهاء و عند قومٍ أنّها الحيض و عدة الاتى ترتفع حيضها و مثلها تحيض ثلاثة أشهر بلا خلاف و قد

حدَّ ذلك أصحابنا بأن يكون سنّها أقلّ من خمسين سنة و عدَّة الآيسة من المحيض و مثلها لا تحيض فلا عدَّة عليها عند أكثر أصحابنا.

و قال قومٌ عدّتها بالأشهر و حدّ ذلك أصحابنا بأن يزيد سنّها على خمسين سنة و القريشيّة حدُّوها بستّين سنة فصاعداً، و عدَّة الحامل وضع ما في بطنها إذا كانت عدَّة الطّلاق فأن كانت عدَّة الوفاة فأبعد الأجلين من وضع الحمل و مضيّ أربعة أشهر و عشرة أيّام.

و قال الفقهاء عدَّة المتوفّي عنها زوجها وضع ما في بطنها ذكره الشّيخ قدس سره في التّبيان.

البحث الثّالث: قوله **وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ** و المعنى لا ترتكبوا المعاصي و لا تخرجوا المطلّقات من بيوتهنّ بعد الطّلاق.

نهى اللّه تعالى عن إخراج المطلّقات من الموضع اللاّئق بهنّ ما دامت المرأة في العدَّة و هذا الحكم ثابتٌ بالنّسبة إلى ذات العدَّة الرَّجعيَّة كما يدلّ عليه قول اللّه تعالى: **لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرًا** و يدلّ عليه ما رواه أبو بصير عن أحدهما عليهما السّلام في المُطلَّقة أين تعتدّ.

فقال عليه السلام: في بيتها إذا كان الطّلاق عليها رجعة ليس له أن يخرجها و لا لها أن تخرج حتّى تنقضي عدَّتها.

و في رواية أخرى المطلَّقة تعتدّ في بيتها و تظهر له زينتها لعلَّ اللّه يحدث بعد ذلك أمراً.

و في الصّحيح عن سعد بن أبي خلف قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن شئ من الطّلاق فقال عليه السلام: إذا طلَّق الرّجل إمرأته طلاقاً لا يملك فيه الرَّجعة فقد بانت منه ساعة طلَّقها و نلكت نفسها و لا سبيل عليها و تذهب حيث شاءت و لا نفقة لها عليه قال قلت أليس اللّه يقول لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ و لا يخرجن فقال عليه السلام أنّما

عني الّذي تطلق تطليقة بعد تطليقة فتلك الّتى لا تخرج حتّى تطلق الثّالثة فإذا طلّقت الثّالثة فقد بانت منه و لا نفقة لها و المرأة الّتى يطلّقها الرّجل تطليقة ثمّ يدعها حتّى يخلوا أجلها فهذه أيضاً تعتدّ في منزل زوجها و لها النّفقة و السُّكنى حتّى تنقضي عدّتها إنتهى.

و الأخبار بهذه المضامين كثيرة و تفصيل الكلام في هذه الأحكام خارج عن موضوع الكتاب و من أراد الوقوف عليها تفصيلاً فعليه بمراجعة الكتب الفقهيّة.

البحث الرّابع: قوله تعالى: **وَ لا يَخْرُجْنَ إِلّآ أَنْ يَأْتِينَ بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ** الظّاهر من الآية و الرّوايات أنّه لا يجوز له الإخراج و لا يجوز لها الخروج من بيتها من جهة حقّها و حقّه فحقّها السُّكنى و النّفقة و حقّه بضعها و لهذا لا ينبغي لها ترك الزّينة في تلك الحال فلو تراضيا و أذن لها بالخروج جاز ذلك لها و إليه ذهب كثير من أصحابنا و يؤيّده إستصحاب حال الزّوجية و أنّ المطلّقة بحكمها فكما جاز لها الخروج بأذنه في تلك الحال جاز هنا أيضاً.

و ما رواه الحلبي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: لا ينبغي للمطلّقة أن تخرج إلاّ بأذن زوجها حتّى تنقضي عدّتها ثلاث قروء أو ثلاثة أشهر و غيره من الأخبار.

و قال بعض الفقهاء من العامّة و الخاصّة إلى أنّ النّهي في الآية تعلّق بنفس الخروج غير مقيَّدٍ بشئٍ فيكون ذلك حقّ اللّه فلا يجوز لها الخروج و إن أذن الزّوج، و فيه نظرٌ واضح لأنّ قوله تعالى لعلَّ اللّه يحدث بعد ذلك أمراً من قبيل العلّة لعدم الخروج ففيه تنبيهٌ واضح على كونه حقّ الزّوج فيجوز له الإذن و يجوز لها الخروج و اللّه أعلم.

و أمّا قوله: **إِلّآ أَنْ يَأْتِينَ بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ** فالظّاهر أنّ الإستثناء من الإخراج أي لا يجوز للزّوج إخراجها إلاّ في هذه الصُّورة ثمّ أنّهم إختلفوا في معنى الفاحشة المبيّنة في الآية.

فمنهم، من قال المراد بها أن تؤذي المرأة أهل زوجها فإذا فعلت ذلك فأن شاء أن يخرجها من قبل أن تنقضي عدّتها فعل.

و في روايةٍ أخرى قال عليه السلام: أذاها لأهل الرّجل و سوء خلقها.

و قيل برجوعه إلى الخروج أي أنّ خروجها قبل إنقضاء عدّتها في نفسه فاحشة، و قيل الفاحشة هي الزّناء، فتخرج لإقامة الحدّ عليها و به قال المفيد في المقنعة و الطُّوسي قدس سره في النّهاية و هو الظّاهر من إبن بابويه في الفقيه حيث قال فيه:

و سئل الصّادق عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ رَبَّكُمْ إلى قوله: بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ قال عليه السلام: ألاّ أن تزني فتخرج و يقام عليها الحدّ و هو المنقول عن جماعةٍ من مفسّري العامّة أيضاً.

و قيل هي النُّشوز فإذا طلّقها على نشوزٍ منها سقط حقّها من السُّكنى.

و قيل هي كلّ معصيةٍ للّه ظاهرة و قيل غير ذلك كما قال إبن عمر هو خروجها قبل إنقضاء عدّتها و أحسن الأقوال الّذي لا خلاف فيه هو أنّ المراد بها الزّناء و اللّه أعلم.

البحث الخامس: في قوله تعالى: **وَ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاٰ تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرًا** قوله: **تِلْكَ** إشارة إلى جميع الأحكام المذكورة الشّاملة لخروجها و إخراجها تأكيداً للحكم و تحذيراً عن المخالفة المبيّنة عن سخط اللّه و عذابه.

فقد روى في الكافي عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام لا يقع الطّلاق إلاّ على الكتاب و السُّنة لأنّه حدٌّ من حدود اللّه تعالى حيث يقول و إذا طلقتم النّساء الآية و يقول و أشهدوا ذوي عدلٍ منكم، و يقول و تلك حدود اللّه و من يتّعد حدود اللّه فقد ظلم نفسه.

و أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ردَّ طلاق عبد اللّه بن عمر لأنّه كان خلاف الكتاب و السُّنة، و مقتضى الآية إطلاق الظّالم على فاعل المعصية مطلقاً.

و أمّا قوله: **لٰا تَدْرِي** فالخطاب للنّبي ظاهراً و للأمّة واقعاً و قوله: **لَعَلَّ ٱللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرًا** يعني بعد الطّلاق و إنقضاء العدّة التّزويج لها من قبل أن تتّزوج زوجاً غيره أي ما بين الطّلقة الأولى و الثّانية و ما بين الثّانية و الثّالثة فهو علّة لجعله سبحانه الطّلاق مرّتين و بالثّالثة تحتاج إلى المحلّل.

فَإِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فٰارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا ٱلشَّهٰادَةَ لِلّٰهِ ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كٰانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْاٰخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ ٱللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

لمّا ذكر اللّه تعالى في الآية السّابقة حكم المطلّقات و الطّلاق و أنّه إذا كان في العدّة لابدّ للمطلّق و المطلّقة إحصائها و لا يجوز له إخراج المطلّقة عن بيتها خروجها عنه بغير إجازة الزّوج و غيرها من الأحكام ذكر في هذه الآية حكمها بعد خروجها عن العدّة فقال: **فَإِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ** المراد بالأجل هو خروجها عن العدّة المضروبة لها بعد الطّلاق و المعنى إذا قاربن إنقضاء العدّة **فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فٰارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** و المعنى إذا قاربن الخروج من عدتهنّ فأنتم مخيّرون بين إمساكهنّ بأن تراجعوهنّ بمعروفٍ بما يجب لها من النّفقة و الكسوة و المسكن و حسن الصُّحبة، و بين مفارقتهنّ بمعروفٍ بأن تتركوهنّ حتّى يخرجن من العدّة و هذا أي التّخيير قبل إنقضاء العدّة و أمّا بعده فالمطلّقة تملك نفسها و تتزوّج بمن شاءت و أرادت و المطلّق أحد الخطّاب كغيره من أحاد النّاس و ذلك لأنّ المطلّق له حقّ الرّجوع إلى المطلّقة قبل إنقضاء العدّة و أمّا بعده فلا حقّ له و أنّما هو كغيره من الخطّاب و لأجل هذا ترى المفسّرين فسّروا (بلغن) ب(قاربن) أي قاربن إنقضاء العدّة لأنّه عند

إنقضاء العدّة و الأجل لا يملك رجعتها و قد ملكت المرأة نفسهابانت منه بواحدة ثمّ تتزوّج من شاءت هو أو غيره ثمّ أنّ المطلّق إن أراد الرُّجوع و إمساك المرأة على ما كانت قبل فلاكلام فيه لأنّ الرّجوع حقّه و أمّا أن أراد المفارقة فلا رجوع له حتّى خرجت من العدّة، ثمّ حكم اللّه تعالى بأنّه إذ أراد الطّلاق ينبغي له الإشهاد به فقال: **وَ أَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا ٱلشَّهَادَةَ لِلَّهِ** الإشهاد راجع إلى أصل الطّلاق لأنّ الكلام فيه المقصود الأصلى و الأمر حقيقة في الوجوب فيدلّ على وجوب الأشهاد و على كونه شرطاً في صحّة الطّلاق و يدلّ على ذلك غير واحدٍ من الأخبار المستفيضة عن المعصومين عليهم السّلام بل للإجماع من أهل البيت عليهم السّلام و إجماع شيعتهم على ذلك.

قال الشّيخ الطُّوسي قدس سره و هو من أعاظم الفقهاء في التّبيان في تفسير الآية ما هذا لفظه:

فعند أصحابنا الاشهاد شرط في وقوع الطّلاق لأنّ ظاهر الأمر يقضيه و الأمر عندنا على الوجوب إنتهى.

و قال قومٌ أنّ ذلك أي الأشهاد راجع إلى الرَّجعة أي إذا أردتم الرّجوع إلى المطلّقة فأشهدوا على ذلك ذوي عدلٍ منكم في قول إبن عبّاس.

و قال الشّافعي الأشهاد على الرَّجعة أولى.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية ما لفظه، **وَ أَشْهِدُوا** أمرٌ بالإشهاد على الطّلاق و قيل على الرَّجعة و الظّاهر رجوعه إلى الرَّجعة لا إلى الطّلاق فأن راجع من غير إشهادٍ ففي صحّة الرّجعة قولان للفقهاء، و قيل المعنى و أشهدوا عند الرّجعة و الفرقة جميعاً و هذا الإشهاد مندوبٌ إليه عند أبي حنيفة كقوله تعالى: **وَ أَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ**[1].

١- البَقَرة = ٢٨٢

و عند الشّافعي واجب في الرَّجعة مندوبٌ إليه في الفرقة و فائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التّجاحد و أن لا يتّهم في إمساكها و لئلاّ يموت أحدهما فيدّعي الباقي ثبوت الزّوجية ليرث إنتهى ما نقلناه عنه.

أقول و أوجب أحمد بن حنبل الإشهاد في الرَّجعة في أحد قوليه و الشّافعي كذلك لظاهر الأمر و قال مالك و أبو حنيفة و احمد و الشّافعي في القول الأخر أنّ الرَّجعة لا تفتقر إلى القبول فلم تفتقر إلى الإشهاد كسائر الحقوق و الأقوال منهم في الباب كثيرة ولم نر فيها القول بوجوب الإشهاد في الطّلاق نعم قالوا ذلك في الرَّجعة و أمّا في الطّلاق فحملوا الأمر على النّدب و على هذا فالطّلاق بدون الإشهاد عندهم صحيحٌ لا إشكال فيه.

و أمّا الإماميّة فقد إتّفقت على بطلان الطّلاق بدون الإشهاد من ذوي عدل و لازم ذلك بقاء الزّوجة على زوجيّتها إذا وقع الطّلاق من غير إشهادٍ فلا يجوز لها أن تتزوّج بغيره فلو تزوّجت بغيره تكون زانية، أنظر إلى ثمرة القولين ثمّ إختر أيّهما شئت و لا شكّ عند الشّيعة الإماميّة أنّ أهل البيت أدرى بما في البيت ممّن هو أجنبيٌّ عنه و لا يقول ما يقول إلاّ من عند نفسه.

قال بعض المحقّقين من فقهائنا، يجب أن يكون الطّلاق بمحضرٍ من الشّاهدين و مسمعٍ منهما معاً فلا يصحّ الطّلاق لو وقع متفرّقاً بأن يشهد كلّ واحدٍ منهما في وقتٍ و يدلّ على ذلك الإجماع و الأخبار أيضاً و قد أستفيد منها أنّه لا يكفي في صحّة الطّلاق شهادة النّساء لا منضّمات إلى الرّجال منفردات و هو الّذي دلّت عليه الأخبار المعتبرة و هو المشهور بين الأصحاب و ما ورد في بعض الأخبار من قبول شهادتهنّ فيه محمولٌ على التّقية و أستفيد منها قبول شهادة المماليك و يدلّ عليه كثير من الأخبار أيضاً و ما ورد بخلافه محمولٌ على التّقية.

و أمّا العامّة فنقل في الكشّاف أنّ الإشهاد راجع إلى الرّجعة و الفرقة جميعاً على النّدب عند أبي حنيفة كقوله تعالى: **وَ أَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ** و عند الشّافعي واجبٌ في الرّجعة مندوبٌ إليه في الفرقة، أمّا قول أبي حنيفة فأنّه خلاف ظاهر الأمر بلا قرينةٍ السّياق تقتضي الوجوب، مضافاً إلى أنّه قياس و القياس باطل عندنا.

و أمّا قول الشّافعي انّ ما ذكره تحكّمٌ بلا دليل يدلّ على الفرق الّذي ذكره بل هو من قبيل الألغاز و التّعمية مع أنّه من إستعمال الشّئ في الحقيقة و المجاز معاً و على تقدير تسليمه يفتقر إلى القرينة وكذا لو حمل على مطلق الرّجحان و القرينة هنا مفقودة على أنّ تعلّق الأشهاد في الفرقة لا معنى له إذ يكفي فيه إستمرار الطّلاق فلا حاجة إلى الإشهاد.

نعم يمكن على مذهب الإماميّة تعلّق الإشهاد في الآية بالطّلاق و الرّجعة معاً على أن يكون الأوّل على الوجوب و الثّاني على النّدب حملاً للأمر على مطلق الرُّجحان المتلّقي بيانه من معدن الوحي كالأيات المجملة المتلّقي بيانها منهم عليهم السّلام و كما أمر سبحانه بالإشهاد أمر الشّاهد بإقامتها و أدائها إذا طلبت الشّهادة و إلى ذلك أشار بقوله: **وَ أَقِيمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ** أي إمتثالاً لأمره سبحانه و رجاء ثوابه و فيه حثٌّ لهم على إلتزام الصِّدق و التّحرز عن الكذب **ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْاٰخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُۥ مَخْرَجًا**.

ذلكم، إشارة إلى الأحكام المذكورة في الأيتين و المعنى أنّ ما ذكرناه من أحكام الطّلاق و العدّة و الإشهاد و غير ذلك يوعظ به المؤمن باللّه و اليوم الأخر و مفهوم الآية أنّ من لا يوعظ به فهو ليس من المؤمنين و من يتقّ اللّه بإجتناب معاصيه يجعل مخرجاً من عقابه يوم القيامة.

وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا

الواو للعطف و الآية معطوفة على سابقتها أي يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب أي من حيث لا يتوّقعه و لا يظنُّه وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أي من أسند أمره إليه تعالى و وثق بحكمه و سكن إلى رحمته فَهُوَ حَسْبُهُ أي أنّ اللّه يكفيه و لا يحتاج إلى غيره و ذلك إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ أي أنّ اللّه يبلغ ما يريد و يشاء من أمره و تدبيره لأنّه قادر على كلّ شئ.

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا معناه قدَّر اللّه تعالى لكلّ شئ مقداراً و مدّةً لا زيادة فيه و لا نقصان و هذا هو المسمّى بالقدر فأنّ القضاء الحكم و القدر حدّه و مقداره و محصّل الكلام في الآية أنّ هذه الأثار كلّها متوقّفةٌ على التّقوى مترتبّة عليها ترتّب الثّمر على الشّجر و المسبّب على السّبب ثمّ بيّن اللّه تعالى كيفيّة العدد بإختلاف أحوال النّساء فقال:

وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا

بيَّن اللّه تعالى في هذه الآية حكم اليائسة من النّساء و حكم أولات الأحمال من حيث العدّة في الطّلاق لأنّ المرأة تارةً تكون مستقيمة الحيض و قد لا تكون كذلك فأن كانت مستقيمة الحيض فقد مضى حكمها في الأيات السّابقة و أن كانت غير مستقيمة الحيض فهي مورد البحث في هذه الآية لمّا نزّلت الآية السّابقة في عدّة ذوات الأقراء قيل فما عدّة اللاّتي لم يحضن فنزلت هذه الأية.

قوله: وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مبتدأ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ الخبر و صحّ دخول الفاء على الخبر لتَّضمنه معنى الشّرط و قوله: وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ مبتدأ و خبره محذوف لدلالة الأوّل عليه ففي الآية مسائل:

الأولىٰ: قد ثبت في الشّرع أنّ بلوغ المرأة لا يكون إلاّ بعد كمال التّسع سنين فالدّم الّذي تراه قبل ذلك ليس بحيضٍ قطعاً فلا تكون من ذوات الأقراء و الّتى كملت لها المدّة المذكورة فأن رأت الدّم مستقيماً على الوجه الّذي ذكرناه سابقاً فهي من ذوات الأقراء و عدّتها بالأقراء كما مرَّ و إلاّ فعدّتها بالأشهر و هو المعنّي بقوله: **وَ ٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ** لأنّ المعنى و اللاّئي لم يحضن و هى في سنّ من تحيض كما تكشف عنه الرّوايات و يستمرّ لها هذا الحكم حتّى تبلغ سنّ اليأس و في حدّه خلاف بين الأصحاب لإختلاف الأخبار ظاهراً و الظّاهر في جمعها أنّه في غير القريشيّة يتّحقق ببلوغ الخمسين و فيها بالستّين فمتى حصل القطع ببلوغها المدّة المذكورة فهي أيسة قطعاً و أن لم يحصل القطع بذلك وإنقطع عنها الدّم و لم تره من ذوات الرّيبة و الشكّ في كون إنقطاع الدّم عنها لكبر أم لعارضٍ من ريح أو غيره و هذا هو المقصود من قوله تعالى: **إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ** فأنّ الإرتياب الشكّ أي إن شككتم في بلوغها المدّة المذكورة و إنقطع عنها الدّم ولم تره فعدّتها ثلاثة أشهر و قد وردت الأخبار على أنّ العدّة الّتى حصل الشكّ في بلوغها حدّ اليأس و الّتى لا تحيض و مثلها يحيض ثلاثة أشهر، و يفهم من الأخبار أنّه لا فرق فيمن لا تحيض و هى في سنّ من تحيض بين أن يكون إنقطاع حيضها خلقاً، أو لعارضٍ من حملٍ أو رضاعٍ و مرضٍ و تدلّ الآية بطريق المفهوم أنّ من حصل القطع ببلوغها حدّ اليأس و إنتفى عنها الرّيب فلا عدّة لهاوكذا من لم يكمل لها التّسع.

الثّانية: في حكم اللاّئي لم يحضن و أولات الأحمال، فقد حكم اللّه تعالى بأنّ عدّة اللاّئي لم يحضن ثلاثة أشهر أيضاً و ذلك لما قلنا أنّ الخبر و هو ثلاثة أشهر، محذوفٌ لدلالة الأوّل عليه فأنّ الحكم في المرأة الّتى يئست عن المحيض و الّتى لا تحيض واحد فكأنّه قال و اللاّئي من المحيض في صورة الإرتياب و اللاّئي لم يحضن حكمهما واحد في العدّة و هو ثلاثة أشهر و هذا مسلّمٌ عند الأصحاب.

الثّالثة: أولات الأحمال، حكم اللّه تعالى بأنّ عدّتهن أن يضعن حملهنّ بعد الطّلاق و هذا أيضاً مجمعٌ عليه بين الأصحاب و لو كان وضع حملها بلحظةٍ.

فقد روى الشّيخ عن أبي عبد اللّه عليه السلام في الرّجل يطلّق إمرأته و هى حبلى قال عليه السلام: أن تضع حملها إنتهى.

و على هذا فلو راجعها بعد وضع الحمل لا حقّ له و هو خاطب من الخطّاب و يدلّ عليه صحيحة الحلبي عن أبي عبد اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: أنّه قال طلاق الحبلى واحدة و أن شاء راجعها قبل أن تضع و إن وضعت قبل أن يراجعها فقد بانت منه و هو خاطب من الخطّاب إنتهى.

و ظاهر الإطلاق يتناول حمل الحيّ و الميّت و التامّ و النّاقص بعد أن يتحقّق أنّه مبدأ نشوٍ أدميّ و يدلّ عليه ما رواه إبن بابويه في الصّحيح عن عبد الرّحمن أنّه سأل أبا عبد اللّه عليه السلام عن الحبلى يطلّقها زوجها فتضع سقطاً قال عليه السلام:

وتمَّ أو لم يتمّ أو وضعته مضغةً أنّه مضى بذلك عدّتها بذلك عدّتها فقال كلّ شئٍ وضعت يستبين أنّه حملٌ تمَّ أو لم يتّم فقد إنقضت عدّتها و أن كان مضغةٍ إنتهى.

و ما ذكرناه من إنقضاء العدّة بوضع الحمل هو المشهور بين الأصحاب و لم تعثر على مخالفٍ في هذا الحكم إلاّ ما يظهر من إبن بابويه في الفقيه من أنّها تعتدّ أقرب الأجلين إلاّ أنّها إذا إنقضت الثّلاث أشهر قبل الوضع فلا تتزوّج حتّىٰ تَضَع ويُنسَب هذا القَول إلىٰ إبن حمزة أيضاً.

الرّابعة: ظاهر الآية يقتضي أنّ هذا الحكم ثابت للمطلّقة حرَّةً كانت أو أمةً و بأيّ نوعٍ من أنواع الفراق فيدخل فيه اللّعان و الخلع و المباراة و الفسخ بأنواعه و وطي الشّبهة، كما أنّ ظاهر الإطلاق ينصرف إلى ما إذا كان الحمل من الزّوج

لا من الزّنا لأنّه المتبادر و لأنّ ولد الزّنا لا يترتّب عليه شيٌ من الأحكام و كذا ولد الشُّبهة في حكمه لو حملت الزَّوجة من نطفة نقلت إليها بالمساحقة نعم، لو حملت من نطفة زوجها المنقولة إليها بغير جماع منه فأنّ الولد يلحقه و أمّا قوله تعالى: **وَ مَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** فالمعنى من يتّق اللّه بإجتناب المعاصي يجعل اللّه تعالى له من أمره يسراً، أي لا يعسر عليه أمره.

ذٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا

ذلك، إشارة إلى ما ذكره اللّه من أوّل السُّورة إلى هاهنا من أحكام الطّلاق و العدَّة و غيرهما ممّا يتعلّق بهما فأنّ هذه الأحكام من أمر اللّه أنزله في كتابه إليكم لتعملوا بها و من يتّق اللّه يكفّر عنه سيّئاته الّتى هي دونها و يتفضّل عليه بإسقاط عذابها و عقابها و يعطيه أجراً عظيماً يوم القيامة ثُم أشار اللّه تعالى بعد ذلك بقوله:

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَ لَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ إِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرٰى، لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّٰا آتٰيهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلّٰا مٰا آتٰيهٰا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا

في هاتين الآيتين أيضاً مسائل نذكرها على سبيل الإجمال.

الأولى: قوله **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ** أَلْوُجد بضَّم الواو و كسرها و هما لغتان و المشهور عند القرّاء ضمّها و عليه المصاحف و قرأ، رُوح بكسر الواو و معناه الملك، و قيل الوجد ملك ما تجده المالك و ذلك أنّه

قد يملك المالك ما يغيب عنه و قد يملك ما هو حاضر له فذلك وجده يقال وجدت الضّالة وجداناً و وجدت الرّجل صالحاً إذا عرفت هذا فالمعنى، أسكنوهنّ، أي المطّلقات بعد الطّلاق و ذلك لأنّه يجب على الزّوج إذا طلّق إمرأته السكنى لها وا لنّفقة حتّى تنقضي عدّتها و هذا الحكم بالنّسبة إلى ذات العدّة الرّجعية لأنّها ما دامت فيها بحكم الزّوجة دون غيرها من ذوات العدد ثمّ أنّ المراد بالسُّكنى، هو إسكانها بعد الطّلاق في موضع يليق بحالها ما دامت في العدّة و إلى ذلك أشار اللّه تعالى بقوله: **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ** أي من سعتكم، قيل الوجد الغنّي و المقدرة و إنّما قيّد الإسكان بالوجد أي الغنى و المقدرة لأنّ اللّه تعالى شأنه لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها في جميع الأمور حتّى في العبادات.

و قيل معنى من وجدكم من ملككم، و قال إبن زيد هو إذا قال صاحب المسكن لا أترك هذه في بيتي فليس من وجده و يجوز له حينئذٍ أن ينقلها إلى غيره و يستفاد من قوله: **مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ** أنّ الموضع اللاّئق بحالها هو الموضع الّذي كانا يسكنان فيه قبل الطّلاق و على هذا فالمعنى إبقائها في بيتها الّذي كانت ساكنة فيه حتّى تنقضي عدّتها.

الثّانية: قوله: **وَ لٰا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ** قيل معناه لا تدخلوا الضّرر عليهنّ بالتّقصير في النّفقة و السُّكنى و الكسوة و حسن العشرة لتضيّقوا عليهنّ في السُّكنى و النّفقة و أصل المضارّة المعاملة بما يطلب به إيقاع الضّرر بصاحبه و قد تكون المضارّة من واحدٍ و قد تكون من الطّرفين و التّضييق تقليل ما يحتاج إلى التصرُّف فيه من مقدار الكفاية، و قد يكون في الرّزق و في المكان و في الأمر.

الثّالثة: قوله تعالى **وَ إِنْ كُنَّ أُولٰاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** أي و أن كنّ المطّلقات أولات حملٍ، فأنفقوا عليهنّ من أموالكم حتّى

النّار الّتى حذَّرهم منها فقال: وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَ ٱلْحِجَارَةُ أي حطبها النّاس و الحجارة كوقود الكبريت و هو أشدّ ما يكون من العذاب عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ أي على النّار ملائكة لهم غلظة و شدَّة على أهل النّار لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ به من اللّه تعالى أمّا إنَّهم لا يعصون، فلعصمتهم و المعصوم لا يذنب و لا يعصي و أمّا أنَّهم يفعلون ما يؤمرون، فلكونهم مطيعين منقادين لأوامر اللّه تعالى و نواهيه، ثمّ خاطب اللّه الكُفّار.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

و المعنى لا عذر لكم اليوم يعني يوم القيامة من عذاب اللّه لأنّ ذلك جزاء أعمالكم الّتى فعلتموها في الدُّنيا و ما ربُّك بظَّلام للعبيد ففي الآية إشارة إلى أنّ الأعمال من قبيل العلل و الأسباب للثَّواب و العقاب و قد مضى الكلام فيه سابقاً بما لا مزيد عليه ثمّ خاطب اللّه المؤمنين ثانياً بعد ما حذَّرهم أوّلاً فقال:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَ ٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

و المعنى يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا باللّه و رسوله و ما جاء به من عند اللّه تُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا أمرهم اللّه تعالى بالتَّوبة لأنّ الإنسان لا يخلوا عن الذَّنب صغيراً و كبيراً و د واءه التَّوبة أي الرّجوع من المعصية إلى الطّاعة ثمّ قيَّد التَّوبة بكونها نصوحاً.

إختلفت كلمات المفسّرين في معنى النّضوح، فقال بعضهم هي الّتى لا عودة بعدها كما لا يعود اللّبن إلى الضَّرع.

و قال قتادة النَّصوح الصّادقة النّاصحة، و قيل الخالصة لوجه اللّه يقال نصح فلاناً أي أخلص له القول.

و قال الحسن النَّصوح الذّنب الّذي أحبَّه و يستغفر منه إذا ذكره، و قيل هي الّتى لا يثق بقبولها و يكون على وجلٍ منها، و قيل هي الّتى لا يحتاج معها إلى توبةٍ.

و قال الكلبي التّوبة النَّصوح، النَّدم بالقلب و الإستغفار باللّسان و الإقلاع عن الذّنب و غير ذلك من الأقوال.

عَسٰى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ ببركة التَّوبة فأنّ اللّه يحبّ التَّوابين و يحبّ المتّطهرين و معنى عسى، الوجوب أي أنّ اللّه يكّفر سيّئاتكم قطعاً لأنّه يغفر الذّنوب جميعاً إذا كان التّائب تاب خالصاً لوجه اللّه و عزم علىٰ أن لا يعود على الذّنب ثانياً و بعد قبول التَّوبة.

يُدْخِلَكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهٰارُ جزاءً بما كسبتم في الدّنيا من الثّواب بسبب الأعمال الصّالحة ثمّ فسَّر اللّه تعالى يوم القيامة فقال: **يَوْمَ لاٰ يُخْزِي ٱللّٰهُ ٱلنَّبِيَّ وَ ٱلَّذِينَ ءٰامَنُوا مَعَهُ** بل ينصرهم و يثيبهم على ما عملوا به في الدّنيا ببركة الإيمان.

نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ قيل المراد بالنُّور نوركتابهم الّذي فيه البشرى قاله إبن عبّاس و الحقّ أنّ المراد بالنُّور هو نور الإيمان.

يَقُولُونَ رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا وَ ٱغْفِرْ لَنٰا إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي أنّ المؤمنين يقولون يوم القيامة **رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا** يقول ذلك المؤمنون حين يطفئ نور المنافقين و يبقون في الظُّلمة فيسأل المؤمنون حينئذٍ لإتمام نورهم **وَ ٱغْفِرْ لَنٰا** أي أستر علينا معاصينا و لا تفضحنا و لا تهلكنا بها **إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ثمّ أمر اللّه النّبي بالجهاد فقال:

يٰا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جٰاهِدِ ٱلْكُفّٰارَ وَ ٱلْمُنٰافِقِينَ وَ ٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْوىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

قيل في معنى الآية معناها جاهد الكفّار بالقتال، و جاهد المنافقين بالقول الرّادع عن القبيح لا بالحرب و لمّا كان فيه بذل المجهود سمّاه جهاداً فأنّ الجهاد قد يكون بالحرب و قد يكون باللّسان يكون بإنفاق المال و قد يكون بالقلم و هكذا و لو كان الرّسول مأموراً بالجهاد مع المنافقين بالحرب لزم أن يجاهد أكثر أصحابه و ذلك لأنّ أكثر أصحابه كانوا منهم، **وَ ٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ** في إقامة حدود اللّه عليهم و لا تأخذك بهم رأفةٌ لأنّهم صادُّون عن سبيل اللّه.

وَ مَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ ٱلْمَصِيرُ أي مأوىٰ الكفّار و المنافقين يوم القيامة جهنّم و بئس المصير لما فيها من أنواع العقاب.

ضَرَبَ ٱللّٰهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَ ٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللّٰهِ شَيْئًا وَ قِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ

قال إبن عبّاس كانت إمرأة نوح و إمرأة لوط منافقتين **كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ** و هما نوح النّبي و لوط فأنّهما كانا من الأنبياء و لا سيّما نوح النّبي فأنّه كان من أولي العظم **فَخَانَتَاهُمَا** فأنّ إمرأة نوح كانت كافِرة تقول للنّاس أنّه مجنون، و كانت إمرأة لوط تدلّ على أضيافه فكان ذلك خيانتهما لهما، و ما زنت إمرة نبّي قطُّ لما في ذلك من التّنفير عن الرّسول و إلحاق الوصمة به فمن زعم أنّ المراد بالخيانة الفحشاء فقد أخطأ خطأً فاحشاً و قد مرَّ الكلام فيهما في قصّة نوح و لوط.

فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللّٰهِ شَيْئًا أي لم يدفع نوح و لوط مع كرامتهما على و عظم قدرهما عنده عن زوجتيهما لما عصتا، شيئاً من عذاب اللّه و فيه إشارة إلى أنّ العذاب يدفع بالطّاعة لا بالإنتساب فأنّ اللّه تعالى خلق الجنّة لما أطاعه و لو كان عبداً حبشيّاً، و خلق النّار لمن عصاه و لو كان سيّداً قريشياً، فإذا كان النّسب لا يفيد مع العصيان فالسّبب بطريقٍ أولى و لذلك **وَ قِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ**

مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ أي قيل للمرأتين أدخلا النّار مع الدّاخلين، و هم العصاة فأنّ العاصي مأواه جهنّم كائناً من كان ثمّ بعد ذلك ضرب اللّه مثلاً أخر للّذين أمنوا فقال:

وَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِۦ وَ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ، وَ مَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِۦ وَ كَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ

ذكر اللّه تعالى في هذا المثل إمرأتين:

إحداهما: إمرأة فرعون و الأخرى مريم بنت عمران و جعلهما من أعلى مصاديق المؤمنات كما جعل إمرأة نوح و إمرأة لوط من أعلى مصاديق الكافرات في بيوت الصّالحين، أمّا إمرأة فرعون فهي أسية بنت مزاحم كانت من الصّالحات المسلمات المؤمنات القانتات العابدات تحت عبدٍ كافرٍ ظالم و هو فرعون الّذي يدّعي الألوهيّة و يقول أنّا ربّكم الأعلى، و كفى في فضلها و شرفها أنّ اللّه تعالى شهد بطهارتها و إيمانها في كتابه الكريم فلا نحتاج إلى دليلٍ أخر في المقام بعد تصريح القرأن بإيمانها و من أصدق من اللّه قيلاً.

فقال تعالى: **وَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ** و هي أسية بنت مزاحم **إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ** و هذا الكلام منها دليلٌ على إيمانها باللّه و اليوم الأخر و عدم إعتنائها بالدّنيا **وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِۦ** أي خلّصني من فرعون و عمله، بالموت بقرينة قولها، بيتاً في الجنّة.

و قد ورد في الآثار أنّها قالت ذلك لما عذّبها فرعون بأنواع العذاب و من المعلوم أنّ الخلاص من عذاب فرعون ذي الأوتاد لا يحصل إلاّ بالموت **وَ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ** المراد بالقوم الظّالمين قوم فرعون.

و أمّا مريم بنت عمران، فهي أمّ عيسى روح اللّه و قد مدحها اللّه تعالى في كثيرٍ من الأيات و كفى في فضلها ذلك و أنّها أمّ عيسى و هو من أولي العظم فقال في وصفها **وَ مَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرٰانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهٰا** الواو عاطفة و التّقدير و ضرب مثلاً مريم إبنة عمران و لذلك نصبه و العامل (ضرب) و يحتمل أن يكون العامل (و أذكر) أي و أذكر أيضاً مريم بنت عمران الّتى حصنت فرجها، إحصان الفرج منعه عن دنس المعصية، فكأنّه قيل، أن كانت كذلك فكيف ولد عيسى منها و لا بعل لها فقال تعالى في الجواب **فَنَفَخْنٰا فِيهِ** أي في الفَرج **مِنْ رُوحِنٰا** المراد بالرُّوح قيل هو جبرئيل الّذي نفخ في فرجها فخلق اللّه فيه المسيح ولم يخلق اللّه أحداً من البشر مثله و هو يدلّ على كمال قدرته و أنّه على كلّ شيءٍ قدير.

ثمّ أشار اللّه تعالى إلى وصفٍ أخر لها و قال: **وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمٰاتِ رَبِّهٰا وَ كُتُبِهِ** المنزلة على الأنبياء من أدم إلى عيسى و فيه إشارة إلى كمال إيمان مريم و المراد بالكلمات معناها العامّ الشّامل للكلمات التّكوينيّة و التّشريعيّة و من أمن باللّه و رسله و كتبه فهو مؤمنٌ حقّاً.

ثمّ أشار إلى وصفٍ ثالثٍ لها و قال: **وَ كٰانَتْ مِنَ ٱلْقٰانِتِينَ** أي كانت خاضعة لربّها في مقام العبوديّة كما دلّت على هذا الوصف الأيات و قد مضى الكلام في هذا الباب غير مرّة.

فأن قلت لم مثّل اللّه تعالى في هذه الأيات بالمرأة دون الرَّجل مع أنّ المؤمن و الكافر يوجد فيهما و لا يختصّ الإيمان أو الكفر بأحدهما دون الأخر.

قلت لأنّ البحث في سورة التّحريم يدور مدار أزواج النّبي على ما مرَّ تفصيله فكأنّه أريد بهذه الأيات موعظة الأزواج أوّلاً و سائر النّاس من الرّجال و النّساء ثانياً و أنّ مجّرد الإنتساب سبباً كان أو نسباً لا يفيد في الأخرة و الّذي يفيد هو العمل الصّالح خالصاً للّه تعالى و قد مرَّ الكلام في هذا الباب في سورة أل عمران و غيرها.

قال الفّراء هذا مثلٌ ضربه اللّه لعائشة و حفصة و بيَّن أنّه لا يغنيهماينفعهما مكانهما من رسول اللّه أن لم يطيعا اللّه و رسوله و يمتثلا أمرهما كما لم ينفع إمرأة نوح و إمرأة لوط كونهما تحت نبيّين و في ذلك زجرٌ لهما من المعاصي و أمرٌ لهما أن يكونا كأسية إمرأة فرعون و مريم إبنة عمران في طاعتهما للّه تعالى و إمتثال أمره و نهيه إنتهى.

■

الجزء

التاسع و العشرون

سورة الملك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَ هُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَ ٱلْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ طِبَاقًا مَا تَرٰى فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰوُتٍ فَارْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرٰى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَ لَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَ هِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلٰى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحٰبِ

ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ
ٱجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي
مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾
ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَآءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ
فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَآءِ أَنْ
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ
﴿١٧﴾ وَ لَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَآفَّاتٍ
وَ يَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا ٱلَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ
يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمَنِ إِنِ ٱلْكَافِرُونَ إِلَّا فِي
غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ
رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ
يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي
سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي
أَنْشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْأَبْصَارَ وَ
ٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي
ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَ

يَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾
قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ
قِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ
ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ
ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي
ضَلَٰلٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ
غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

◄ اللّغة

تَبَارَكَ: تفاعل من البركة.
لِيَبْلُوَكُمْ: البلاء الإختبار و الإمتحان.
طِبَاقًا: أي واحدة فوق الأخرى.
فُطُور: بضمّ الفاء و الطّاء يقال فطر إذا شقّ.
كَرَّتَيْنِ: أي مرّةً أخرى و الكرّة المرّة.
خَاسِئًا: أي ذليلاً يقال خسأت الكلب فخسأ أي زجرته فإنزجر.
حَسِيرٌ: الحسير الكليل.
شَهِيقًا: الشّهيق الصّوت الفظيع فإذا إشتدّ لهيب النّار سمع لها ذلك الصّوت و منه قولهم شهق شهقةً أي صوتاً فظيعاً.
تَفُورُ: أي ترتفع يقال فارت القدر تفور فوراً و منه الفوارة.
فَسُحْقًا: أي بعداً لهم يقال أسحقهم اللّه سحقاً عن الخير.
ذَلُولًا: أي سهلاً يسيراً.

مَنٰاكِبِهٰا: واحدها منكب و هو الطَّرف و الفجّ و قيل هو الجبل.

يَخْشَوْنَ: يقال بئرٌ مخسوفة إذا غاب ماؤها.

تَمُورُ: المور التَّردد في الذّهاب و المجيء.

حٰاصِبًا: الحاصب الحجارة.

لَجُّوا: اللّجاج تقَّحم الأمر كثيراً يقال لجَّ في الأمر لجاجاً.

عُتُوٍّ: العُتُو الطُّغيان و هو الخروج إلى فاحش الفساد.

نُفُورٍ: النُّفور الخروج من الشّيء هرباً و نقيضه القبول.

مُكِبًّا: يقال أكبَّ يكبّ إكباباً فهو مكبّ فيما لا يتعدّى فإذا تعدّى قيل كبت فلان على وجهه.

زُلْفَةً: الزُّلفة المنزلة القريبة يقال إزدلف إليه إزدلافاً إذا تقَّرب إليه.

غَوْرًا: أي غائراً. قيل وصف الغائر بالغور الّذي هو المصدر مبالغةً يقال ماءٌ غور أي غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الدّلاء.

◀ الإعراب

مَنْ خَلَقَ من في موضع رفع فاعل يعلم و المفعول محذوف أي ألا يعلم الخالق خلقه و قيل الفاعل مضمر، و من مفعول أَنْ يَخْسِفَ و أَنْ يُرْسِلَ هما بدلان بدل الإشتمال فَوْقَهُمْ صٰآفّٰاتٍ يجوز أن يكون صافّات حالاً و فوقهم ظرف، و يجوز أن يكون فوقهم حالاً و صٰآفّٰاتٍ حالاً من الضّمير في فوقهم مٰا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمٰنُ مستأنف و قيل هو حال من الضّمير في يقبضن و مفعول يقبض محذوف أي أجنحتهنّ أَمَّنْ مبتدأ و هٰذَا خبره و مُكِبًّا حال و عَلىٰ وَجْهِهِۦٓ توكيد و أَهْدىٰٓ خبر، من، و خبر من الثّانية محذوفٌ غَوْرًا خبر أصبح أو حال أن جعلتها التّامة و فيه بعدٌ و الغور مصدر في معنى الغائر و اللّه أعلم.

◄ التّفسير

تَبٰارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَ هُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

تبارك من البركة إشارة إلى أنّ اللّه تعالى فاعل الخيرات و منشأ البركات **ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ** لأنّه الخالق لما سواه كائناً ما كان، و قيل معنى تبارك هو الثّابت الّذي لم يزل و لا يزال و أصل الصّفة من الثّبوت من البرك و هو ثبوت الطّائر على الماء، معناه تعاظم بالحقّ من لم يزل و لا يزال و هو راجع الى معنى الثّابت الدّائم، المعنى تبارك من ثبوت الأشياء إذ لولاه لبطل كلّ شيءٍ ذكر هذه الوجوه في التّبيان و أمّا قوله الّذي بيده الملك، فهو كناية عن قدرته و لذلك قال على كلّ شيءٍ قدير فأنّ من بيده الملك قادرٌ على كلّ شيءٍ لكونه خالقاً لجميع الأشياء.

ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَ ٱلْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ

في قوله: **خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَ ٱلْحَيٰوةَ** أقوال:

قال في التّبيان أي خلق الموت للتعبُّد بالصَّبر عليه و الحياة للتعبُّد للشُّكر عليها، و قيل وجه خلق الموت و الحياة للإبتلاء هو ما فيها من الإعتبار المؤدّي الى تثبيت قادرٍ على الإضداد الى آخر كلامه إنتهى.

أقول ما ذكره قدس سره خارج عن موضوع البحث إذ ليس البحث في الأثار المترتّبة عليها و أنّهما لأيّ شيءٍ خلقا بل البحث في أنّ الخلق الّذي بمعنى الإيجاد كيف تعلّق بالموت الّذي هو عدم الحياة.

قال صاحب الكشّاف و الحياة ما يصحّ بوجوده الإحساس و قيل ما يوجب كون الشّيء حيّاً و هو الّذي يصحّ منه أن يعلم و يقدر، و الموت عدم ذلك فيه و معنى خلق الموت و الحياة إيجاد ذلك المصحِّح و إعدامه و المعنى خلق

موتكم و حياتكم أيّها المكلّفون ليبلوكم الى آخر ما قال إنتهى ما أردنا نقله عنه و الإنصاف أنّه لم يعلم ما قال و نحن أيضاً لم نفهم معنى كلامه فانّ المصحّح و هو الّذي يصحّ منه أن يعلم و يقدر هو من آثار الحياة و المفروض أنّ الخلق تعلّق بنفس الحياة في ظاهر الآية لا بما يترتب عليها و هكذا في جانب الموت، و قال بعضهم معنى الكلام خلقكم للموت و الحياة، و هذا أيضاً ينافي ظاهر الآية لوجود الفرق بين خلق الموت و الحياة، و الخلق للموت و الحياة و التّقدير خلاف الأصل.

أن قلت أيُّ إشكالٍ في خلق الموت و الحياة.

قلت أمّا الإشكال في خلق الموت أنّه أي الموت عدم الحياة و العدم لا يكون مخلوقاً و توضيح ذلك أنّ الخلق بمعنى الإيجاد فإذا تعلّق بالموت يصير الموت موجوداً و المفروض أنّه عدم الحياة فيلزم أن يكون موجوداً و معدوماً معاً و هو من إجتماع النّقيضين الّذي لا شكّ في إستحالته و هكذا إذا تعلّق الخلق بالحياة فانّ الحياة عدم الموت و أن قال قائل ليس المراد بالحياة عدم الموت بل الحياة الوجود، يقال له تعلُّق الخلق بالوجود من قبيل تحصيل الحاصل إذ المفروض أنّ الخلق الإيجاد مضافاً الىٰ أنّ الحياة إستمرار الوجود و هو من الأمور الإنتزاعيّة و الخلق و الإيجاد لا يتعلّق بالإعتباريّات كما ثبت في محلّه.

و قال القرطبي، المعنى خلقكم للموت و الحياة يعني للموت في الدُّنيا و الحياة في الأخرة و قدّم الموت على الحياة لأنّ الموت على القهر أقرب كما قدَّم البنات على البنين في قوله: **يَهَبُ لِمَنْ يَشٰآءُ إِنٰاثًا**[1] و قيل قدَّمه لأنّه أقدم لأنّ الأشياء في الإبتداء في حكم الموت، كالنطّفة و التُّراب و نحوه الى آخر ما قال.

١- الشّورى = ٤٩

أقول ما ذكره أيضاً لا طائل تحته مع أنّه خارج عن مورد البحث إذ لو كان المعنى ما ذكره لقال خلقكم للموت و الحياة، و قوله يعني للموت في الدُّنيا و الحياة في الأخرة كلامٌ بلا محصلّ و هكذا جميع ما ذكره لا فائدة فيه واضح.

و قد قلنا أنّ أصل الإشكال في تعلّق الخلق بالموت و هو أمرٌ عدميٌّ و بالحياة و هو من تحصيل الحاصل و بعبارةٍ أخرى كيف تعلّق الخلق بمعنى الإيجاد بالموت و الحياة، و الّذي نفهم من هذا الكلام هو أنّ الخلق ليس بمعنى الإيجاد بل هو بمعنى الجعل و المعنى هو الّذي جعل الموت و الحياة أي أنّ الموت و الحياة بيده و تحت قدرته، فهو من قبيل قوله: **جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** و الجعل جعل البسيط دون المركّب، هذا و في قوله: **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** إشارة الى الغاية أي جعل لكم الموت و الحياة ليختبركم في الدُّنيا أيّكم أحسن عملاً، و ذلك أنّ الدُّنيا دار العمل و الآخرة دار الجزاء.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الدُّنيا مزرعة الأخرة، و بالأعمال يعرف قدر الرّجال و يتميَّز المحسن عن العاصي و عند الإمتحان يكرم الرّجل أو يهان.

و قد مرَّ الكلام في هذا الباب مكرّراً و أمّا قوله: **وَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ** معناه أنّ اللّه هو الغالب الّذي لا يغلب و القادر على إنتقامه من أعداءه و هو الغفور لمن تاب عن ذنبه فلا عزيز إلاّ هو كما لا غفور إلاّ هو.

ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ طِبَاقًا مَا تَرٰى فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰوُتٍ

و المعنى أنّ اللّه تعالى هو الّذي أنشأ و إخترع سبع سمواتٍ طباقاً، أي واحدة فوق الأخرى، و قال بعضهم، طباق جمع طبق مثل جمال و جمل، و قيل واحدها طبقة، و قوله: ما ترى في خلق ٱلرَّحْمن من تفاوتٍ قيل معناه ما ترى فيه من إعوجاج و لا تناقض و لا تباين، بل هي مستوية دالّة على خالقها و ان إختلفت صورته و صفاته، و قيل المراد بذلك السّموات خاصّة، صاحب

الكشّاف في قوله: طباقا أي مطابقةً بعضها فوق بعضٍ من طابق النّعل إذا خصفها طبقاً على طبقٍ و هذا وصف بالمصدر، أو على ذات طباقٍ أو على طوبقت طباقاً.

و قال في قوله: **مِنْ تَفٰاوُتٍ** و قرئ من، تفوُّت و معنى البنائين واحد كقولهم تطاهروا من نساءهم و تطهَّروا و تعاهدته و تعهّدته أي من إختلافٍ و إضطرابٍ في الخلقة و لا تناقض، انّما هي مستوية مستقيمة و حقيقة التّفاوت عدم التّناسب كأنّ بعض الشّئ يفّوت بعضاً و لا يلائمه و منه قولهم خلقٌ متفاوت و فى نقيضه متناصف.

فأن قلت كيف موقع هذه الجملة ممّا قبلها.

قلت هي صفةٌ مطابقة لقوله: **طِبٰاقًا** و أصلها، هل ترى فيهنّ من تفاوتٍ فوضع مكان الضّمير قوله: **خَلْقِ ٱلرَّحْمٰنِ** تعظيماً لخلقهنّ و تنبيهاً على سبب سلامتهنّ من تفاوت و هو أنّه خلق الرّحمن و أنّه يباهر قدرته هو الّذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب و الخطاب في **مٰا تَرٰى** للرّسول أو لكلّ مخاطبٍ إنتهى كلامه بألفاظه و عباراته هذا ما قالوه في تفسير الكلام.

و قال الشّيخ قدّس سرّه في التّبيان في قوله: **مِنْ تَفٰاوُتٍ** يعني من إختلافٍ و تناقض و ذلك يدلُّ على أنّ ما فيه التَّفاوت من الكفر و المعاصي ليس من خلق اللّه لأنّه نفى نفياً عامّاً أن يكون فيما خلقه تفاوت، و تفاوت و تفوُّت مثل تصاعر و تصعُّر إنتهى كلامه رفع مقامه.

و الّذي نقول في معنى الكلام هو أنّ قوله: **مٰا تَرٰى فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰاوُتٍ** فيه نقطةٌ خفيت على جميع المفسّرين من العامّة و الخاصّة و هي أنّ في الكلام دلالة على التّوحيد و أنّ خالق السّموات و ما فيهنّ و ما بينهنّ إلهاً واحداً فرداً لا شريك له في الملك و ذلك لأنّ تفاوت الأثار يدلّ على تفاوت المؤثّر و بالعكس، فلو كان في خلق الرّحمن تفاوتٌ و إختلافٌ كمّاً و كيفاً لدلَّ ذلك على إختلاف المؤثّر و تكثُّره إذ لا يعقل أن يكون المؤثّر متعدّداً متَّكثراً و

الأثار منهم واحدة لا تفاوت فيها لأنّ الأراء متفاوتة قطعاً وكلّ أثرٍ فهو تابع لمؤثّره ألا ترى أنّ الحرارة من آثار النّار و البرودة من آثار الماء فلا تكون الحرارة و البرودة من آثار مؤثّرٍ واحد فانّ الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد كما أنّ الواحد لا يصدر إلّا من الواحد فوحدة الأثر كاشفة عن وحدة المؤثّر كما أنّ وحدة المؤثّر تدّل على وحدة الأثر إذا عرفت هذا فنقول عدم التّفاوت في الخلقة يدلُّ على وحدة المؤثّر وليس المراد بعدم التّفاوت عدمه في الصّفات و الذّات بل المراد عدم التّفاوت في أصل الخلقة و أنّها على وتيرةٍ واحدة كيف شاء و أراد سواء كانت في خلق السّموات أم في غيرها من الموجودات و إلاّ فالتّفاوت في الصّفات و الذّات موجودٌ بلا كلام و محصلّ الكلام أنّك لو أمعنت النّظر و تفكّرت في المخلوق من أيّ صنفٍ كان ترى أنّه من آثار مؤثّرٍ واحد و الى هذا المعنى أشار الشّاعر بقوله:

و في كلّ شيٍ له آيةٌ تدّل على أنّه واحدُ

و لعلّه أشار إالى هذه الدّقيقة، بقوله: **فَارْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرٰى مِنْ فُطُورٍ** أي فرّد البصر و أدرها في خلق اللّه من السّموات و غيرها هل ترى من فطور، أي من شقوقٍ و صدوعٍ يقال فطره فطراً و منه قوله تعالى: **تَكَادُ ٱلسَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ**[1].

و قيل معناه، هل ترى من وهنٍ.

و قال قتادة معناه هل ترى من ضللٍ، و من المعلوم أنّ الأثر الّذي لا ضلل و لا عيب فيه يدلّ على أنّ المؤثّر فيه كاملٌ بالذّات و الصّفات بريٌّ من النّقص و الآفات و هذا هو اللّه الواحد القهّار.

ثمّ أنّه تعالى أكّد ذلك بقوله:

ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خٰاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ

١- مَريم = ٨٩

أي دفعةً بعد دفعةٍ و ذلك لأنّ من نظر إلى شيءٍ كرَّةً بعد أخرى ظهر له ما لم يظهر في النَّظر الأوّل حتّى قيل أنّ النَّظر الأوّل لا فائدة فيه و لا يترتّب عليه أثر لأنَّه وقع من النّاظر بغير تدبُّرٍ و تفكّرٍ و هذا بخلاف النَّظر الثّاني لأنَّه مسبوق بالإرادة و لأجل ذلك جعل الشّارع العقاب في النَّظر إلى الأجنَّبية في الدَّفعة الثّانية دون الأولى و السِّر في ذلك أنّ النَّظر الأوّل كثيراً ما يكون على سبيل الإتّفاق و هذا بخلاف الثّاني فأنّه يكون عن قصدٍ و عمدٍ فلا محالة يكون مسبوقاً بالإرادة و ملحوقاً بالتّفكُّر فيه و على هذا فإذا جدَّد النَّظر ثالثاً و رابعاً ظهر له ما لم يظهر من النَّظر السّابق و هذا ممّا يحكم به العقل و يؤيّده الحسّ و العيان و لا يحتاج إلى مزيد بيان ضرّورة أنّ النَّظر عن تفكّر و تدَّبرٍ غير النَّظر الّذي وقع منه من غير إرادةٍ و لأجل هذا أمر اللّه تعالى نبيَّه ظاهراً و جميع أفراد الأمّة بل جميع العقلاء واقعاً بتجديد النَّظر في الأثار.

و قال ثّم ارجع البصر كرَّتين، ثمّ بيَّن اللّه تعالى أنّ النّاظر إذا فعل ذلك أي جدَّد النَّظر إلى أثار رحمة اللّه و تفكّر فيها و تردَّد بصره في خلقه إنقلب إليه بصره و رجع خاسئاً أي ذليلاً في جنب عظمة اللّه و كمال قدرته و قال بلسان حاله أو فعاله سبحان اللّه ما أعظم شأنك أنّك على كلّ شيءٍ قدير و ذلك كذلّة من طلب شيئاً ولم يجده و أبعد عنه و قوله: **وَ هُوَ حَسِيرٌ** معناه كليلٌ كما يحسر البعير.

و عن إبن‌عبّاس أي قد بلغ الغاية في الإعياء فهو بمعنى فاعل من الحضور الّذي هو الإعياء و يجوز أن يكون مفعولاً من حسره بعد الشّيء كما قال الشّاعر:

من مدَّ طرفاً إلى ما فوق غايته إرتدَّ حسَّان منه الطَّرف قد حسرا

يقال حسر يحسر حسوراً أي كلَّ و إنقطع نظره من طول مدى و ما أشبه ذلك فهو حسيرٌ و محسور أيضاً كما قيل:

نظرت إليها بالمحصَّب من منى فعاد إليّ الطَّرف و هو حسيرُ

وَ لَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ

قيل اللاّم في لقد، للقسم أقسم اللّه تعالى في هذه الآية بأنّه زيّن السّماء الدُّنيابالمصابيح أي حسَّنها بها و هى جمع مصباح و المراد بها الكواكب المضيئة سمّيت النّجوم مصابيح لإضائتها كما يضيئ السّراج فانّ المصباح السّراج.

فعن قتادة خلق اللّه تعالى النُّجوم لثلاث خصالٍ، زينة السّماء، و رجوماً للشّياطين و ثالثها، علامات يهتدى بها فعلى هذا تقديره و جعلنا فيها، ثمّ أنّه لم يبيَّن في الآية أنّ رجم الشّياطين بالمصابيح نفسها أو بشهبها.

فقال بعض المفسّرين أنّه بالشُّهب و تقدير الكلام و جعلنا شهبها رجوماً للشّياطين و على هذا فهو بتقدير المضاف.

و قال الآخرون أنّ الضّمير في **جَعَلْنَاهَا** راجع إلى المصابيح على أنّ الرَّجم من نفس الكواكب و لا يسقط الكوكب نفسه و انّما ينفصل منه شئ يرجم به من غير أن ينقص ضوءه و لا صورته قاله أبو عليّ في جواب من قال كيف يجوز أن تكون المصابيح زينة و هى رجومٌ لا تبقى.

أقول هذا البحث ممّا لا طائل تحته إذ ليس المراد بالرَّجم معناه العرفي بل المراد معناه العقلي و هو الطَّرد و المنع كما يقال أعوذ باللّه من الشّيطان الرَّجيم، أي المطرود و بعبارةٍ أخرى المراد بالرَّجم الطَّرد و المنع عن نفوذ الشّياطين فيها و على هذا فمعنى قوله: **وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ** إنّا جَعَلنا السّموات بحيث لا يقدر الشّيطان على النُّفوذ فيها امّا بسبب إضاءة الكواكب او بغير ذلك.

وأمّا قَوله: **وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ** أي إعتدنا للشّياطين عذاب الحريق يوم القيامة، ثمّ انّ المراد بقوله تعالى: **زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا** الّتى يرونها أهل ا لدّنيا إذا نظروا إلى فوق رؤوسهم فانّ السّماء في الأصل جهة العلو كما أنّ

الأرض جهة التّحت و لذلك قيل، لكلّ أرضٍ سماءٌ و لكلّ سماءٌ أرضٌ كما قيل بالفارسيّة:

شنيدستم كه هر كوكب جهانى است

جداگانه زمين و آسمانى است

و قد تكلّمنا فيما مضى في معنى السّموات و الأرض و قلنا أنّ السَّموات ليست بأجسامٍ لا تقبل الخرق و الإلتئام كما قاله القدماء و الكواكب متّصلة بها إتّصال السّراج بالجسم فانّ هذه الكواكب معلّقة في الفضاء لا أنّها متصلّة بشئٍ سمّي بالسَّماء، و قد فصَّلنا الكلام فيها سابقاً بما لا مزيد عليه.

ثمّ انّ هذه الأيات تدلُّ على قدرة اللّه و حكمته و أنّ له الملك الكبير و أنّه على كلّ شئٍ قدير و هو الّذي يستحقّ أن يعبد لا غيره و هو الّذي يغفر الذُّنوب و يعفو عن السّيّئات و بيده الثّواب و العقاب.

وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ، إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقًا وَ هِيَ تَفُورُ

لمّا بيَّن اللّه تعالى في الأيات السّابقة عموم قدرته و أنّه جعل الموت و الحياة للإبتلاء و الإختبار و أنّه هو العزيز الغفور و أنّه خلق السّموات طباقاً إلى أخر ما ذكره شرع في بيان حال الكفّار و سوء عاقبتهم فقال: **وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا** باللّه و رسوله و اليوم الأخر **عَذابُ جَهَنَّمَ** يوم القيامة **وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ** أي بئس المصير جهنَّم، و بئس من أفعال الذمّ و قيل من صفات الذمّ ثمّ انّه تعالى بيَّن وجه الذّم فقال: **إِذا أُلْقُوا فِيها** أي إذا طرح الكفّار في النّار **سَمِعُوا لَها** أي للنّار **شَهِيقًا** أي صوتاً فظيعاً **وَ هِيَ** أي النّار **تَفُورُ** أي ترتفع فأنّ الفور إرتفاع الشّئ بالغليان يقال فارت القدر تفور فوراً و منه الفوّارة لإرتفاعها الماء إرتفاع الغليان و هو كناية عن شدّة العذاب و ما ظنّك بنار وقودها النّاس و الحجارة أعدّت للكافرين ثمّ انّه تعالى وصف النّار ثانياً بقوله:

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

كاد بمعنى قرب أي تكاد أن تتفرّق و تتقطّع بعضها من بعضٍ من الغيظ أي من شدّة الغيظ على أعداء اللّه.

و قيل من الغيظ أي من الغليان و أصل تميّز، تتميّز، و المقصود من هذه الكلمات شدّة إلتهاب النّار شبّه اللّه تعالى النّار في شدّة إلتهابها بمن كان في حال الغضب فكأنّ النّار غضبت على الكفّار فانّ الغيظ من أثار الغضب **كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ** أي جماعة من الكفّار فالفوج الجماعة و الإلقاء الطَّرح، يعني كلّما ألقي في نار جهنَّم جماعة من الكفّار **سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ** أي خزنة النّار أو خزنة جهنَّم و هم الملائكة الموكّلون على العذاب فانّهم يسألون الكفّار على وجه التّوبيخ و التّقريع **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ** أي ألم يأتكم رسولٌ أنذركم من هذا اليوم.

قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِنْ شَىْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ

أي قال الكفّار في جواب الخزنة **بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ** في الدُّنيا و أنذرنا من عذاب اللّه **فَكَذَّبْنَا** المنذر و هو النّبي **وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِنْ شَىْءٍ** و أنكرنا الكتاب المنزل عليه و قلنا لهم أي للأنبياء **إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ** ان نافية أي لستم إلاّ في الضّلالة.

و قيل هذا أي قوله: **إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ** هو قول خزنة جهنَّم لأهلها، أي أنّ الخزنة يقولون للكفّار لستم إلاّ في ضلالٍ كبير، أي لستم اليوم إلاّ في عذاب جهنّم لضلالتكم و غوايتكم، و على هذا إطباق المفسّرين، و الّذي يقوّى في النّفس أنّ هذا من تتمّة قول الكفّار في جواب الخزنة لا من قول الخزنة للكفّار فانّ الظّاهر انّ الآية كلّها جوابٌ لخزنة جهنّم و لكنّ القوم اجمعوا

على أنّه من قول الخزنة و لا نعلم وجهه فانّ سياق الآية يقتضي ما ذكرناه و اللّه أعلم بالصّواب.

وَ قٰالُوا لَوْ كُنّٰا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مٰا كُنّٰا فِيٓ أَصْحٰابِ ٱلسَّعِيرِ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحٰابِ ٱلسَّعِيرِ

الواو للعطف أي و قال الكفّار في جواب الخزنة **لَوْ كُنّٰا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ** في الدُّنيا من النّذير ولم نكذّبه **مٰا كُنّٰا** اليوم **فِيٓ أَصْحٰابِ ٱلسَّعِيرِ** أي أصحاب النّار **فَاعْتَرَفُوا** هؤلاء الكفّار **بِذَنْبِهِمْ** في تكذيبهم الأنبياء **فَسُحْقًا** و بعداً **لِأَصْحٰابِ ٱلسَّعِيرِ** أي بعداً من رحمة اللّه فانّ إقرار العقلاء على أنفسهم جائز و ما ربّك بظلّامٍ للعبيد فلمّا وصف اللّه تعالى الكفّار بما وصف و أعدَّ لهم في جهنَّم من أليم العقاب، ذكر أحوال المؤمنين و ما أعدَّ لهم في الجنَّة من جزيل الثّواب و أنواع النِّعم فقال:

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ

لخشية خوفٌ يشوبه تعظيم و أكثر ما يكون ذلك عن علمٍ بما يخشى منه و لذلك خصّ العلماء بها:

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ ٱلْعُلَمَٰؤُا إِنَّ ٱللّٰهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**[١].

قال اللّه تعالىٰ: **ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ ٱلسّٰاعَةِ مُشْفِقُونَ**[٢].

قال اللّه تعالىٰ: **تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**[٣] و غيرها من الأيات.

١- فاطر = ٢٨ ٢- الأنبياء = ٤٩
٣- الزُّمر = ٢٣

و فى قوله: **بِالْغَيْبِ** إشارة إلى خوفٍ خاصّ و هو الخوف الّذي إقتضاه معرفته بذلك من نفسه و معنى الآية انّ الّذين يخافون اللّه عن علم خوفاً إقتضاه معرفته بذلك من نفسه لهم مغفرةٌ من ربّهم و اجرٌ كبيرٌ يوم القيامة.

و قيل معنى **بِالْغَيْبِ** أي على وجه الإستسرار بذلك لأنّ الخشية متى كانت بالغيب كانت بعيدة من النّفاق و خالصة لوجه اللّه و خشية اللّه بالغيب تنفع بأن يستحقّ عليها الثّواب و أمّا الخشية في الظّاهر و ترك المعاصي كذلك لا يستحقّ بها الثّواب ذكر هذا المعنى بعض المفسّرين و هو حقٌّ.

وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

اللّفظ لفظ الأمر و المراد به الخبر يعني إن أخفيتم كلامكم في أمر محمّد أو اجهرتم به فانّه أي اللّه، عليمٌ بذات الصُّدور، يعني ما فى القلوب من الخير و الشّر.

أقول لا وجه لتخصيص الآية بما ذكروه من أمر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بل المراد بها معناها العامّ سواء كان في أمر محمّد أم في غيره فانّ النّفاق محكوم عقلاً و شرعاً فالآية بصدد بيان حكم عامّ و هو أنّه تعالى عالم بكلّ الأشياء و لا يخفى عليه شئ و ذلك لأنّه قد أحاطّ بكلّ شئٍ علماً و مع ذلك هو خالق الأشياء و لا يعقل أن يكون الخالق جاهلاً بما خلق و إلى هذا المعنى أشار اللّه تعالى بقوله:

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ

معناه من خلق الصُّدور يعلم ما في الصُّدور.

أقول الهَمزة للإستفهام الإنكاري أي بل يعلم الخالق.

حاصل الكلام أنّ الخالق يكون عالماً بما خلقه و ما يخلقه و إلاّ لا يكون خالقاً إذ لا يعقل أن لا يعلم الخالق ما خلقه و يكون خالقاً له.

و أمّا قوله: **ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ** فاللّطيف هو عالمٌ بدقائق الأمور، و يحتمل أن يكون المراد بكونه لطيفاً رفقه بالعباد في هدايتهم الى الخير و على جميع

التّقادير لا شكّ في أنّ اللّه لطيفٌ بعباده بلطف التّدبير، خبيرٌ أي عالمٌ بأعمالهم و نيّاتهم، و يحتمل أن يكون المراد بكونه لطيفاً، تجرُّده عن المّادة و تنزُّهه عن الجسم و الجسمانيّة، و يحتمل أن يكون المراد باللُّطف عناية الحقّ بعباده و الإحتمالات كثيرة و المعنى واضح لا خفاء فيه فلا يحتاج الى إطالة الكلام.

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنٰاكِبِهٰا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ

و المعنى أنّ اللّه تعالى هو الّذي جعل لكم الأرض ذلولاً، أي سهلاً سهَّلها لكم لتستقرُّوا عليها و الذَّلول المنقاد الّذي يذَّلّ لك و المصدر الذُّل الإنقياد أي لم يجعل الأرض بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة و الغلظة، و قيل معناه ثبّتها بالجبال لئلاّ تزول بأهلها، و قيل أشار بذلك الى التَّمكُّن من الزّرع و الغرس و شقّ العيون و الأنهار و حفر الآبار **فَامْشُوا فِي مَنٰاكِبِهٰا** هو أمر إباحةٍ و فيه إظهار الإمتنان و قيل هو لفظ الأمر و معناه الخبر أي لكي تمشوا في أطرافها و نواحيها و آكامها و جبالها **وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ** لفظه الأمر معناه الإباحة و الإذن في الأكل، أي كلوا ممّا أحلَّه لكم فيها من الرزّق **وَ إِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ** أي الى اللّه المرجع و المآل يوم القيامة فيجزى كلّ واحدٍ منكم حسب عمله و فى ذلك تهديدٌ و تخويف.

ءَأَمِنتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَآءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذٰا هِيَ تَمُورُ

الهمزة صورتها الإستفهام و معناها الإنكار أي لا تأمنوا، و الأمن هو إطمئنان النّفس الى السّلامة من الخوف، و الأمن علمٌ بسلامة النّفس من الضّرر و المعنى ءأمنتم عذاب من في السّماء إن عصيتموه، و قيل تقديره أمنتم من في السّماء قدرته و سلطانه و عرشه و مملكته و خصّ السّماء و إن عمَّ ملكه تنبيهاً على أنّ الإله الّذي نفذ قدرته في السّماء لا من يعظّمونه في الأرض و قيل هو

إشارة الى الملائكة، و قيل الى جبريل و هو الملك الموكّل بالعذاب أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون **فَإِذَا هِيَ تَمُورُ** أي تذهب و تجيء يقال مار يمور موراً، و المور هو التّردد و محصّل الكلام هو أنّ اللّه الّذي جعل لكم الأرض ذلولاً و منقاداً للسكونة، و الزّراعة قادرٌ على أن يجعلها مضطربة بحيث تكون عذاباً عليكم فأنّ الأمور بيده يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد فلا تكونوا مطّمئنين.

أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَآءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ

فالحاصب الحجارة الّتى يرمى بها كالحصباء، لمّا ذكر في الآية السّابقة **ءَأَمِنتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَآءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ** أشار في هذه الآية الى نوع آخر من العذاب و هو إرسال الحجارة من السّماء كما كان في الأمم السّالفة بسبب المعاصي الّتى صدرت عنهم فقال: **أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَآءِ** و هم ملائكة العذاب بإذن اللّه أن يرسل عليكم، من السّماء **حَاصِبًا** أي حجارة **فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ** فيه تهديدٌ أي ستعرفون كيف تخويفي و ترهيبي إن عصيتموني إذا صرتم الى عذاب النّار ثّم قال تعالى مقسماً.

لَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ

يعني كذّب الّذين كفروا بالتّوحيد و النبوّة و المعاد من قبلهم كقوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و أصحاب مدين و أصحاب الرّس و قوم فرعون و غيرهم فأهلكتهم و استأصلتهم، فكيف كان نكير، أي كيف كانت ثمرة إنكارهم و حكم الأمثال واحد.

أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَ يَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ

يعني أو لم يروا بأعينهم هؤلاء الكفّار **إِلَى ٱلطَّيْرِ** فوقهم صافّات، أي كما ذلّل الأرض للإنسان ذلّل الهواء للطّيور و معنى، صافّات، أي باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها **وَ يَقْبِضْنَ** أي يضربن بها جنوبهنّ قال بعضهم يقال للطّائر إذا بسط جناحيه صافّ، و إذا ضمّهما فأصابا جنبه، قابض لأنّه يقبضهما و إلى هذا المعنى أشار الشّاعر بقوله:

يبادر جنح اللّيل فهو موائلُ

يحيث الجناح بالتّسبط و القبض

مٰا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمٰنُ الإمساك اللّزوم المانع من السُّقوط و المعنى ما يمسك الطّير في الجوّ و هى تطير إلاّ اللّه تعالى.

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ بما للخلق من النّفع و الضّر ثمّ قال تعالى:

أَمَّنْ هٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمٰنِ إِنِ ٱلْكٰافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ

قال إبن عبّاس في قوله: **هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ** أي هو حزبٌ و منعةٌ لكم، و على هذا فالمعنى أم ظنتم أنّ أعوانكم و أقربائكم و عشيرتكم و غيرهم ممّن حولكم **يَنْصُرُكُمْ** في الشّدة و المحنة **مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمٰنِ إِنِ ٱلْكٰافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ** إن، نافية أي ليس الكافرون باللّه العابدون للأوثان إلاّ في غرورٍ حيث يتوهّمون أنّ ذلك أنفع لهم و الأمر على خلاف ذلك فالإستفهام للإنكار أي لا جند لكم يدفع عذاب اللّه فلا تغترُّوا بكثرتهم و أقوالهم، ثمّ أشار اللّه تعالى إلى أصلٍ آخر من الأصول الّتى عليها معايش الخلق و لا يقدر على اجرائه إلاّ اللّه فقال على سبيل الإستفهام الإنكاري أيضاً.

أَمَّنْ هٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ

و المعنى ليس الرّازق إلاّ اللّه تعالى و هذا ممّا لا خلاف فيه لأنّ جميع ما يحتاج إليه البشر من المأكول و المشروب و الملبوس و غيرها ممّا تتوقّف عليه الحياة مخلوقٌ للّه تعالى و على هذا فأن أمسك رزقه، أي يزيله و يمنعه منكم فمن يرزقكم **بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ** اللّجاج تقحّم الأمر كثيراً ردّاً للصّارف عنه و العتوّ، بضَّم العَين و التّاء من عتا يعتو عتوّاً، فهو عات و هو الخروج إلى فاحش ألساد و يعَّبر عنه بالطُّغيان و النُّفور بضَّمتين الخروج عن الشّئ هرباً من الشُّعور بضرره و نقيض النُّفور القبول، و المعنى أنّهم أي الكفّار و قعوا في اللّجاج و العناد و لذلك فلا يقبلون قول الحقّ كما هو شأن المعاند و بعبارةٍ أخرى إنَّهم لجُّوا في طغيانهم و خروجهم عن الحقّ لعنادهم و إصرارهم على الكفر و من كان كذلك فلا ينفعه الإرشاد إلى الحقّ بل يقال.

ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ[1] لقد حقَّت عليهم كلمة العذاب.

أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

ضرب اللّه تعالى مثلاً للكافر و المؤمن و ان شئت قلت شبَّه اللّه الكافر بمن يمشي مكبّاً على وجهه و شبَّه المؤمن بمن يمشي سويّاً أي معتدلاً ناظراً بين يديه و عن يمينه و عن شماله.

قال إبن عبّاس هذا في الدُّنيا و يجوز أن يراد به الأعمى الّذي لا يهتدي إلى الطّريق فيعتصف فلا يزال ينكبّ على وجهه و أنّه ليس كالرّجل السوّي البصير الماشي في الطّريق المهتدي له.

و قال قتادة هو الكافر أكبّ على معاصي اللّه في الدُّنيا فحشره اللّه يوم القيامة مكبّاً على وجهه، و قيل عني به أبو جهل و الّذي يمشي سويّاً رسول اللّه و من تبعه.

١- الانعام = ٩١

أقول الحقّ أنّه عامّ في الكافرون والمؤمن أي أنّ الكافر لا يدري أعلى الحقّ هو أم على باطلٍ، و على هذافالمعنى أهذا الكافر المكبّ على وجهه الّذي لا يهتدي إلى طريق الحقّ أهدى، أم المسلم يمشي سويّاًمعتدلاً يرى ما بين يديه و ما عن يمينه و شماله و هو **عَلٰى صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ** و هو الإسلام، يقال أكبّ الرّجل على وجهه فيما لا يتّعدى، بالألف، فإذا تعّدىٰ قيل كبّه اللّه لوجهه بغير ألف.

قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنْشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْأَبْصٰارَ وَ ٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مّا تَشْكُرُونَ

الإنشاء الإيجاد، و المعنى قل يا محمّد لهؤلاء الكفّار المكبّين على وجوههم **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنْشَأَكُمْ** أي أنّ اللّه تعالى خلقكم و أوجدكم **وَ جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ** للإستماع **وَ ٱلْأَبْصٰارَ** للرّؤية و النّظر **وَ ٱلْأَفْـِٔدَةَ** يعني القلوب لدرك الحقائق و التّفكّر و التّعمّق فيما تسمعون و تنظرون إليه **قَلِيلًا مّا تَشْكُرُونَ** على هذا النّعم الجليلة مع أنّ شكر المنعم واجب عقلاً و شرعاً.

إعلم أنّ اللّه تعالى أشار في هذه الآية إلى أفضل النعم و هو نعمة الإيجاد و إنّما قلنا أفضل النّعم لأنّ من لا وجود له فهو معدوم و المعدوم لا حكم له و لا يترتّب عليه أثرٌ من الآثار فانّ الوجود هو الّذي يترتّب عليه الأثر فما لا وجود له لا حكم له، ثمّ أشار اللّه تعالى إلى السّمع و البصر و الأفئدة، من بين جميع الأعضاء و الأجزاء و القوى المودّعة في الإنسان من الشامّة و الذّائقة و اللاّمسة و من الأجزاء كالرّجل و اليد و الأنف و اللّسان و غيرها لنقطةٍ و هى أنّ السّامعة و الباصرة من أشرف القوى و ذلك لأنّ جميع الفضائل المكتسبة للإنسان يحصل له من هاتين القوّتين و لأجل ذلك إختلفت الفلاسفة في ترجيح أحدهما على الآخر بعد إتّفاقهم على أنّهما من أشرف القوى و أفضلها و الوجه فيه ظاهر فانّ الإنسان بالسّمع يستمع الحقائق و بالنّظر يعتبر و لتفصيل الكلام فيهما موضع آخر.

و أمّا الأفئدة فهي جمع فؤاد، و هو القلب الّذي به يحصل التَّفقُّه و تمييز الحقّ عن الباطل فكُلّ ما يدركه السَّمع و البصر و غيرهما من القوى يعرف خيره و شرّه ببركة القلب و هو الحاكم في مملكة البدن و أمّا القوى فشأنها الإدراك فقط و أن شئت قلت هو بمنزلة القاضي في الأمور المدركة و هو المميّز في المدركات و إلاّ فالإدراك موجود في الحيوان أيضاً ألا ترى أنّه يسمع و يبصر و يشمّ و يلمس و يذوق كما هو كذلك في الإنسان و لا فرق فيهما من هذه الجهة و إنّما الفرق في التَّفهُّم و التَّعقل و تمييز الحقّ من الباطل و الخير من الشَّر لا يحصل للحيوان إذ لا عقل له و هذا هو المراد من القلب لا اللَّحم الصَّنوبري الّذي هو موجود في الحيوان أيضاً.

و أمّا قوله: **قَلِيلًا مّا تَشْكُرُونَ** ففيه إشارة إلى أنّ أكثر الأفراد يكفرون بنعمة اللّه و لا يشكرونه على ما أعطاهم من النّعم مع أنّ شكر المنعم واجب عقلاً و شرعاً و إلى هذا المعنى أشار اللّه تعالى بقوله: **وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**[1] و قد مضى الكلام فيه غير مرّة.

قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ، وَ يَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ، قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ

لمّا بيَّن اللّه تعالى في الآية السّابقة أنّه أنشأ الإنسان أي أوجده و خلقه و جعل له السَّمع و البصر و الأفئدة ذكر في هذه الأيات أموراً ينبغي التوجّه إليها فقال: **هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ** قيل معناه خلقكم و أوجدكم، و قيل معناه، نشركم فيها و فرَّقكم على ظهرها.

أقول و هذا هو الحقّ.

قال الرّاغب في المفردات، الذَّرأ إظهار اللّه ما أبداه يقال ذرأ اللّه الخلق أي أوجده و أظهر أشخاصهم:

١- سباء = ١٣

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ**[١].

قال اللّه تعالىٰ: **وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ اَلْحَرْثِ**[٢].

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي اَلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوانُهُ**[٣] و غيرها من الأيات.

و على هذا فحمل الذَّرء في الآية على النَّشر و الإظهار أولى من حمله على الخلق و قوله: **وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** أي تبعثون إليه يوم القيامة فيجازيكم علىٰ أعمالكم على الطّاعة الثّواب و على المعصية العقاب، فلمّا أخبر اللّه تعالى بذلك أي بالبعث و النُّشور قال الكفّار متى كان ذلك كما قال: **وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا اَلْوَعْدُ** أي البعث، **إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ** قالوا هذا للأنبياء الّذين أخبروهم به فقال تعالى في جوابهم **قُلْ** يامحمّد **إِنَّمَا اَلْعِلْمُ** بزمان البعث عند اللّه **وَ إِنَّمَا أَنَا نَذيرٌ** أي مخوِّفٌ ظاهر من البعث و تبعاته و فيه إشارة إلى أنّ العلم بالسّاعة مختصّ باللّه تعالى و هو كذلك كما قال في موضع أخر. **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبّي**[٤] و قد مضى الكلام فيه.

فَلَمّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سيئَتْ وُجُوهُ اَلَّذينَ كَفَرُوا وَ قيلَ هٰذَا اَلَّذي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ

الزُّلفة المنزلة القرينة و الأصل فيها القرب و منها (مزدلفة) لأنّها منزلة قريبة من مكّة و جمع زلفة، زلف و المعنى فلمّا رأى الكفّار ما وعدوا به من البعث و الجزاء على الأعمال **سيئَتْ وُجُوهُ** أي سيئت وجوه الكفّار من الخوف أي ظهر في وجوههم السُّوء و بعبارةٍ أخرى ظهر على وجوههم ما دلَّ على كفرهم.

ثمّ أنّ المفسّرين إختلفوا في معنى المراد من قوله: **زُلْفَةً** أي قريبةً، فقال بعضهم رأوا ما وعدوا من الحشر قريباً منهم.

١- الأعراف = ١٧٩
٢- الانعام = ١٣٦
٣- النّحل = ١٣
٤- الاعراف = ١٧٨

و قال إبن عبّاس لمّا رأوا عملهم السَّيّئ قريباً.

و قال بعضهم أي ساءهم ذلك العذاب، و الّذي يختلج بالبال في معنى القرب هو القرب إلى الموت أي فلمّا دنى أجلهم و رأوا الموت بالمعاينة سيئت وجوههم في حال الإحتضار و هذا المعنى أنسب بالآية ممّا ذكروه فانّ المحتضر في حال الإحتضار يرى ما لا يراه غيره.

وَ قِيلَ هٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ يجوز أن يكون الفعل من الدّعاء أن يكون من الدّعوى.

قال الفّراء والتّخفيف و التّشديد واحد مثل، تذكرون، و تذّكرون، و تدَّخرون، و تدخرون قاله في التّبيان، و أكثر المفسّرين على التّشديد من الدُّعاء أي هذا الّذي كنتم تمنُّون و تسألون.

و قال إبن عبّاس معناه هذا الّذي كنتم من أجله تدَّعون الأباطيل و الأحاديث و يحتمل أن يكون المعنى هذا الّذي كنتم به تدَّعون بطلانه و كذبه.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللّٰهُ وَ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنٰا فَمَنْ يُجِيرُ ٱلْكٰافِرِينَ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ

أي قل لهم أيّ لهؤلاء الكفّار **أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللّٰهُ وَ مَنْ مَعِيَ** من المؤمنين و الأقرباء **أَوْ رَحِمَنٰا** و أخّر أجالنا فمن يجيركم من عذاب اللّه الّذي ينفعكم من ذلك في رفع العذاب الّذي تستحقُّون به فلا تعلّلوا في ذلك بما لا يغني عنكم شيئاً قيل أنّ الكفّار كانوا يتمنُّون موت النّبي و موت أصحابه فقال لهم النّبي أيُّ نفعٍ في موتي و موت أصحابي لكم في النّجاة من العذاب و من يجير الكافرين و يخلصهم من عذاب اللّه.

و محصّل الكلام أنّ العذاب يترتّب على المعصية و هو بأمر اللّه و لا يقدر أحدٌ على منعه من الكفّار و على هذا فلا نفع لكم في موتي و موت أصحابي و هو واضح.

قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُبِينٍ

أى قل يا محمّد لهؤلاء الكفّار المنكرين، **هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ** يعني اللّه تعالى هو الّذي عمَّت نعمه جميع الخلائق و هو المستحقّ بأن يوصف بالرّحمن الّذي ينبغي أن يعبد لا غيره و نحن أمنّا به **وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا** أي فوَّضنا أمورنا إليه **فَسَتَعْلَمُونَ** غداً يوم القيامة **مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُبِينٍ** نحن أو أنتم.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَعِينٍ

أي قل يامحمّد أرأيتم معاشر الكفّار، و قيل معشر قريش **إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ** الّذي تشربونه **غَوْرًا** أي غائر ذاهباً في الأرض **فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَعِينٍ** أي ماءٍ جار في الأنهار تشربون منه و الجواب لا يقدر عليه أحد غير من خلق الماء فإذا كان كذلك فلم تشركون باللّه الّذي هو ولّي النِّعم كلّها.

■

سورة القلم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ وَ ٱلْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَ لَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَ لَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَ

هُمْ يَتَخافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لا يَدْخُلَنَّها ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ
مِسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَ غَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادِرِينَ ﴿٢٥﴾
فَلَمّا رَأَوْها قالُوا إِنّا لَضالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا
تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إِنّا كُنّا ظالِمِينَ
﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴿٣٠﴾
قالُوا يا وَيْلَنا إِنّا كُنّا طاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسى رَبُّنا أَنْ
يُبْدِلَنا خَيْرًا مِنْها إِنّا إِلى رَبِّنا راغِبُونَ ﴿٣٢﴾
كَذلِكَ ٱلْعَذابُ وَ لَعَذابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ
تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ
لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ ٱلْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ
لَما تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾
أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا
صادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ يُدْعَوْنَ
إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خاشِعَةً
أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى
ٱلسُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَ مَنْ
يُكَذِّبُ بِهٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَآ أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَآءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَيٰهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَ إِنْ يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا ٱلذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَ مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

◄ اللّغة

نٓ: إسم للسُّورة على أشهر الأقوال.

وَ ٱلْقَلَمِ: القلم ألة لما يكتب به.

يَسْطُرُونَ: و السَّطر الكتاب و هى وضع الحروف على خطٍّ مستقيمٍ يقال سطر يسطر سطراً إذا كتب.

ٱلْمَفْتُونُ: يقال فتن فلان بفلانه إذا إبتلى بتخييل الرّأي كالمجنون.

وَدُّوا: الوّد الحبّ.

تُدْهِنُ: الإدهان الجريان في ظاهر الحال على المقاربة مع إضمار العداوة و هو مثل النّفاق.

حَلَّافٍ مَهِينٍ: الحلاّف مبالغة في الحلف و هو القسم أي كثير القسم، و المهين، الوضيع بإكثاره من القبيح.

هَمَّازٍ: بفتح الهاء المغتاب و قيل، في معناه، أي وقّاع في النّاس بما ليس له أن يغيبهم به.

مَشَّآءٍ: بفتح الميم و تشدّيد الشّين مبالغة في المشي أي يمشي كثيراً بين النّاس بالنَّميمة و النَّميم و النميمة مصدران.

مَنَّاعٍ: بفتح الميم و تشدّيد النُّون مبالغة في المنع أي يمنع خيره عن غيره كثيراً.

مُعْتَدٍ: المعتّد المتّجاوز عن الحدّ.

أَثِيمٍ: مبالغة في الإثم و هو الذّنب.

عُتُلٍّ: بضّم العين و التّاء و تشدّيد الفاحش اللّئيم.

زَنِيمٍ: الزَّنيم الدَّعي و قيل هو الّذي يعرف بالشَّر.

سَنَسِمُهُ: من وسم و الوسم العلامة.

عَلَى ٱلْخُرْطُومِ: الخرطوم الأنف من الإنسان موضع الشَّفة من السّباع و خراطيم القوم ساداتهم.

بَلَوْنَاهُمْ: الإبتلاء الإختبار.

لَيَصْرِمُنَّهَا: الصَّرم قلع ثمر النَّخل.

كَالصَّرِيمِ: الصَّريم المصروم و قيل هو أرضٌ باليمن لا نبات فيها.

صَارِمِينَ: أي قاطعين.

عَلَىٰ حَرْدٍ: الحرد القصد.

يَتَلَاوَمُونَ: عن اللّوم أي يلوم بعضهم بعضاً.

زَعِيمٌ: أي كفيل.

تَرْهَقُهُمْ: أي تغشاهم يقال رهقه إذا غشيه.

مَغْرَمٍ: المغرم مايلزم من الدّين.

مُثْقَلُونَ: المثقل المحمل للثّقل و هو ما فيه مشقّةٍ على النّفس كالمشّقة على الحمل الثّقيل على الظَّهر.

مَكْظُومٌ: أي مغموم و المكظوم المحبوس عن التّصرف في الأمور يقال كظم غيظه إذا حبسه.

بِالْعَرَآءِ: العراء الصّحراء الواسعة و قيل الأرض العارية عن النّبات و الأبنية.
مَذْمُومٌ: يعني مليم أي أتى بما يلام عليه.
لَيُزْلِقُونَكَ: الإزلاق الإصابة بالعين، و الباقي واضح.

◄ الإعراب

أَنْ كَانَ يقرأ بكسر الهَمَزة على الشّرط و بفتحها على أنّها مصدريّة.

فعلى الأوّل: جواب الشّرط محذوف دلّ عليه إِذَا تُتْلَى أي إن كان ذامالٍ يكفر.

على الثّاني: فالتّقدير لأن كان ذا مالٍ يكفر و لا يعمل فيه، تتلى و لا مال، لأنّ ما بعد إذ لا يعمل فيما قبلها.

مُصْبِحِينَ حال من الفاعل في يصرمّنها و عَلَى حَرْدٍ يتعلّق قَادِرِينَ و قادرين حال عِنْدَ رَبِّهِمْ ظرفٌ للإستقرار أو هو حال من جَنَّاتِ بالغه بالرَّفع نعتٌ لإيمان و بالنَّصب على الحال و العامل فيها الظَّرف الأوّل أو الثّاني.

◄ التّفسير

نٓ وَ ٱلْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ

إتّفق المفسّرون على أنّ اللّه تعالى أقسم بالنُّون و القلم ثمّ أنّهم إختلفوا في معنى المراد بالنُّون على أقوالٍ كثيرة.

فقال بعضهم أنّه إسمٌ من أسماء السُّورة مثل، حم، و ألم، و ق، و ما أشبه ذلك و هو أشهر الأقوال و إختاره في التّبيان.

و عن إبن عبّاس أنّ النُّون الحوت الّذي عليه الأرضون.

و في روايةٍ أخرى أنّ النُّون الدّواة و هو قول الحسن و قتادة.

و روي عن النّبي أنّ النُّون لوحٌ من نورٌ.

و قال قوم و ربّ النُّون و القلم، نقل هذه الأقوال في التّبيان و إختار الأوّل منها.

و أمّا **اَلْقَلَمِ** فهو ألة الكتابة وجمعه أقلام ومنه قلامة الظُّفر و قوله: **وَ مٰا يَسْطُرُونَ** أي ما يسطرون ذوات الأقلام يقال سطر سطراً إذا كتب و هو أيضاً ممّا أقسم به بمقتضى العطف فالمعنى أقسم بالنُّون، و القلم و ما يسطرون به و قد مرَّ منّا فيما مضى أنّ اللّه تعالى يصحّ منه أن يقسم بكلّ ما أراد من خلقه و لا يجوز لنا ذلك بل لا بدّ لنا من القسم باللّه تعالى.

نقل القرطبي في تفسيره لهذه الآية عن أبي هريرة أنّه قال سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول أوّل ما خلق اللّه القلم ثمّ خلق النُّون و هى الدَّواة و ذلك قوله تعالى: نٓ وَ اَلْقَلَمِ ثمّ قال له أكتب قال و ما أكتب قال ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة قال ثمّ ختم فم القلم فلم ينطق و لا ينطق إلى يوم القيامة ثمّ خلق العقل فقال الجبّار ما خلقت خلقاً أحبَّ إليّ منك و عزّتي و جلالي لأكملنّك فيمن أحببت و لأنقصنّك فيمن أبغضت قال ثمّ قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أكمل النّاس عقلاً أطوَّعهم و أعملهم بطاعته إنتهى.

أقول هذا الحديث على فرض صحّته لا ربط له بموضوع البحث مع أنّ ما فيه من المنكرات ممّا لا يخفى على العاقل، و الّذي يقوى في النّفس و اللّه أعلم.

أنّ النُّون إسم للسُّورة و المراد به الحوت الّذي مكث يونس في بطنه و بذلك سمّي بصاحب الحوت و سيأتي الكلام فيه في أواخر السُّورة و أنّما قلنا المراد بالنُّون في المقام الحوت لانّ اللّه تعالى قال: **وَ لَا تَكُنْ كَصٰاحِبِ اَلْحُوتِ إِذْ نٰادىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ**[1].

١- القلم = ٤٨

و سيأتي الكلام فيه و الحوت و النُّون واحد و المراد بهما السَّمك و على هذا فلا يبعد أن يكون المراد بالنُّون الحوت، أي أقسم بالحوت أو بالنُّون الّذي مكث في بطنه يونس النّبي و أمّا المراد بالقلم فقد ذكرناه هذا ما فهمناه من الآية و العلم عند اللّه تعالى.

مٰآ أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ

ما، نافية أي لست بنعمة ربّك بمجنون، قيل هذا جواب القسم أي أقسم بالنُّون و القلم و ما يسطرون، لست بنعمة ربّك بمجنون، و كان المشركون يقولون أنّه ﷺ مجنون فردّ اللّه عليهم و قال لست كذلك، قالوا: **يٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**[1].

وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ

الخطاب للنّبي أي و أنّ لك يامحمّد لأجراً و ثواباً على ما تحمَّلت من أثقال النّبوة، غير ممنون أي غير مقطوع منقوص.

و قال مجاهد أي غير محسوبٍ.

و قال الحسن غير مكدّر و قيل معناه لا يمنّ عليك بأجرك و هذا المعنى أوفق باللّفظ.

وَ إِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيمٍ

قيل معناه على دينٍ عظيم و هو الإسلام و قيل أدب القرآن و عن المؤرّج أنّه قال معناه على دينٍ عظيم بلغة قريش.

أقول ما ذكروه لا بأس به إلاّ أنّه خارج عن مفهوم اللّفظ و الأحسن حمل اللّفظ على معناه العرفي أعني به حسن الخلق في جميع الشّئون و كيف لا

١- الحجر = ٦

يكون كذلك و قد أدّبه اللّه تعالى بأدابه بتوسّط الملك الموّكل عليه من حين الطُّفوليّة و لذلك صار النبيّ متخلّقاً بأخلاق اللّه في الصَّبر وسعة البذل و تدبير الأمور على مقتضى العقل و فى ذلك الحلم و الأناة و الحلم و المداراة و من وصفه اللّه بأنّه على خلقٍ عظيم فليس وراء مدحه و قيل و انّك لعلى خلقٍ عظيم بحكم القرأن و كيف كان فكلّ عطف على جواب القسم.

فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ

قال إبن عبّاس أي فستعلم و يعلمون هؤلاء الكفّار يوم القيامة و ذلك لأنّهم كانوا يرمون الرّسول بالجنون تارةً و بالكهانة و الضّلالة تارةً أخرى فقال تعالى تسليةً للنبيّ ما قال فأنّ القيامة أتية لا ريب فيها و قيل معناه يرون يوم القيامة حين يتبيّن الحقّ من الباطل و المعنى واضح.

بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ

قال الأخفش المفتون الفتنة كقولك ليس له معقول و خذ ميسوره ودع معسوره فتقديره بأيكم الفتون و قال غيره أيُّكم المفتون و الباء زائدة كقوله: **وَ كَفى بِاللّهِ شَهيدًا** و على هذا فتقدير الكلام فستبصر و يبصرون أيُّكم المفتون أي الّذي فتن بالجنون و قيل الباء بمعنى في، أيُّكم الجنون، و المفتون المبتلى بتخييل الرّأي كالمجنون.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

خاطب اللّه نبيّه و قال هو أي اللّه أعلم بمن ضلَّ عن سبيله، و هو الصّراط المستقيم، أعلم بالمهتدين الّذين دخلوا فيه و ذلك لأنّ الخالق أعرف و أعلم بحال عبده من العبد نفسه فضلاً عن غيره و لا يخفى عليه شئ.

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ

نهى اللّه نبيّه عن إطاعة المكذّبين بالتّوحيد و النبوّة و المعاد و متابعته إيّاهم في أقوالهم و أفعالهم و الخطاب للنّبي و المراد جميع الأمّة و ذلك لأنّ الكذب قبيحٌ عقلاً و شرعاً و متابعة الكاذب أيضاً قبيح كذلك و أنّما نهى اللّه عن إطاعة المكذّب و متابعته لأنّه غير معتمدٍ في أقواله فلا يطيعه إلاّ مثله.

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ

الودّ الحبّ و المعنى أنّ الكفّار ودُّوا أي أحبُّوا و تمنّوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك، و قيل معناه، ودُّوا لو تكفر فيكفرون قاله إبن عبّاس.

و قيل معناه لو تركن إلى عبادة الأوثان فيمالونك و قال الفرّاء الإدهان التّليين و المعنى لو تلين لهم فيلينون لك، و قيل لو ركنت إليهم و تركت الحقّ فيمالونك، و الأقوال كثيرة نقلوها في تفاسيرهم، و الّذي إعتمد إليه في معنى الكلام هو أنّ الإدهان في الأصل المداراة و الملاينة و ترك الجدّ و على هذا فالمعنى أنّ الكفّار ودُّوا منك المداراة و الملاينة لهم ليتّبعوك فيهما، فهو من قبيل قوله:

قال اللّه تعالى: **أُدْعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ**[1].

قال اللّه تعالى: **وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**[2].

و الحاصل أنّ النّاس يحبُّون المداراة و الملاينة و يبغضون الخشونة و الشّدة و أساس التّبليغ في الدّين على المداراة لقوله تعالى: **وَ لا إِكْراه في الدّين**.

وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ مَهينٍ

الحلاّف الكثير الحلف و المهين الضّعيف القلب.

و قال إبن عبّاس الكذّاب و قيل المكثار في الشّر و قيل الفجر العاجز، معناه الحقير و الذّليل و قيل غير ذلك من الأقوال.

١- النّحل = ١٢٥ ٢- آل عمران = ١٥٩

و قال صاحب الكشّاف و هو أعرف باللُّغة في قوله: **مَهِينٍ** و من المهانة و هي القلّة و الحقارة يريد القلّة في الرّأي و التّمييز أو أراد الكذب لأنّه حقير عند النّاس إنتهى.

أقول انّما وصف الحلاّف به لأنّ كثرة الحلف دليل على حقارة الحالف و قلّة رأيه و تمييزه بين الحقّ و الباطل و لذلك ترى الرّجال الّذين لهم رأيٌ صائب لا يحلفون إلاّ قليلاً و يظهر ذلك كثيراً في البائعين، و كيف كان لا شكّ أنّ كثرة الحلف دليلٌ على مهانة الحالف و إضطراب رأيه و من كان كذلك لا يقبل قوله إذ لو كان صائباً في رأيه صادقاً في قوله لما إحتاج إلى الحلف و لذلك قيل الحلف دليلٌ على الكذب إلاّ فيما يحتاج الحالف إليه.

هَمّازٍ مَشّآءٍ بِنَمِيمٍ

قال إبن زيد الهمّاز الّذي يهمز النّاس بيده و يضربهم، و اللّماز باللّسان، و قيل الهمّاز الّذي يذكر النّاس في وجوههم و اللّماز الّذي يذكر النّاس في مغيبهم، و قيل أنّ الهمَّز الّذي يغتاب بالغيبة و المشّاء من يمشّي بالنّميمة بين النّاس ليفسد بينهم و هو مبالغة من المشي، و النَّميم مصدر يقال، نمَّ ينّم نمّاً و نميماً و نميمةً، و قيل النَّميم جمع نميمة.

و قال صاحب الكشّاف همّاز، أي عيّابٌ طعّانٌ **مَشّآءٍ بِنَمِيمٍ** أي مضّربٌ نقّال للحديث من قومٍ إلى قومٍ على وجه السّعاية و الإفساد بينهم و النَّميم و النَّميمة السّعاية إنتهى.

أقول النّمام يقال له بالفارسّية (سخن چين) و محصّل الكلام أنّ اللّه تعالى نهى نبيّه أنّ يطيع المكذّب، و الحلاّف المهين، و الهمّاز الّذي يمشي بالنَّميمة بين النّاس ثمّ أضاف إلى ذلك قوله:

مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ

أي و لا تطع **مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ** أي من يمنع خيره و نفعه عن غيره فلا ينتفع أحد به و انّما نهى عن طاعته لأنّه بخيلٌ و البخل من أقبح الصّفات (و المعتدّ) المتجاوز عن الحدّ في المعاملة **أَثِيمٍ** أي ذي إثم هكذا قيل و الحقّ أنّ **أَثِيمٍ** مبالغة من الإثم و هو كثير الإثم، لا ذي إثم إذ لا يوجد إنسان إلاّ و له إثم و أن كان مؤمناً إلاّ أن يكون معصوماً كالأنبياء و الأوصياء و المراد بكثير الإثم الكافر **عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ** العتلّ بضّم العين و التّاء و تشديد اللاّم الجافي الشّديد في كفره و قيل هو الشّديد الخصومة للباطل، و قيل العتلّ الفاحش السّيّئ الخلق و قيل الفاحش اللّئيم.

و قال صاحب الكشّاف هو غليظٌ جافّ من عتله إذا قاده بعنفٍ و غلظةٍ **بَعْدَ ذٰلِكَ** أي بعد ما عدّ له من المثالب و النّقائص هو **زَنِيمٍ** أي دعيّ كما قال الشّاعر:

و أنت زنيمٌ نيط في آل هاشمٍ
كما نيط خلف الرّاكب القدح الفرد

قيل كان الوليد بن المغيرة دعيّاً في قريش ليس من سنخهم إدّعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده و قيل بغت أمّه و لم يعرف حتّى نزّلت هذه الآية إنتهى كلام الكشّاف.

أقول الشّعر لحسّان بن ثابت الأنصاري و كلمة (بعد) هاهنا قيل معناه (مع) أي هو مع ذلك زنيم، أي دعيّ ملصقٌ بالقوم و ليس منهم و إلى هذا المعنى أشار الشّاعر بقوله:

زنيمٌ ليس يعرف من أبوه
بغيّ الأمّ ذو حسبٍ لئيمٍ

أَنْ كٰانَ ذٰا مٰالٍ وَ بَنِينَ

هو متعلّق بقوله لا تطع يعني لا تطعه مع هذه المثالب ليساره و حظّه من الدُّنيا، ثمّ أنّ كلمة (أن) يقرأ بكسر الهَمزة على الشّرط و بفتحها على أنّها مصدريّة، أمّا على الشّرط فجوابه محذوف دلّ عليه **إِذٰا تُتْلىٰ** أي إن كان ذا مالٍ يكفر، و أمّا على المصدريّة فالتّقدير لأن كان ذا مالٍ يكفر.

قال القرطبي معظّم المفسّرين على أنّ هذا نزل في الوليد بن المغيرة المخزومي و كان يطعم أهل منى ثلاثة أيّام و ينادي ألا لا يوقدّن أحد تحت برمة، ألا لا يدخلنّ أحد بكراعٍ، ألا و من أراد الحيس فليأت الوليد بن المغيرة و كان ينفق في الحجّة الواحدة عشرين ألفاً و أكثر و لا يعطي المسكين درهماً واحداً، فقيل له منّاعٍ للخير الخ.

و قال إبن إسحاق نزلت في الأخنس بن شريق لأنّه حليفٌ ملحقٌ في بني زهرة و لذلك سمّي زنيماً، فمن قال أنّها نزلت في الوليد قال كان له ألف دينارٍ من المال و عشرة بنين و إلى ذلك أشار اللّه بقوله: **أَنْ كٰانَ ذٰا مٰالٍ وَ بَنِينَ**.

ثمّ قال تعالىٰ شأنه:

إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِ اٰيٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِيرُ اَلْأَوَّلِينَ

فقوله: **إِذٰا تُتْلىٰ** يدلّ على جواب الشّرط الّذي هو محذوف أعني به (يكفر) هذا إذا جعلت (أن) مصدريّة و التقدير لأن كان ذا مالٍ يكفر، و الأساطير جمع أسطورة و هى القصّة الباطلة و المعنى أنّ القرأن أساطير الأوّلين أي أباطيلهم و ترّهاتهم و خرافاتهم و قد مضى الكلام فيه سابقاً.

سَنَسِمُهُ عَلَى اَلْخُرْطُومِ

قال إبن عبّاس أي سنخطمه بالسَّيف قال خطم الّذي نزلت فيه يوم بدر بالسَّيف فلم يزل مخطوماً إلى أن مات.

و قال قتادة سنسمه يوم القيامة على أنفه سمةٌ يعرف بها.

قال في التّبيان **سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ** أي سنعلم على أنفه علامة يعرف بها الملائكة أنّه من أهل النّار فالسَّمة العلامة المفرقة بالرُّؤية بين الأشياء المختلفة كسمة الخيل إذا أرسلت في المروج و الخرطوم الأنف، و قيل معناه سنسمه بشئٍ يبقى على الأبد و قيل معناه سنسود وجهه فعبّر عن الوجه بالخرطوم لأنّه فيه.

قال إبن عبّاس كانت به زنمةٌ يعرف بها، أي بالوليد بن المغيرة.

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ

الإبتلاء الإختبار، و المراد بالجنّة معناها اللُّغوي و هو البستان لا الجنّة المعروفة في الأخرة أخبر اللّه تعالى في هذه الآية بإبتلاء الكفّار من أهل مكّة كما إبتلى أصحاب الجنّة المعروف خبرها عندهم و ذلك أنّها أي الجنّة كانت بأرض اليمن بالقرب منهم على فرسخٍ من صنعاء و يقال فرسخين و كانت لرجلٍ يؤدّي حقّ اللّه تعالى منها فلمّا مات صارت البستان إلى ولده فمنعوا النّاس خيرها و بخلوا بحقّ اللّه فيها فأهلكها اللّه من حيث لم يمكنهم دفع ما حلَّ بها.

و قال الكلبي كان بينهم و بين صنعاء فرسخين إبتلاهم اللّه بأن أحرق جنّتهم، و قيل هي جنّة بضوران و ضوران على فرسخ من صنعاء و كان أصحاب هذه الجنّة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير و كانوا بخلاء فكانوا يجدُّن التّمر ليلاً من أجل المساكين و كانوا أرادوا حصاد زرعها و قالوا لا يدخلها اليوم مسكين عليكم فغدوا عليها فإذا هي قد أقتلعت من أصلها فأصبحت كالصَّريم أي كاللَّيل و يقال أيضاً للنّهار صريم، فان كان أراد اللّيل فلاسوداد موضعها و كأنّهم و جدوا موضعها حماة و أن كان أراد بالصَّريم النّهار فلذهاب الشَّجر و الزّروع ونقاء الأرض منه، و قيل أنّهم كانوا عشرة أولاد لرجلٍ واحدٍ من

بني‌إسرائيل و كان يأخذ من بستانه كفاية سنة و يتّصدق بالباقي فقال أولاده ليس يكفينا و حلفوا أنّهم يصرفون بستانهم ليلاً و أبى عليهم أبوهم فأقسموا أنّهم ليصرفون ثمر النّخل إذا اصبحوا و لم يستثنوا، أي لم يقولوا إنشاء اللّه فقول القائل لأفعلنّ كذا إلاّ أن يشاء اللّه إستثناء و معناه إن شاء اللّه منعي أو تمكين مانعي، معنى قوله تعالى: **وَ لٰا يَسْتَثْنُونَ.**

فَطٰافَ عَلَيْهٰا طٰآئِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ نٰآئِمُونَ

يعني طاف على تلك الجنّة طائف من ربّك أي طرفها طارق من أمر اللّه فالطّائف الطّارق كان الطّائف عليها جبرئيل عليه السلام فإقتلعها فيقال أنّه طاف بها حول البيت ثمّ وضعها حيث مدينة الطّائف اليوم و لذلك سمّيت الطّائف و ليس في أرض الحجاز بلدةٌ فيها الشّجر و الأعناب و الماء و غيرها.

و قال البكري في المعجم سمّيت الطّائف لأنّ رجلاً من الصّدف (منسوب إلى القبيلة) يقال له (الدّمون) بنى حائطاً و قال قد بنيت لكم طائعاً حول بلدكم فسمّيت الطّائف و اللّه أعلم.

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ

أي فأصبحت الجنّة كالصّريم و هو أرضٌ معروفة باليمن لا نبات فيها تدعى صروان و أنّما قيل للّيل صروم لأنّه يقطع بظلمته عن التّصرف في الأمور و انّما فعل اللّه بهم ذلك لأنّهم منعوا الحقوق اللاّزمة من ثمار هذه الجنّة، و الصّرم قطع الثّمر.

فَتَنٰادَوْا مُصْبِحِينَ

إخبار من اللّه عنهم لمّا أصبحوا نادى بعضهم بعضاً يافلان يافلان و التّنادي دعاء بعضهم بعضاً.

أَنِ ٱغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَٰرِمِينَ

أي نادى بعضهم بعضاً بأن أغدوا، و قيل قالوا، أغدوا على حرثكم، و الحرث الزّرع، **إِنْ كُنْتُمْ صَٰرِمِينَ** أي قاطعين لثماركم فالصّارم قاطع ثمر الشّجر و أصل الصّرم القطع فلمّا دعا بعضهم بعضاً لقطع الثّمار.

فَٱنْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخَٰفَتُونَ

أي ذهبوا إلى حرثهم، **وَ هُمْ يَتَخَٰفَتُونَ** أي يتشاورون و بعبارةٍ أخرى ذهبوا إلى الحرث و هم يخفون كلامهم و يسرُّون به لئلا يعلم بما يقولون أحد، و قيل يخفون أنفسهم من النّاس حتّى لا يروهم و أنّما فعلوا ذلك لئلا يصل خيرهم إلى المساكين، بخلاف أبيهم فأنّه كان يخبر الفقراء و المساكين فيحضرون وقت الحصاد و الصّرام و إلى ذلك أشار اللّه تعالى بقوله:

أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ

و كان قصدهم منع المساكين عن الخير.

وَ غَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَٰدِرِينَ

الحرد القصد أي و غدوا على قصدٍ و قدرةٍ في أنفسهم و كانوا يظّنون أنّهم تمكّنوا من مرادهم و صرام جنّتهم.

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ

أي فلمّا رأوها، أي الجنّة وجدوها كاللّيل الأسود و قالوا أهلكه اللّه و أفناه أو طرقه طارق من أمر اللّه و عند ذلك قالوا إنّا لضّالون، أي منحرفون عن طريق الحقّ فلذلك عوقبنا بمثل ذلك و صرنا محرومين عن الثّمار و قيل معناه أخطأنا الطّريق ما هذه جنّتنا فقال بعضهم لبعضٍ.

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ

عن الإنتفاع بالجَنَّة.

قٰالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلٰا تُسَبِّحُونَ

أي قال أوسط الأولاد، و الأوسط من الأولاد من كان بين الأكبر و الأصغر سنّاً و هو الّذي قال لهم أي لإخوانه، ألم أقل لكم، الإستفهام للإنكار أي قلت لكم، لولا تسبّحون، أي هلاّ تستثنون، و كان إستثنائهم تسبيحاً، و هذا يدلّ على أنّ الأوسط كان أعقلهم و أعدلهم و أعلمهم و لذلك قيل المراد بالأوسط أوسطهم عقلاً و علماً و ليس المراد أوسطهم سنّاً.

قال مجاهد هذا يدلّ على أنّ الأوسط كان أمرهم بالإستثناء فلم يطيعوه قال أبو صالح كان إستثنائهم سبحان اللّه و قال غيره (إلاّ أن يشاء اللّه) و المعنى ألم أقل لكم هلاّ تسبّحون اللّه أي تقولون سبحان اللّه و تشكرونه على ما أعطاكم، و قيل معناه هّلا تستغفرونه عن فعلكم و تتوبون إليه من خبث نيّتكم.

قٰالُوا سُبْحٰانَ رَبِّنٰآ إِنّٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ

فلمّا قال الأوسط لهم ذلك إعترفوا بذنبهم و معصيتهم و نزّهوا اللّه من أن يكون ظالماً فيما فعل فقالوا سبحان ربّنا، أي نستغفره من ذنبنا و معصيتنا **إِنّٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ** على أنفسنا و الحاصل أنّهم إعترفوا بأنّ اللّه لم يظلمهم و أنّهم ظلموا أنفسهم كما قال تعالى: **وَ مٰا ظَلَمُونٰا وَ لٰكِنْ كٰانُوٰا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**[1].

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ يَتَلاٰوَمُونَ

أي عند ذلك لام بعضهم بعضاً على سبيل الذّم.

قٰالُوا يٰا وَيْلَنٰآ إِنّٰا كُنّٰا طٰاغِينَ

١- البقرة = ٥٧

أي قالوا الويل لنا إنّا غلونا في الظُّلم و تجاوزنا الحدّ فيه و صرنا عاصين بمنع حقّ الفقراء و ترك الإستثناء ولم نشكر ربّنا على نعمه كما شكره أباؤنا من قبل.

قال بعضهم يجوز أن يكون هذا منهم توبةً و إيماناً باللّه و يجوز أن يكون على حدّ ما يقول الكافر إذا وقع في الشِّدة.

عَسَىٰ رَبُّنَآ أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ

لمّا تابوا و رجعوا إلى اللّه ظاهراً ممّا فعلوا قبل ذلك قالوا لعلَّ اللّه أعطانا خيراً ممّا زال عنّا إنّا إلى ربّنا راغبون الرَّغبة الميل أي نرغب فيه و نسأله أيتوب علينا ممّا فعلناه فأنّه غافر الذَّنب و قابل التَّوب أنّه حميدٌ مجيد و بالإجابة جديرٌ و هو قادر على أن يعطينا خيراً ممّا مضى فالتّبديل تثبيت شئٍ مكان غيره ممّا ينافيه و مثله التّغيير و الفرق أنّ التَّغيير قد يكون للشَئ واحد بخلاف التَّبديل فانّه لا يكون إلاّ في شيئين و قرئ اللّفظ في الآية بالتّشديد و التّخفيف فالتّشديد التَّبديل و التَّخفيف من الإبدال و المعنى فيهما واحد.

كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَ لَعَذَابُ ٱلْاٰخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

أي العذاب في الدّنيا كما فعلناه بهؤلاء و لكن عذاب الأخرة أكبر من عذاب الدّنيا كمّاً و كيفاً لو كانوا يعلمون، أي لو كان الكفّار علموا به.

ثمّ أنّ اللّه تعالى بعد بيان أحوال الكفّار حسب ما مرَّ في الأيات أشار إلى أحوال المؤمنين المتّصفين بالتّقوى.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ

أي لهم في الأخرة بساتين فيها أنواع النِّعم يتنعَّمون فيها كما يشاؤن و يشتهون فانّ فيها ما تشتهيه الأنفس و تلَّذ الأعين.

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ

الهَمزة للإنكار أي لا نجعلهم كالمجرمين أبداً، و ذلك لأنّ المسلم مطيع و منقاد لربّه لأجل الإيمان به و الكافر غير مطيع له لكفره به فكما لا يعقل الجمع بين الإيمان و الكفر لأنّه من الجمع بين المتناقضين كذلك لا يعقل الجمع بين جزاء الكافر و المؤمن بأن يكون جزاء أحدهما عين جزاء الأخر فجزاء الكافر النّار و جزاء المؤمن الجنّة و هذا مقتضى العدل كما أنّ التّساوي في الجزاء من الظُّلم و إلى هذا أشار اللّه بقوله:

مٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

ما، إستفهاميّة على وجه التّوبيخ و المعنى أيُّ شيءٍ لكم أيّها العُقلاء كيف تحكمون، في المقام و يحتمل أن يكون الخطاب في **مٰا لَكُمْ** للكفّار أي ما لكم أيّها الكفّار كيف تحكمون لأنّكم لستم من المجانين الّذين لا عقل لهم بل أنتم في زمرة العقلاء بزعمكم و زعم غيركم فيكف يحكم عقلكم في المقام فأن حكم عقلكم بأنّ جزاء الكافر باللّه و المسلم المؤمن به واحدٌ فلا عقل لكم، و لكن هذا الإحتمال ضعيف و الحقّ أنّ الخطاب عامٌّ لجميع العقلاء الّذين لهم عقلٌ سالمٌ عن الأفات و الأمراض النّفسانية و الوساوس الشّيطانية.

أَمْ لَكُمْ كِتٰابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ

أي ألكم كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصي من حيث الجزاء.

إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمٰا تَخَيَّرُونَ

أي تختارون و تشتهون، قيل تقديره أم لكم كتاب فيه تدرسون بأنّ لكم ما تخيَّرون، فحذفت الباء و كسرت (إنّ) اللاّم في الخبر و قيل خرج الكلام مخرج التَّوبيخ و تقديره (و إنّ لكم لما تخيَّرون عند أنفسكم) و الأمر بخلاف ظنّكم، و قيل أتمَّ الكلام عند قوله تدرسون ثمّ إبتدأ:

إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ

أي انّ لكم في هذا الكتاب، إذاً ما تخيَّرون أي ليس لكم ذلك و الكتابة في (فيه) الأولى و الثّانية راجعة إلى الكتاب ثمّ زاد اللّه تعالى في التّوبيخ.

أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ

قالوا كسرت (إن) لدخول اللاّم في الخبر و المعنى **أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ** أي عهودٌ و مواثيق **عَلَيْنَا بَالِغَةٌ** مؤكّدةٍ و المبالغة المؤكّدة باللّه تعالى و المعنى أم لكم عهودٌ على اللّه إستوثقتم بها في أن يدخلكم الجنّة **إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ** كسرت (إنّ) لدخول اللاّم في الخبر و هي من صلة إيمان و الموضع فيها النّصيب ولكن كسرت لأجل اللاّم و قيل تمّ الكلام عند قوله يوم القيامة ثمّ قال **إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ** إذاً ليس الأمر كذلك.

و أمّا قوله:

سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ

أي كفيل قاله إبن عبّاس و قتادة و المعنى سل يا محمّد هؤلاء الكفّار أيُّهم ضامن و كفيل يدّعي علينا أنّ لهم علينا أيماناً بالغة و هو أنّ لهم من الخير ما للمسلمين فلا يمكنهم إدّعاء ذلك ثمّ زاد في التّوبيخ أيضاً.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ

قال بعض المفسّرين، شركاء أي شهداء فليأتوا بشركائهم يشهدون على ما زعموا، أن كانوا صادقين في دعواهم، و قيل أي فليأتوا بشركائهم، إن أمكنهم فهو أمرٌ معناه التّعجيز قاله القرطبي في تفسيره.

و قال صاحب الكشّاف في قوله: **أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ** ما هذا لفظه، أي ناسٌ يشاركونهم في هذا القول و يوافقونهم عليه و يذهبون مذهبهم فيه **فَلْيَأْتُوا** بهم **إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** في دعواهم يعني أنّ أصلاً لا يسلم لهم هذا و لا يساعدهم

عليه كما أنّه لا كتاب لهم ينطق به و لا عهد لهم عند اللّه و لا زعيم لهم يقوم به إنتهى كلامه.

أقول يظهر من كلام الزّمخشري أنّ المراد بالشُّركاء في الآية الشُّهداء و القرطبي و غيره من مفسّري العامّة أخذوا منه و على هذا فمعنى الآية أم لهم شهداء على ما يدّعون من أنّ لهم أيمانٌ علينا أي عهود و مواثيق بالغة أي مؤكّدة باللّه بأنّ لهم الجنَّة كما ثبت ذلك للمؤمنين المسلمين هذا.

و الّذي يظهر من كلام الشَّيخ في التّبيان هو أنّ المراد بالشُّركاء شركاء اللّه في العبادة بزعمهم من الأصنام و الأوثان و على هذا فليس المراد بالشُّركاء، شهداء، على ما إدَّعوا من العهود و المواثيق على دخولهم الجنَّة.

و قال الفيض قدس سره في تفسيره **أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ** يجعلونهم في الأخرة مثل المؤمنين أو يشاركونهم في هذا القول فهم يقلدُّونهم إذا لا أقلّ من التَّقليد إلى أخر ما قال. و أنت ترى انّه يظهر من كلامه انّه سلك مسلك صاحب الكشّاف في تفسير الآية.

و قال الطّبرسي قدس سره في المجمع في قوله أم لهم شركاء، أم لهم شركاء في العبادة مع اللّه و هى الأصنام فليأتوا بهؤلاء الشُّركاء إن كانوا صادقين في أنّها شركاء للّه و قيل معناه أم لهم شهداء يشهدون بالصّدق فتقوم به الحجّة فليأتوا بهم يوم القيامة يشهدون لهم على صحّة دعواهم إن كانوا صادقين في دعواهم إنتهى كلامه.

أقول الّذي ظهر لنا من الآية بعد التَّأمل فيها هو أنّ المراد بالشُّركاء في الآية شركائهم في إدّعاء الإيمان أعني به العهود و المواثيق البالغة على أنّ اللّه تعالى يجعل المسلمين كالمجرمين يوم القيامة و انّ الكافرين يدخلون الجنّة كالمسلمين.

و من المعلوم انّه لا دليل لهم على ذلك و لا شهود لهم يشهدون به و انّما هو مجرّد إدّعاء لا حجّة عليه و سياق الأيات أيضاً يقتضي ذلك إذ ليس في

الأيات المذكورة في المقام بحث في الشِّرك و عبادة الأصنام و الأوثان هذا أوّلاً.

ثانياً: نقول لو كان الأمر كما ذكره في التّبيان من أنّ المراد بالشُّركاء شركاء العبادة لقال أم له شركاء و لم يقل ذلك بل قال أم لهم شركاء و الفرق واضح فقوله: **لَهُمْ** من أدَّل الدّلائل على أنّ المراد بالشُّركاء شركاء الكفّار فيما كانوا يدّعون لا شركاء اللّه، فما ذهب إليه صاحب الكشّاف أولى بالإتّباع و اللّه أعلم بما أراد.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سٰاقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلٰا يَسْتَطِيعُونَ

و المعنى فليأتوا شركائهم يوم يكشف عن ساقٍ و هو يوم القيامة و المراد بالسّاق ساق الإنسان و ساق الشَّجرة لما يقوم عليه بدأها و كلّ نبتٍ له ساق فهو شجر.

قال صاحب الكشّاف الكشف عن السّاق مثل في شدّة الأمر و صعوبة الخطب إنتهى.

و المعنى يوم يشتدّ الأمر كما يشتدّ ما يحتاج فيه إلى أن يقوم على ساقٍ كثر في كلام العرب حتّى صار كالمثل فيقولون قامت الحرب على ساقٍ و كشفت عن ساق و إلى هذا المعنى أشار الرّاجز بقوله:

قد كشفت عن ساقها فشّدوا وجدَّت الحرب بكم فجدُّوا

و قال أخر:

عجبت من نفسي من إشفاقها و من طراد الطّير عن أرزاقها
في سنةٍ قد كشفت عن ساقها حمراء بترى اللّحم عن عراقها

و قوله: **وَ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ** و الخضوع للّه تعالى: **فَلٰا يَسْتَطِيعُونَ** أي لا يقدرون لشدّة الأمر و صعوبة الحال، و قيل معنى الكلام أنّ شدّة الأمر تدعوهم إلى السُّجود للّه و إن كانوا لا ينتفعون به، و بعبارةٍ أخرى أنّهم أي الكفّار في الدُّنيا أبوا و إمتنعوا من السُّجود للّه و سجدوا للأصنام و الأوثان.

و أمّا يكشف عن ساق و هو يوم القيامة يدعون إلى السُّجود و لكن لا يقدرون عليه و لا ينتفعون به على فرض القدرة و فى هذا الكلام حثٌّ و ترغيبٌ للمكلّف على العمل في الدُّنيا فأنّها مزرعة الأخرة و هى دار التّكليف و أمّا الأخرة فهي دار حسابٍ و لا عمل.قال أميرالمؤمنين: **اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ و لا عمل** و مع ذلك فيه إشارة إلى شدّة الأمر هناك كما قال تعالى:

خٰاشِعَةً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَ قَدْ كٰانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَ هُمْ سٰالِمُونَ

الخشُوع بضمّ الخاء في الأصل الضّراعة و أكثر ما يستعمل الخشوع على الجوارح و أكثر ما تستعمل الضّراعة فيما وجد في القلب و لذلك قيل فيما روي إذا ضرع القلب خشعت الجوارح:

قال اللّه تعالى: **ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلٰاتِهِمْ خٰاشِعُونَ**[١].

قال اللّه تعالى: **وَ كٰانُوا لَنٰا خٰاشِعِينَ**[٢].

قال اللّه تعالى: **خٰاشِعَةً أَبْصٰارُهُمْ**[٣].

إشارة أو كناية عن الضّراعة الّتى وجدت في قلوب الكفّار من هول المحشر و سوء العاقبة و رؤيتهم أنواع العذاب أي أنّهم لمّا رأوا ذلك خافوا فصارت أبصارهم خاشعة بسبب الخوف الّذي وجد في قلوبهم و لذلك **تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ** أي تغشاهم ذلّة و حقارة يقال رهقه يرهقه رهقاً فهو راهق إذا غشيته، و رهقه الفارس إذا أدركه و ارهق الغلام إذا أدرك و أنّما ترهقهم ذلّة.

نقل القرطبي في تفسيره ماهذا لفظه، حدَّث عبد اللّه بن مسعود عند عمربن الخطّاب فقال إذا كان يوم القيامة قام النّاس لربّ العالمين أربعين عاماً

١- المؤمنون = ٢
٢- الانبياء = ٩٠
٣- القلم = ٤٣

شاخصةً أباصرهم إلى السّماء حفاة عراة يلجمهم العرق فلا يكلّمهم اللّه ينظر إليهم أربعين عاماً ثمّ ينادي منادٍ أيّها النّاس أليس عدلاً من ربّكم الّذي خلقكم و صوَّركم و أماتكم و أحياكم ثمّ عبدتم غيره أن يوّلي كلّ قومٍ ما توَّلوا قالوا نعم قال فيرفع لكلِّ قومٍ ما كانوا يعبدون من دون اللّه فيتَّبعونها حتّى تقدمهم في النّار فيبقى المسلمون و المنافقون فيقال لهم ألا تذهبون، قد ذهب النّاس فيقولون حتّى يأتينا ربّنا فيقال لهم أو تعرفونه فيقولون إن إعترف لنا عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساقٍ و يتجلّى لهم فيخرَّ من كان يعبده مخلصاً ساجداً و يبقى المنافقون لا يستطيعون كأنّ في ظهورهم السَّفافيد فيذهب بهم إلى النّار و يدخل هؤلاء الجنَّة فذلك قوله تعالى: **وَ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ، خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ** أي ذليلة متواضعة **تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ** و ذلك انّ المؤمنين يرفعون رؤوسهم و وجوههم أشدُّ بياضاً من الثّلج و تسَّود وجوه المنافقين و الكافرين حتّى ترجع أشدُّ سواداً من النّار.

ثمّ قال القرطبي، معنى حديث أبي‌موسى و إبن‌مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد إنتهى كلامه.

أقول حديث إبن مسعود فقد عرفته و نقلناه، و أمّا حديث أبي موسى الّذي أشار إليه و قال انّه أيضاً ثابت في صحيح موسى فقد نقله في المقام قبل حديث إبن مسعود و لم نذكره في المقام و الآن وجب علينا نقله أيضاً ليكون القارئ على بصيرةٍ فيما نقلوه في تفسير الأيات.

قال القرطبي، قال أبو اللّيث السَّمرقندي في تفسيره حدَّثنا الخليل إبن أحمد قال حدَّثنا إبن منيع قال حدَّثنا هدبة قال حدَّثنا حمّاد بن سلمة عن عدّي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي‌موسى قال حدَّثني أبي قال سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا كان يوم القيامة مثِّل لكلّ قومٍ ما كانوا يعبدون في الدُّنيا فيذهب كلّ

قومٍ إلى ما كانوا يعبدون و يبقى أهل التّوحيد فيقال لهم ما تنتظرون و قد ذهب النّاس فيقولون أنّ لنا ربّاً كنّا نعبده في الدُّنيا، و لم نره قالو و تعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه و لم تروه قالوا إنّه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى اللّه تعالى فيَّخرون له سجّداً و تبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فينظرون إلى اللّه تعالى فيريدون السُّجود فلا يستطيعون.

فذلك قوله تعالى: **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ** فيقول اللّه تعالى عبادي رفعوا رؤوسكم فقد جعلت بدل كلّ رجلٍ منكم رجلاً من اليهود و النّصارى في النّار قال أبو بردة فحدَّثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال اللّه الّذي لا إله إلاّ هو لقد حدَّثك أبوك بهذا الحديث فحلفت له ثلاثة أيمان فقال عمر ما سمعت في أهل التّوحيد حديثاً هو أحبَّ إلَيّ من هذا إنتهى ما ذكره القرطبي في تفسيره.

نحن نقول لا نحتاج في تفسير كلام اللّه إلى تفاسيرهم و أحاديثهم لأنّ تفسير القرأن لا يؤخذ من غير أهل البيت الّذين هم أعرف بالبيت من كلّ أحدٍ و انّما غرضنا من نقل أحاديثهم و كلماتهم في بعض الموارد أن تعرف مبلغ علمهم في معرفة اللّه و توحيده و أن تسجد للّه سجده الشُّكر حيث أنّه تعالى أنعم عليك.

و إن شئت قلت قد منَّ عليك بأن وفَّقك في معرفة ربّك من طريق أهل البيت و أدخلك في رحمتك و هداك إلى الصّراط المستقيم فلم تعبد ربّاً عبده أبوموسى الأشعري و أتباعه و أمثاله بل عبدت ربّاً عبده رسول اللّه و أهل بيته الطّاهرين.

و ليت شعري كيف يدعوننا بصّحة هذه الأحاديث الّتى تشمَّئز عنها النّفوس و تأباه العقول السَّليمة ثمّ كيف يعبد العاقل فضلاً عن الّذي يدّعي العلم ربّاً له ساق و غيره من الأجزاء و الأعضاء و أيُّ فرقٍ بين العابد و المعبود ثمّ أيّ فرقٍ بين الكافر الّذي يعبد الوثن و الصَّنم و بين المسلم الّذي يعبد إلهاً له يدٌ و رجلٌ و ساق و أيُّ ذنبٍ أعظم من حمل كلام اللّه **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سٰاقٍ** على كشف ساق اللّه يوم القيامة لعباده أليس هذا مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **من فسَّر القرأن برأيه فليتَّبوّأ مقعده من النّار فإعتبروا يا أولي الأبصار**.

إذا عرفت هذا فلنرجع إلى تفسير كلام اللّه و نقول قوله: **خٰاشِعَةً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ** قد مضى الكلام. و أمّا قوله: **وَ قَدْ كٰانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَ هُمْ سٰالِمُونَ** فالمعنى قد كانوا، أي هؤلاء الكفّار، يدعون إلى السُّجود، للّه تعالى في الدُّنيا بتّوسط الأنبياء، و هم سالمون، **الواو** للحال أي و الحال أنّهم كانوا فى‌الدُّنيا سالمين عن الأفات أمنين من هول المحشر و عذاب يوم القيامة و ملّخص الكلام أنّهم لم يسجدوا للّه بإختيارهم في الدُّنيا، و سجدوا للّه في الأخرة لمّا رأوا العذاب، و هذا دليل على ضلالتهم و حماقتهم و عنادهم فهم فىّ النّار خالدون.

أقول أنظر إلى هذه الآية بعين البصيرة و تأمّل فيها ثمّ أعجب من حماقة البشر الّذي يعبد الجماد الّذي لا عقل له و لا شعور بإختياره و ارادته في الدُّنيا و لا يعبد الخالق الّذي خلقه و إذا رأى العذاب يوم القيامة و يدعى إلى السُّجود أراد السُّجود ولم يستطع مع أنّ السُّجود على فرض الإستطاعة لا نفع فيه.

فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لٰا يَعْلَمُونَ

الفاء للتّفريع أي إذا كان الأمر على هذا المنوال و أنّهم لا يسجدون للّه بإختيارهم في الدُّنيا و يكذّبون الأنبياء و الكتاب المنزل عليهم **فَذَرْنِي** يا

محمّد أي دعني و إيّاهم و فيه تهديدٌ لا تهديد فوقه **سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لٰا يَعْلَمُونَ** أي سنأخذهم إلى العقاب حالاً بعد حالٍ، و قيل على غفلةٍ لا يعلمون، يقال إستدرجه إلى كذا إذا إستنزله إليه درجة فدرجة حتّى يورطه فيه و إستدراجهم من اللّه أن يرزقهم الصّحة و النِّعمة فيجعلوا رزق اللّه ذريعةً إلى إزدياد الكفر و المعاصي و بذلك وقعوا في عذابٍ شديدٍ فانّ العذاب مسَّبب عن الأعمال.

و في قوله: **مِنْ حَيْثُ لٰا يَعْلَمُونَ** نكتة لطيفة و مع ذلك خفيّة على أكثر الأفهام و هى انّ الإستدراج في حقّ الكافر يوقعه في العذاب من حيث لا يعلم لأنّه يظُّن أنّ كثرة المال و الأولاد و المقام و امثال ذلك من نعم الدُّنيا أعطاها اللّه لأجل محبّته إيّاه و لا يعلم أنّ اللّه أعطاها إيّاه ليزداد إثماً و معصية و كثرة المعصية توجب كثرة العذاب و شدّته فيقع في العذاب الشدّيد من حيث لا يعلم، و هذا بخلاف الإستدراج في حقّ المؤمن المسلم و ذلك لأنّه يعلم حقيقة الأمر فلا يصرف المال في المعصية و النِّعمة في غير موضعها و إذا كان كذلك فلا يقع في العذاب بل يدخل الجنَّة و هذا هو الفرق بين الموضعين و إلاّ فالإستدراج لا يختّص بالكفر فأنّ المؤمن قد يكون متّنعماً بأنواع النِّعم في الدُّنيا إلاّ أنّه يعلم ما يفعل و الكافر لا يعلم ما يفعل لعدم إيمانه باللّه و إغتراره بالدُّنيا و نعمها و لأجل هذه الدّقيقة قال تعالى من حيث لا يعلمون ثمّ أوضح اللّه تعالى كلامه فقال.

وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ

كأنّه قال قائل كيف يستدرجهم من حيث لا يعلمون، قال تعالى: **أُمْلِي لَهُمْ** أي أطيل آجالهم و أزيد نعمهم ليزدادوا إثماً **إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** أي قوّي و قيل الكيد العذاب، أي إنّ عذابي لشديدٌ و قد أشار اللّه تعالى بذلك في سورة

أل‌عمران حيث قال: **وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ**[1] و فيه دلالة على أنّ كثرة النِّعم للكافر توجب زيادة الإثم و هى توجب زيادة العذاب كما مرَّ تفصيله.

أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ، أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ

يقول اللّه تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التّوبيخ للكفّار **أَمْ تَسْئَلُهُمْ** أي هل تسأل عن هؤلاء الكفّار ثواباً و جزاءً على ما تدعوهم إليه من الإيمان باللّه و رسوله **فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ** اي فهم من غرامة ذلك مثقلون لما يزشقُّ عليهم من بذل المال أي ليس عليهم كلفة و مشّقة في قبولهم دعوتك و فيه سعادة الدّارين و فى الآية إشارة إلى أنّ الأنبياء لم يسألوا النّاس أجراً على دعوتهم و انّما أجرهم كان على اللّه قال اللّه تعالى: **قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**[2].

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ أي هل عند الكفّار علم الغيب إختصّوا به لا يعلمه غيرهم فهم يكتبونه و يتوارثونه نسلاً بعد نسلٍ بصحّة ما يدّعونه فأن كان كذلك فينبغي إظهاره للنّاس، ففي هذه الأيات المذكورة في هذه السُّورة قد أتَّم اللّه حجّته على الكفّار عقلاً بحيث لا جواب لهم أصلاً غداً يوم القيامة فمن أصَّر على كفره فقد ظلم على نفسه و ما ربّك بغافلٍ عمّا يعملون.

و حيث أنّ إنكارهم التّوحيد و النّبوة و المعاد كان ثقيلاً على نبّي الرَّحمة بل كان من أعظم المصائب الواردة على قلبه أمره اللّه تعالى بالصَّبر.

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادى وَ هُوَ مَكْظُومٌ

أي فأصبر على ما أمرك اللّه به من تبليغ الحكم و دعوتهم إلى الحقّ و أملهم إلى وقت آجالهم تدع عليهم بنزول العذاب في الدُّنيا.

١- آل عمران = ١٧٨ ٢- الشّورى = ٢٣

وَ لٰا تَكُنْ كَصٰاحِبِ اَلْحُوتِ و هو يونس النّبي بإستعجال عذابهم كما أنّه فعل ذلك أي إستعجل بالعذاب حين طلب من اللّه تقديم عقاب قومه و إهلاكهم و لا تخرج من بين قومك قبل أن يأذن اللّه لك في ذلك، كما خرج يونس من بينهم فإلتقمه الحوت (إذ نادى يونس) في بطن الحوت مكظوم، أي مهموم مغموم (لا إله إلاّ أنت) الآية و يستفاد من هذه الآية انّ البصر ممدوحٌ على كلّ حال عقلاً و شرعاً، و لا سيّما في النَّبي الّذي مأمورٌ من قبل اللّه تعالىٰ بتبليغ الأحكام و إرشاد النّاس إلى طريقه و بالجملة إخراجهم من الكفر إلى الإيمان و من الضَّلالة إلى الهداية و هذا مشكلٌ جدّاً فانّ البشر بمقتضى طبعه و غريزته الحَّيوانية أسير الشّهوات النَّفسانية و من المعلوم انّ النَّبي يدعوه إلى تركها و يرشده إلى الحقّ و الحقّ مرٌّ و لذلك لا يقبل دعوة النَّبي بل يخالفه و يزاحمه و يؤذيه لأنّه يمنعه عن متابعة الشّهوات و ملَّخص الكلام أنّ النَّبي بمقتضى مأموريَّته حريصٌ على إخراجه من الكفر و البشر بمقتضى غريزته و طبيعته حريصٌ على عدم قبول الإيمان و لأجل هذا قلنا انّه أي عدم قبولهم الإيمان من أعظم المصائب الرُّوحية على النَّبي و إذا كان الأمر على هذا المنوال فها وظيفة النَّبي الاّ المداراة مع النّاس و الصَّبر على كفرهم و ضلالتهم، أو الدُّعاء عليهم بنزول العذاب و موتهم و هذا الحصر أعني به الصَّبر، و عدمه عقلّيٌ، فمن الإنبياء من إختار الصَّبر و منهم من إختار نزول العذاب من اللّه تعالى و الّذي يستفاد من الآية و أمثالها أنّ الصَّبر أولى من الإستعجال بالعذاب و لذلك أمر اللّه نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم و قال: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ أي لا تستعجل بالعذاب و لا تكن كصاحب الحوت و هو يونس النَّبي عليه السلام الّذي دعا على قومه بالإهلاك فأجابه اللّه إلى ذلك إلاّ أنّ القوم قبل نزول العذاب تابوا فرفع اللّه عنهم العذاب فلّما رآى يونس ذلك خرج من بينهم و تركهم كما اللّه تعالى

عنه بقوله: **وَ ذَا ٱلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغٰاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**[١] وَصار أَمره إلىٰ أن إلتقمه الحوت **فَنٰادىٰ فِى ٱلظُّلُمٰاتِ أَنْ لآ إِلٰهَ إِلّآ أَنْتَ**[٢] و قد مرَّت القِصَّة مفصّلاً في سورة يونس فلا وجه للإعادة و إنّما نهى النَّبي ﷺ أن يكون كذلك لأنّ الأنبياء بعثوا لإصلاح النّاس و إخراجهم من الضَّلالة ولم يبعثوا لإهلاكهم فانّ الإستعجال في نزول العذاب يوجب النَّدامة و الحسرة في أكثر الموارد كما ندم يونس على ما فعل في حَّق قومه.

و إلى هذا المعنى أشار اللّه تعالى بقوله: **إِذْ نٰادىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ** أي إذ نادى يونس ربَّه بقوله: **لآ إِلٰهَ إِلّآ أَنْتَ سُبْحٰانَكَ إِنّى كُنْتُ مِنَ ٱلظّٰالِمِينَ**[٣] و هو مكظوم أي مهمومٌ مغموم و لا نعني بالنَّدم إلاّ هذا ثمّ انّ هذا الحكم أي الصَّبر على أذى العوام كالأنعام فى من وظيفة تبليغ الأحكام.

عامٌّ لجميع المبلِّغين التّابعين للأنبياء في كُل عصرٍ و زمانٍ و لا يختَّص بالنَّبي لوجود الملاك و هو ظاهر.

لَوْلآ أَنْ تَدٰارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرٰآءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ، فَاجْتَبٰيهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ ٱلصّٰالِحِينَ

أي لولا أن تداركه يونس نعمةٌ من ربّه لنبذ، أي لطرح **بِالْعَرٰآءِ** و هي الصّحراء الواسعة **وَ هُوَ مَذْمُومٌ** قيل معناه هو، مليمٌ، أي أتى بما يلام عليه إختلف المفسّرون في معنى الغُّمة هنا، فقيل هي النُّبوة، و قيل عبادته الّتى سلفت.

قاله إبن جبير، و قيل نداؤه (لا إله إلاّ أنت) الآية في(بطن الحوت) و الحقّ أنّ المراد بالنَّعمة إستجابة دعائه:

١- الانبياء = ٨٧
٢- النبياء = ٨٧
٣- الانبياء = ٨٧

قال اللّه تعالى: **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**[١].

و إنّما قلنا ذلك لأنّ إستجابة الدُّعاء من أعظم النّعم.

لقوله تعالى: **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ**[٢].

و أمّا قوله: **لَنُبِذَ بِالْعَرَآءِ** فالنَّبذ، الطّرح و العراء، الصحراء، و قيل الأرض العارية من النَّبات و الأبنية، و قال الفرّاء الفضاء من الأرض العاري، و كيف كان أشار اللّه تعالى بقوله هذا إلى حين خروج يونس من بطن حوت، في ساحل البحر هو المراد بالعراء، و قد مرَّ كيفيَّة ذلك في سورة يونس، و لا يبعد أن يكون المراد بالنَّعمة، إرسال الملك لحفظه و حمايته و تغذيته على ما بيَّناه هناك و اللّه أعلم و في هذا الكلام إشارة إلى أنّ المخلوق في حدَّ نفسه ضعيفٌ و هو محتاج إلى خالقه في جميع الأحوال و هذا ممّا لا خلاف و لا فرق في ذلك بين النَّبي و غيره:

قال اللّه تعالى: **يٰآ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللّٰهِ وَ اللّٰهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**[٣].

فَاجْتَبٰيهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصّٰالِحِينَ فالإجتباء الإختيار أي فأختاره ربّه للنُّبوة و جعله من الصّالحين، أي أعطاه مقامه الأوّل و ردّ إليه الوحي بعد إنقطاعه و شفَّعه في نفسه و قومه كأن لم يكن شيئاً مذكوراً و هذه نعمةٌ عظيمة.

وَ إِنْ يَكٰادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصٰارِهِمْ لَمّٰا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ، وَ مٰا هُوَ إِلّٰا ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ

١- الانبياء = ٨٨
٢- النّمل = ٦١
٣- فاطر = ١٥

إِنْ هي المخَّففة من الثّقيلة و لأجل ذلك دخلت اللاّم على الخبر **لَيُزْلِقُونَكَ** و التّقدير **إِنَّهُ** و المشهور ضَّم الياء في **لَيُزْلِقُونَكَ** و قرأ أهل المدينة بفتح الياء، و هما أي الفتح و الضَّم فيه لغتان، يقال زلقه و أزلقه، و المعنى واحد.

قال اللّه تعالى: **صَعِيدًا زَلَقًا** أي أرضاً ملساء يزلق فيها و مكانٌ زلق، بالتَّحريك الّذي لا تثبت فيه القدم.

أقول هو ألّذي يقال به بالفارسيّة (لغزندة) قال يونس لم يسمع الزَّلق و الإزلاق إلاّ في القرآن و كيف كان إتَّفق المفسّرون على أنّ المراد بالإزلاق هو إصابة العين.

قالوا **لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ** أي يصيبونك بعيونهم، و قد أنكر الجبائي الإصابة بالعين و قال الرّماني ما ذكره ليس بصحيح لأنَّه لا يمتنع أن يكون اللّه تعالى أجرى العادة بصَّحة ذلك لضرب من المصلحة فلا وجه للإمتناع من ذلك و عليه إجماع المفسّرين و هو المعروف بين العقلاء و المسلمين و غيرهم فينبغي أن يكون مجُوزاً نقله الشّيخ في التّبيان ثمّ.

قال عليه السلام و روي أنّ أسماء بنت عميس قالت يا رسول اللّه أنّ بني جعفر يصيبهم العين فأسترقي لهم قال نعم، ولو كان شئ سابق القدر سبقة العين.

قال بعض المفسّرين أخبر اللّه في هذه الآية بشَّدة عداوتهم للنَّبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه صلى الله عليه وآله وسلم قومٌ من قريش و قالوا ما رأينا مثله مثل حججه و قيل كانت العين في بني أسد حتّى أنّ البقرة السَّمينة أو النّاقة السَّمينة تمُّر بأحدهم فيعاينها ثمّ يقول يا جارية خذي (المِلل) و الدّرهم فأتيناه بلحم هذه النّاقة فما تبرح حتّى تقع الموت فنحر.

و قال الكلبي و كان رجل يمكث لا يأكل شيئاً يومين أو ثلاثة ثمّ يرفع جانب الخباء فتمُّر به الإبل أو الغنم فيقول لم أر كاليوم إبلاً و لا غنماً أحسن من هذه فما تذهب إلاّ قليلاً حتّى تسقط منها طائفة هالكة فسأل الكفّار هذا الرّجل أن يصيب لهم النَّبي بالعين فأجابهم فلّما مرَّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنشد.

قد كان قومك يحسبونك سيّداً و أخا رسول أنّك سيّد معيونُ

فعصم اللّه نبيه عن إصابة عينه و نزلت الآية: **وَ إِنْ يَكٰادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ** و قال بعضهم أنّ العرب كانت إذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً، في نفسه و ماله تجوّع ثلاثة أيّام ثمّ يتعرض لنفسه و ماله فيقول تاللّه ما رأيت أقوى منه و لا أشجع و لا أكبر منه و لا أحسن فيصيبه بعينه فيهلك هو و ماله فأنزل اللّه هذه الآية و بعد اللتيا و اللّتي لاشكّ في إصابة العين المشهورة بينَ الخاصّة و العامّة قديماً و حديثاً إذا عرفت هذا فلنرجع إلى تفسير ألفاظ الآية.

فنقول وَ إِنْ يَكٰادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا معناه قارب الّذين كفروا فأنّ معنى (كاد) في اللُّغة (قرب) قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم **الفقر كاد أن يكون كفراً** أي قرب **لَيُزْلِقُونَكَ** أي ليصيبوك **بِأَبْصٰارِهِمْ** أي يصيبونك بعيونهم **لَمّٰا سَمِعُوا ٱلذِّكْرَ** يعني القرآن **وَ يَقُولُونَ** هؤلاء الكُفار **إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ** قد غلب على عقله **وَ مٰا هُوَ** أي ليس القرآن **إِلّٰا ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ** أي هو شرفٌ إلى أن تقوم السّاعة، و قيل المعنى و ما محمّد إلاّ ذكرٌ للعالمين يتّذكرون به قال اللّه تعالى: **وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ**[1].

■

١- الزّخرف = ٤٤

سُورَةُ ٱلْحَآقَّةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرٰيكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعٰى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرٰى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنْشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلٰى أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا

تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَؤُا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى
ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ
رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ
﴿٢٣﴾ كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ
ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَ أَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ
فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَ لَمْ أَدْرِ مَا
حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ
أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى
سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾
إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَ لَا يَحُضُّ
عَلَى طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَهُنَا
حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَ لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا
يَأْكُلُهُ إِلَّا ٱلْخَاطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا
تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ
رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا
تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ
﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَ لَوْ تَقَوَّلَ
عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ
﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُمْ مِنْ
أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ

﴿٤٨﴾ وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَ إِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

◄ اللّغة

ٱلْحَآقَّةُ: إشارة إلى القيامة لأنّه يحقّ فيه الجزاء يقال حاقته أي خاصمته في الحقّ فغلبته.

ثَمُودُ: بفتح الثّاء إسم قبيلة و كذلك.

عَادٌ: و قيل عاد إسم رئيس القبيلة.

بِالْقَارِعَةِ: القيامة و هى مأخوذة من القرعة في رفع قومٍ و حطّ أخرين.

بِالطَّاغِيَةِ: الطّاغية مصدر مثل العاقبة مأخوذ من الطّغيان.

بِرِيحٍ: الرّيح الهواء إذا كانت فيه حركة.

صَرْصَرٍ: الرّيح الشدّيدة الصّوت بما يسمع لها من الصّرير و قيل صرصر ريحٌ باردة فكأنّه يصطل الأسنان بما يسمع من صوتها لشّدة بردها.

عَاتِيَةٍ: العاتي الخارج إلى غلظ الأمر الّذي يدعو إليه قساوة القلب.

حُسُومًا: يقال حسم طعمه إذا قطعه فالحسم القطع.

صَرْعَى: الصرع الطّرح صرعى أي مطرحين.

أَعْجَازُ: أي أصول.

خَاوِيَةٍ: أي نخرة.

رَابِيَةً: أي زائدة في الشّدة.

فِي ٱلْجَارِيَةِ: الجارية السّفينة.

وَ تَعِيَهَآ: الوعي الحفظ.

وٰاعِيَةٌ: أي حافظة.

فَدُكَّتَا: الدَّك ضرب بعض الشّئ على بعض.

وٰاهِيَةٌ: أي شدّيدة الضّعف.

أَرْجَآئِهَا: الأرجاء النّواحى.

هَآؤُمُ: أي تعالوا و قيل هو إسم فاعل أي خذوا.

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ: القطف أخذ الثّمرة بسرعةٍ من موضعها من الشّجر، و الدُّنو القرب.

لَا يَحُضُّ: الحضّ الحثّ.

غِسْلِينٍ: بكسر القاف صديد أهل النّار.

كَاهِنٍ: الكاهن الّذي يسجع في كلامه.

تَقَوَّلَ: التقوّل نسبة القول إلى الغير كذباً.

ٱلْوَتِينَ: نياط القلب.

حَاجِزِينَ: الحجز المنع.

◄ الإعراب

ٱلْحَآقَّةُ خبر مبتدأ محذوف أو هي مبتدأ و ما بعده الخبر و(ما) الثّانية مبتدأ و مَآ أَدْرٰيكَ الخبر و الجملة بعده في موضع نصب و سَخَّرَهَا صفة و قيل هو مستأنف و حُسُومًا مصدر و صَرْعٰى حال كَأَنَّهُمْ حال أخرى من الضّمير في، صرعى، و خاوية، على لغة من أنّث النّخل و بٰاقِيَةٍ نعتٌ و يَوْمَئِذٍ ظرف هَآؤُمُ إسم الفعل بمعنى خذوا و كِتٰابِيَهْ منصوبٌ بإقرأوا و بِالْيَمِينِ متعلّق بأخذنا أو هو حال من الفاعل و قيل من المفعول مِنْ أَحَدٍ من زائدة و (أحد) مبتدأ و الخبر مِنْكُمْ.

◄ التّفسير

ٱلْحَآقَّةُ، مَا ٱلْحَآقَّةُ، وَ مَآ أَدْرٰيكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ

إتّفق المفسّرون على أنّ الحاقّة من أسماء القيامة سمّيت بذلك لأنّ الأمور تحقّ فيها قاله الطّبرى.

كأنّه جعلها من باب (ليلٌ نائمٌ) و قيل سمّيت، حاقّة، لأنّها تكون من غير شكّ و قيل سمّيت به لأنّ فيها يصل كلّ إنسانٍ إلى حقّه بجزاء و عمله كان لا خلاف بين المفسّرين في أنّ المراد بالحقّة القيامة فالقيامة حاقّة لأنّها يحقّ كلّ محاقّ في دين اللّه بالباطل أي كلّ مخاصم و عن الصّحاح، حاقّه أي خاصمه و إدّعى كلّ واحدٍ منهما الحقّ فإذا غلبه، قيل حقّه.

و قوله: **مَا ٱلْحَآقَّةُ** معناها ما هي و اللّفظ إستفهام و معناه التّعظيم و التّفخيم لشأنها كما تقول زيد ما زيد على التّعظيم لشأنه.

وَ مَآ أَدْرٰيكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ فاللّفظ إستفهام أيضاً و معناه التّعظيم، و أمّا الأولى فهي نافية أي لست تعلم ما القيامة و من المعلوم أنّ النّبي كان عالماً بها و لعلّ المراد أوصاف القيامة و يحتمل أن يكون المراد العلم بحقيقتها فأنّ العلم بوجود الشّئ غير العلم بماهيّته و حقيقته هذا كلّه مضافاً إلى أنّ النّبي لا يعلم إلاّ ما علّمه اللّه ثمّ ذكر اللّه بعد ذلك من كذّب القيامة و ما فيها:

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادٌ بِالْقَارِعَةِ

ثَمُود بفتح الثّاء و ضمّ الميم قيل هو عجَمي و قيل هو عرَبي و ترك صرفه لكونه إسم قبيلة و هو فعولٌ من الثَّمد و هو الماء القليل الّذي لا مادّة له و منه قيل فلان مثمود ثمدته النّساء أي قزعت مادّة مائه لكثرة غشيانه لهنَّ، و مثمود إذا كثر عليه السّؤال حتّى فقد مادّة ماءه و كان بنو ثمود بوادي القرى بين المدينة و الشّام و قد أرسل اللّه إليهم صالحاً و هو إبن ستّة عشر سنة يدعوهم إلى التّوحيد و رفض الأصنام و قيل كان سنّه أكثرالأقوى و اللّه أعلم.

و كيف أنّ قومه لم يؤمنوا باللّه و رسوله و أنكروا التّوحيد و النّبوة و المعاد و عقروا ناقة صالح و أكلوا لحمها على ما مرَّ تفصيله في سورة، فصلّت، و حيث أنّا فصَّلنا الكلام في قصّة صالح و كفر قومه فلا نعيد الكلام فيها في المقام حذراً من الإطناب.

و أمّا عاد، فلمّا توَّفى نوح النّبي بقي قومه و ذريّته المؤمنون دهراً طويلاً يترقّبون هود و ينتظرون ظهوره حتّى طال عليهم الأمد و قست قلوب كثيرة منهم و إرتَّدوا عن الدّين و أقبلوا على عبادة الأصنام و كان أشدَّهم بأساً و أكثرهم كفراً و طغياناً قوماً منهم سكنوا أرض اليمن و بنوا فيها الأبنية و مدَّنوا فيها المدائن و كان يقال لهم قوم عاد، و كان نبيّهم هود ولد فيهم و هو، هود بن عبد اللّه بن رباح بن جلوث بن عاد بن عوض بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام و نشأ بينهم تقيّاً أميناً حتّى أرسله اللّه إليهم بالنّبوة فدعاهم إلى التّوحيد و رفض الأصنام فلم يقبلوا منه و قد فصَّلنا الكلام فيه أيضاً و ذكرنا كيفيّة هلاك قومه في (فصلّت و الأحقاف) إن شئت الوقوف عليه فراجع السُّورتين.

و المقصود أنّهما أي قوم عاد و ثمود كذَّبوا القيامة فلم يؤمنوا بالمعاد و لم يقبلوا دعوة نبيّهم إلى أن أهلكوا.

كما قال تعالىٰ:

فَأَمّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطّاغِيَةِ

فالطّاغية مصدر مثل العاقبة و المعنى أنّهم أهلكوا بسبب طغيانهم و تمَّردهم عن الحقّ و قد مضى فيما تقدَّم أنّ اللّه أهلكهم بالصَّيحة العظيمة التّي أصبح جوابها جاثمين أي هالكين بعد ما قال لهم نبيَّهم.

قال اللّه تالى: **تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيّامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**[1].

١- هود = ٦٥

ففي اليوم الأوّل أصبحوا و وجوههم مصفرّة، و فى اليوم الثّاني إحمرّت وجوههم مثل الدّم اليوم الثّالث أصبحوا و وجوههم مسوّدة فلمّا كان موعد العذاب من اللّيلة الرّابعة خرج صالح و من معه من المؤمنين من بين القوم و نزل جبرئيل بأمر الملك الجليل و صرخ بهم صرخةً خرقت أسماعهم و خلعت قلوبهم و صدّعت أكبادهم و هلكوا بأجمعهم بأقلّ من طرفة عينٍ و لم يبق متّنفسٌ منهم و لا من مواشيهم و أنعامهم و أصبحوا في ديارهم موتى هالكين ثمّ أرسل اللّه تعالى عليهم بعد الموت ناراً من السّماء فأحرقتهم أجمعين:

قال اللّه تعالىٰ: **فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ**[1].

وَ أَمّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ

لمّا حان اليوم الموعود الّذي أخبرهم نبيّهم هود به أذن اللّه سبحانه بإنطلاق الرّيح العقيم الّتى هي تحت الأرض فأوحى اللّه تعالى إلى خزنة تلك الرّيح أن تخرجوا منها مثل ثقب الخاتم كما ذكر ذلك في قوله: **وَ فِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ، ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ**[2] وَلَم يأذن اللّه بشيءٍ منها بالخروج إلاّ على قوم عاد على ما مرّ تفصيل الكلام فيه فيما مضى، و الصّرصر الرّيح الشّديدة الصّوت بما يسمع لها من الصّرير في شدّة حركتها، فالصّرصر الشّديد الغصون المجاوزة لحدّها المعروف.

و قال قتادة صرصر باردة فكأنّه يصطّل الأسنان بما يسمع من صوتها لشدّة بردها، و أنّما وصفها بقوله: **عاتِيَةٍ** لأنّ العاتي الخارج إلى غلظ الأمر الّذي يدعوا إليه قساوة القلب يقال عتى يعتوا عتوّاً فهو عاتٍ و الرّيح عاتية تشبيهاً بحال العاتي في الشدّة.

١- الاعراف = ٧٨ ٢- الذّاريات = ٤٢ / ٤١

سَخَّرَهٰا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيٰالٍ وَ ثَمٰانِيَةَ أَيّٰامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهٰا صَرْعٰى كَأَنَّهُمْ أَعْجٰازُ نَخْلٍ خٰاوِيَةٍ

التّسخير إستعمال الشّئ بالإقتدار و المعنى أرسلها و سلّطها عليهم سبع ليالٍ و ثمانية أيّام لا تنقطع فأنّ الحسم القلع، و قيل الحسم الإستئصال.

و قال الرّاغب في المفردات، الحسم إزالة أثر الشّي يقال قطعه فحسمه أي أزال مادتّه و به سمّي السَّيف حساماً إنتهى.

أقول و على هذا فقوله: **حُسُومًا** معناه حاسماً أثرهم، و قيل قاطعاً لعمرهم و كلّ ذلك داخل في عمومه و قوله: **فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهٰا صَرْعٰى** أي فترى القوم في تلك الأيّام و اللّيالي، صرعى، و الصَّرع الطَّرح أي مطروحين على الأرض.

كَأَنَّهُمْ أَعْجٰازُ نَخْلٍ خٰاوِيَةٍ أي كأنّ القوم أصول نخلٍ بالية، و قيل خالية الأجواف لا شئ فيها، و النّخل يذكّر و يؤنّث.

قال بعضهم يحتمل أنّهم شبَّهوا بالنّخل الّتى صرعت من أصلها فهو إخبارٌ من عظم أجسامهم و يحتمل أن يكون المراد به الأصول دون الجذوع أي أنّ الرّيح قد قطعتهم حتّى صاروا كأصول النَّخل الخاوية أي أنّ الرّيح تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنّخل الخاوية الجوف.

و الحاصل أنّهم ماتوا و خلت الدّيار منهم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً كما أشار اللّه تعالى إلى هذا المعنى بقوله:

فَهَلْ تَرىٰ لَهُمْ مِنْ بٰاقِيَةٍ

الإستفهام للإنكار أي لا ترى لهم من باقية فالباقية بمعنى المصدر مثل العافية و العاقبة و معناه فهل ترى لهم من بقيّة.

كأن لم يكن بين الحجون الى الصّفا أنيسُ ولم يسمر بمّكة سامرُ

و لمّا كان فرعون و من تبعه أيضاً من المكذّبين بالقارعة أشار اللّه تعالى اليه بقوله:

وَ جٰآءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ ٱلْمُؤْتَفِكٰاتُ بِالْخٰاطِئَةِ، فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رٰابِيَةً

قد مرّ ذكر فرعون في تضاعيف الكتاب غير مرّةٍ ذكرنا قصّته مع موسى مفصّلاً و أنّما أشار الى فرعون و أتباعه ليعلم أنّه كان في زمرة المكذّبين الهالكين و المعنى و جاء فرعون و من قبله، بفتح القاف على المشهور و بكسر القاف و فتح الباء على قراءة أبو عمر و الكسائي، فعلى المشهور معنى الكلام، جاء فرعون و الّذين من قبله من الكفّار و المؤتفكات أي و جاء أهل القرى المؤتفكات أي المتقلّبات بأهلها و هى قرى قوم لوط.

و أمّا على قراءة الكسائي فالمعنى جاء فرعون و من معه من قومه و المؤتفكات الخ.

و كلتا القرائتين لا بأس بهما و المشهور سكون الباء و عليه المصاحف فعلاً و محصلّ الكلام أنّ فرعون و المؤتفكات جاؤوا بعد قوم عاد و ثمود و تبعوهما في تكذيب الأنبياء و إنكار البعث و القيامة فالملاك و هو التّكذيب كان موجوداً فيهم أيضاً و قد ثبت أنّ حكم الأمثال واحد و لذلك وقعوا فيما وقع قوم عاد و ثمود من العذاب في الدُّنيا و الأخرة و المؤتفكات هي القراءة المشهورة و قرأ الحسن و الجحدري (و المؤتفكة) على التّوحيد و عليها فالمراد بها الجنس و المعنى واحد.

قال قتادة سميّت قوم لوط و قراها بالمؤتفكة لأنّها ائتفكت بهم أي أنقلّبت و ذكر الطّبري عن محمّد بن كعب القرظي خمس قريات، صبعة، و صعرة، و عمرة، و ذوما و سدوم و هى القرية العظمى و قوله: **بِالْخٰاطِئَةِ** فالخاطئة مصدر بمعنى الخطيئة، أي أهلكوا بالخطيئة و هى الكفر و المعصية.

و قال مجاهد بالخطايا الّتى كانوا يغطونها و هى اللّواط و الحقّ أنّ العذاب معلول الكفر و تكذيبهم القيامة كقوم عاد و ثمود و كيف كان فالأمر سهل بيَّن اللّه تعالى ذلك في قوله: **فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ** و هو موسى بن عمران **فَأَخَذَهُمْ** اللّه **أَخْذَةً رابِيَةً** أي عالية زائدة على الأخذات و على عذاب الأمم و منه الرِّبا إذا أخذ المعطي أكثر ممّا أعطى يقال ربا الشّئ يربوا و تضاعف.

و قال مجاهد معنى رابية شديدة كأنّه أراد زائدة في الشّدة ثمّ بعد ذلك أشار اللّه الى قصّة نوح و السّفينة فقال:

إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ، لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ

يقول اللّه تعالى في هذه الآية **إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ** في قصّة نوح و طغيان الماء كثرته و تجاوزه عن الحدّ المتعارف في العظم.

قال قتادة زاد على كلّ شئٍ خمسة ذراعاً **حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** أي في السّفينة أي حملنا نوح النّبي و من معه من المؤمنين فيها فلم يعرفوا و أنمّا فعلنا ذلك **لِنَجْعَلَهَا** أي السّفينة **تَذْكِرَةً** وعظةً لمن بعدهم من الأمم **وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** أي تحفظها أذنٌ حافظة فيعتبرون بها حقّ الإعتبار هذا تفسير ألفاظ الآية و فيها نقاط خفيّة على أكثر الأفهام فلا بأس بالإشارة اليها إجمالاً لمن كان له قلبٌ و اللّه أعلم.

فنقول منها، أنّ الأيات المذكورة من أوّل السُّورة ذكر اللّه تعالى أنّه أنزل العذاب على قوم عاد و ثمود و فرعون و غيرهم و بيَّن فيها أنّ العذاب النّازل عليهم بسبب كفرهم و نفاقهم و عصيانهم و عنادهم للحقّ و تكذيبهم الأنبياء، ثمّ قال في هذه الآية **إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** و من المعلوم أنّ هذه الآية نزلت لهذه الأمّة بدليل الخطاب في قوله: **حَمَلْنَاكُمْ** فانّ الخطاب في حملناكم لجميع الأمّة و فيه إشارة الى أنّ المرحومة من ذريّة المؤمنين من

قوم نوح الّذين نجوا من الغرق و حيث أنّ الأمّة لم تكن موجودة في زمان نوح ظاهراً فالمخاطب آباءهم و أجدادهم أي حملنا آباءكم في الجارية و أنجيناهم من الغرق ولو ذلك لغرقوا و لم تكونوا بموجودين في زمان الخطاب فبذلك امتنَّ اللّه على هذا الأمّة و هو ظاهر.

و منها، أنّ ذكر الجارية و هى السَّفينة في الآية إشارة الى أنّ هذه الأمّة لها أيضاً سفينة كما لأمّة نوح فكما أنّ الرّاكب فيها في زمان نوح نجى من الغرق كذلك من ركب سفينة رسول اللّه و أهل بيته نجى من العذاب في الدُّنيا و الأخرة.

و الى هذا المعنى أشار النّبي بقوله: **مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجى و من تخلّف عنها غرق، أو هلك.**

و قد روي هذا الحديث جميع فرق المسلمين من العامّة و الخاصّة و قال صلى الله عليه وآله وسلم:

في الحسين عليه السلام خاصّة أنّ الحسين مصباح الهدى و سفينة النّجاة و هذا ممّا لا خلاف فيه.

و منها، أنّ قوله: **لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً** أي موعظة، إشارة الى أنّ المعصية سبب العذاب و الطّاعة سبب النّجاة سواء كانتا في الأمم السّابقة أم في هذه الأمّة و آيّة موعظةٍ أحسن من الأيات القرآنية و من أصدق من اللّه قيلاً فينبغي لمن يقرأ هذه الأيات و أمثالها في الكتاب أن يتّعظ بها قال اللّه تعالى: **وَ مَآ ءَاتيٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهيٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**[1].

و منها: أنّ القّابليّة في الإتّعاظ شرط في قبول الموعظة و الى ذلك أشار اللّه تعالى بقوله: **وَ تَعِيَهَآ أُذُنٌ وٰاعِيَةٌ** فأنّ الواعي الحفظ أي هذه المواعظ تحفظها كلّ أذنٍ يقدر على حفظها والعمل بها و أمّا أذن أبوسفيان و معاوية و يزيد و

١- الحشر = ٧

أمثالهم ممّن تقدّم عليهم أو تأخر عنهم لا يقدر على حفظها و ضبطها و العمل بها و محصّل الكلام أنّ اللّه تعالى قد منَّ على هذه الأمّة بأن جعلهم ذريّة من نجا من الغرق لكونهم في أصلابهم فالمترقّب من الأمّة متابعتهم لأباءهم في ركوبهم في سفينة النّجاة الّتى أعدَّها اللّه لهم و هذا هو المقصود من ذكر هذه الآية في هذا المقام بعد آيات العذاب فآفهم إن كنت أهلاً له.

فَإِذٰا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وٰاحِدَةٌ، وَ حُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَ ٱلْجِبٰالُ فَدُكَّتٰا دَكَّةً وٰاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوٰاقِعَةُ

قيل هي النَّفخة الأولى الّتى يصعق لها من فى السّموات و من في الأرض و النّافخ هو إسرافيل و فى النّفخة الثّانية يبعث من في القبور:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ إِلّٰا مَنْ شٰاءَ ٱللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذٰا هُمْ قِيٰامٌ يَنْظُرُونَ**[1].

و أمّا قوله: **وَ حُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَ ٱلْجِبٰالُ** فالمعنى رفعت من أماكنها و قوله: **فَدُكَّتٰا دَكَّةً وٰاحِدَةً** قيل في معناه أي قطّعنا و كسرتا، و قال إبن زيد ضرب بعضها على بعضٍ حتّى صارتا غباراً، و قيل معناه بسطتا بسطةً واحدةً و منه الدّكان فقال إندك سنام البعير إذا إنفرش في ظهره، و قيل المعنى حملت الأرض و الجبال فصكّ بعضها على بعض حتّى تندكّ **فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوٰاقِعَةُ** و هي القيامة و سميّت واقعة لشدّة وقعتها بما ليس لغيرها **وَ ٱنْشَقَّتِ ٱلسَّمٰآءُ** أي إنصدعت و تفطّرت **فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وٰاهِيَةٌ** أي شديدة الضّعف قيل و لا ينظر أهول من رؤيا السّماء في هذه الهيئة يقال و هى الشّئ إذا إنتفَّض بنيته.

وَ ٱلْمَلَكُ عَلىٰ أَرْجٰآئِهٰا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمٰانِيَةٌ

١- الزّمر = ٦٨

وَ ٱلْمَلَكُ المراد به الجنس عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا فالضّمير راجع على السّماء و الأرجاء الجوانب و الأطراف و المعنى أنّ الملك على أطرافها حين تنشقّ السّماء لأنّ السّماء مكانهم و قيل على أطرافها ممّا لم ينشقّ منها يريد أنّ السّماء مكان الملائكة فإذا إنشقّت صاروا في أطرافها.

و عن سعيد بن جبير معناه و الملك على حافات الدّنيا أي ينزلون إلى الأرض و يحرسون أطرافها و على هذا فالضّمير في أرجائها، راجع على الأرض.

و قال الشّيخ في التّبيان معناه، و الملائكة ذلك اليوم على جوانب السّماء تنتظر ما تؤمر به في أهل النّار من السّوق إليها و فى أهل الجنّة من التحيّة و التّكرمة فيها هذا كلّه تفسير الألفاظ و اللّه أعلم.

و أمّا قوله: وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ فهو من المعضلات و أن شئت قلت من المتشابهات الّتى لا يعلم تأويلها إلاّ اللّه و الرّاسخون في العلم و نحن نشير إلى ما قالوا فيه على سبيل الإجمال.

قال الزّمخشري في الكشّاف في قوله (ثمانية) أي ثمانية منهم.

و عن رسول اللّه ﷺ هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدّهم اللّه بأربعة أخرين فيكونون ثمانية.

و روي ثمانية أفلاك أرجلهم في تخوم الأرض السّابعة و العرش فوق رؤوسهم و هم مسبّحون.

و قيل بعضهم على صورة الإنسان و بعضهم على صورة الأسد و بعضهم على صورة الثّور و بعضهم على صورة النّسر.

و روي ثمانية أفلاك في خلق الأوحال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً.

و عن الحسن اللّه أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية ألاف و عن الضّحاك ثمانية

و صفوف لا يعلم عددهم إلاّ اللّه و يجوز أن تكون الثّمانية من الرُّوح أو من خلقٍ أخر فهو القادر على كلّ خلقٍ إنتهى كلامه في الباب و به قال جميع المفسّرين من العامّة مع إختلاف ألفاظهم و نقلهم الأقوال قلّةً و كثرةً.

و أنت ترى أنّ هذه الأقوال ممّا لا يعتمد عليه و لا يساعده العقل و لا النّقل.

أمّا العقل فلأنّ العرش و الملائكة الحافّين به ممّا هو فوق الطّبيعة لا سبيل لحكم العقل إليه.

أمّا النّقل فلأنّهم لم يذكروا مستنداً صحيحاً فيما نقلوه من الأخبار و على هذا فالأحسن في تفسير الكلام التّمسك بأهل البيت الّذين هم أدرى بما في البيت و هم المعنيّون بالرّاسخين في كتاب اللّه حيث قال: **وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اَللّٰهُ وَ اَلرّٰاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ**[١] فنقول:

العرش في الأصل شئ مسقّف و جمعه عروش و منه قيل عرشت الكرم و عرّشته إذا جعلت له كهيئة سقفٍ و قد يقال لذلك المعرّش:

قال اللّه تعالى: **وَ مِنَ اَلشَّجَرِ وَ مِمّٰا يَعْرِشُونَ**[٢].

قال اللّه تعالى: **وَ مٰا كٰانُوا يَعْرِشُونَ**[٣].

و سُمّي مجلس السّلطان عَرشاً إعتباراً بعُلوّه قال اللّه تعالى في قصّة يُوسف:

قال اللّه تعالى: **وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى اَلْعَرْشِ**[٤].

و قال في قصّة سليمان و هو يُخاطب بلقيس:

قال اللّه تعالى: **أَهٰكَذٰا عَرْشُكِ**[٥].

و أمّا عرش اللّه تعالى فهو ممّا لا يعلم حقيقته إلاّ اللّه تعالى و ليس كما تذهب إليه أوهام العامّة فأنّه لو كان كذلك لكان حاملاً له تعالى عن ذلك لا محمولاً.

١- آل عمران = ٧
٢- النّحل = ٦٨
٣- الاعراف = ١٣٧
٤- يوسف = ١٠٠
٥- النّمل = ٤٢

و قال قومٌ هو الفلك و الكرسي فلك الكواكب و الأقوال فيه كثيرة كلّها من عند أنفسهم لا دليل عليه و الحقّ ما ذكرناه و هو أنّ حقيقة العرش لا علم لنا و لغيرنا بها و أنّما علمها عند خالقه الّذي خلق العرش و لنذكر في المقام حديثاً رواه المجلسي قدس سره في البحار عن الكافي عن أميرالمؤمنين عليه السلام فأنّ هذا الحديث درٌّ ثمينٌ إلاّ أنّه أيضاً من غوامض الأسرار.

الكافي: عن عدّةٍ من أصحابه عن أحمد بن محمّدالبرقي رفعه قال، سأل الجاثليق أميرالمؤمنين عليه السلام فقال له أخبرني عن اللّه عزّ وجلّ يحمل العرش أو العرش يحمله فقال أميرالمؤمنين، اللّه عزّ وجلّ حامل العرش و السّموات و الأرض و ما بينهما و ما فيهما و ذلك قول اللّه عزّ وجلّ: إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا[1] قال فأخبرني عن قوله: وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ فكيف ذاك و قلت انّه يحمل العرش و السّموات و الأرض، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ العرش خلقه اللّه تبارك و تعالى من أنوارٍ أربعة، نورٌ أحمر منه إحمَّرت الحمرّة، و نورٌ أخضرّ منه إخضَّرت الخضرة و نورٌ أصفر منه إصفرّت الصُّفرة و نورٌ أبيض منه البياض و هو العلم الّذي حمله اللّه الحملة و ذلك نورٌ من نور عظمته فبعظمته و نوره أبصر قلوب المؤمنين و بعظمته و نوره عاداه الجاهلون و بعظمته و نوره إبتغى من في السّموات و الأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة و الأديان المشتبهة فكلٌّ محمولٍ يحمل اللّه بنوره و عظمته و قدرته لا يستطيع لنفسه ضرّاً و لا نفعاً و لا موتاً و لا حياةً و لا نشوراً فكلّ شئٍ محمولٌ و

١- فاطر = ٤١

اللّه تبارك و تعالى الممسك لهما أن تزولا و المحيط بهما من شئ و هو حياة كلّ شئ و نور كلّ شئ سبحانه و تعالى عمّا يقولون علّواً كبيراً إنتهى موضع الحاجة منه[١].

أقول هذا الحديث أيضاً من المعضلات قال المجلسي قدس سره و قد تحيّرت الأفكار في معنى تلك الأنوار الّتى خلق اللّه العرش منها لأنّها من غوامض الأسرار فمنهم من قال هي الجواهر القدسيّة العقليّة الّتى هي وسائط جوده تعالى و ألوانها كناية عن إختلاف أنواعها الّذي هو سبب إختلاف الربانيّة في هذا العالم الحسّي كالعناصر و الأخلاط و أجناس الحيوانات أعني الإنسان و البهائم و السّباع و الطُّيور و مراتب الإنسان أعني الطّبع و النّفس الحسّاسة و النّفس المتخيّلة و العقل و أجناس المولّدات كالمعدن و النبات و الحيوان و الإنسان.

و قيل أنّه تمثيل لبيان تفاوت تلك الأنوار بحسب القرب و البعد من نور الأنوار، فالنُّور الأبيض هو الأقرب و الأخضر هو الأبعد فكأنّه ممتزجٌ بضربٍ من الظُّلمة و الأحمر هو المتّوسط بينهما إلى أخر ما قال.

و قيل المراد بها صفاته تعالى، فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات و إفاضة الأرواح الّتى هي عيون الحياة، و منابع الخضرة و الأحمر غضبه و قهره على الجميع بالإعدام و التّعذيب، و الأبيض رحمته و لطفه على عباده قال تعالى: **وَ أَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ**[٢] إنتهىٰ ما ذكره المجلسي في توضيح الحديث.

ثمّ نقل عن والده توضيحاً أخر و حكم بأنّه أحسن ما سمع في هذا الباب إن شئت الوقوف عليه فراجعه و الّذي نقول في هذا الباب أسكتوا عمّا سكت اللّه عنه، فانّا أمنّا بوجود العرش و الكرسي و اللّوح و القلم و بالجملة كلّ ما

١- بحار الأنوار ط قديم ج ١٤ ص ٦٣ ٢- آل عمران = ١٠٧

نطق به الكتاب و أخبر به الرّسول و أمّا العلم بحقيقتها و ماهيّتها فلم نكلّف به كيف قال اللّه تعالى: **وَ مَآ أُوتِيتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**[1] صَدق اللّه العلّي العَظيم.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفٰى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ

أي يوم القيامة تعرضون معاشر النّاس على اللّه كما قال: **وَ عُرِضُوا عَلٰى رَبِّكَ صَفًّا**[2] العرض للحساب و الجزاء.

لَا تَخْفٰى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ لأنّه تعالى عالم بكلّ شئٍ فلا يخفى عليه شئ من أعمالهم و لا يقدر أحدٌ على إخفائها لأنّها أي القيامة يوم تبلى السّرائر و لمثل ذلك اليوم فليعمل العاملون فإنّا إلى ربّنا منقلبون.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هٰآؤُمُ ٱقْرَؤُا كِتٰابِيَهْ

قيل نزلت الآية في أبي سلمة بن عبد الأسود و كان مؤمناً، و كان أخوه الأسود بن عبد الأسود كافراً فنزلت فيه الآية الّتى بعدها قاله الفّراء.

أقول الحكم في الأيتين عامّ يشمل جميع النّاس و ما قاله الفّراء لا دليل عليه متّفردٌ به و على فرض صحّته نقول خصوص المورد لا ينافي عموم الحكم كما هو ثابتٌ في محلّه كما أنّ أخذ الكتاب باليمين أو الشّمال بعد الحساب لا خصوصيّته لهما في الأعمال إذ المفروض أنّه بعد الحساب لا قبله و أنّما جعل اليمين علامة النّجاة من العذاب و اليسار بالعكس و فيه دلالة على شرف اليمين على اليسار و قد جرت سنّة اللّه بذلك فجعل اليمين في الدّنيا للأكل و الشُّرب و اليسار للإستنجاء و كيف كان دلّت الآية على أنّ من أعطي الكتاب بيمينه فهو علامة النّجاة و من أعطي بيساره فهو علامة عدم قبول الأعمال.

و أمّا قوله: **هٰآؤُمُ ٱقْرَؤُا كِتٰابِيَهْ** فقال بعضهم (هاؤم) إسم فعلٍ بمعنى،

١- الاسراء = ٨٥ ٢- الكهف = ٤٨

خذ، و **الواو** علامة الجمع أي (خذجوا) و قال الأخر معناه (تعال) و الجمع (تعالوا) و قال مقاتل معناه (هلمّ).

و قال الكسائي تقول العرب، هاء يا رجل إقرأ و للأثنين (هاؤما) و للجمع (هاؤم) و قيل أنّ (هاؤم) كلمة وضعت لإجابة الدّاعي عند النّشاط و الفرح و قوله: **كِتٰابِيَهْ** منصوب (بهاؤم) عند الكوّفيين و (إقرؤوا) عند البَصريين لأنّه أقرب العاملين و الأصل فيه (كتابي) فأدخلت الهاء في أخر اللّفظ لتبيّن فتحة الياء و كان الهاء للوقف و كذلك في أخواته مثل (حسابيه) و (ماليه) و سلطانيه.

إذا عرفت هذا فمعنى الآية **مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ** و هو صحيفة أعماله الّتى عمل بها في الدّنيا من الخيرات و الأعمال الصّالحة (بيمينه) و هو علامة النّجاة و صحّة الأعمال (فيقول) لمن أعطاه الكتاب أو لغيره من المؤمنين (هاؤم اقرؤوا) أي تعالوا أو خذوا و إقرؤوا كتابيه و أنّما يقول ذلك لفرط النّشاط و السُّرور و يقول أيضاً.

إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلٰاقٍ حِسٰابِيَهْ

قيل أنّ الظَّن هاهنا بمعنى العلم أي إنّي علمت في دار الدّنيا بأنّي ألقى حسابي و كنت متيقّناً بذلك و مؤمناً به لدلالة الأيات عليه و ما كنت عالماً أنّي أجازى على الطّاعة بالثّواب و على المعصية بالعقاب كما هو شأن المؤمن المعتقد بالمعاد.

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رٰاضِيَةٍ

أي مرضيّة كقولك ماءٌ دافق أي مدفوق قاله أبو عبيدة و إختاره المفسّرون و قيل معنى راضية، أي يرضى بها صاحبها و لا شكّ أنّ من دخل الجنّة الّتى لا موت فيها و لا مرض و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذّ به الأعين فهو في عيشةٍ راضية.

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

و أيُّ مكانٍ أعلى منها للتَّعيّش و فيها جميع النِّعم.

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ

القطف أخذ الثَّمرة بسرعةٍ من موضعها من الشَّجر و الدانيّة من الدُّنو و هو القرب كأنّه قال دانية المتناول و ان شئت قلت قريب التّناول و أنّما قال ذلك لأنّ المؤمن في الجنّة إذا أراد شيئاً من الأثمار فهو حاضرٌ عنده و لا يحتاج في أخذه إلى كلفةٍ و مشقّة.

كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ

أي يقال لهم كلوا من نعم الجنّة و أشربوا من ماءها هنيئاً لكم صورته صورة الأمر و المراد الإباحة ثمّ أنّ قوله: **كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا** بعد قوله: **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ** يدلّ على أنّ (من) في قوله: **مَنْ أُوتِيَ** يتَّضمن معنى الجمع و يعمّ المعنى جميع أهل السّعادة و الشّقاوة في هذه الأيات على ما بيّناه من أنّ خصوص المورد لا ينافي عموم الحكم و قوله: **كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا** بصيغة الجمع أيضاً يدلّ على ما ذكرناه.

و قوله تعالى: **بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ** معناه، ما أعطيناكم من نعيم الجنّة فهو بسبب ما أسلفتم أي عملتم به في الدّنيا و الخالية الماضية أي ذلك جزاء ما عملتموه من الطّاعة و الإنقياد و إيمانكم بالتّوحيد و النّبوة و المعاد و لمّا حكم اللّه بذلك فيمن أوتي كتابه بيمينه يوم القيامة أشار إلى أحوال من ليس كذلك فقال.

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ، وَ لَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ، مَآ أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ

و المعنى **وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ** أي بيساره و هم أهل الشّقاوة **فَيَقُولُ** عند ذلك **يٰا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتٰابِيَهْ** أي ليتني لم أعط هذا الكتاب و التّمني هو قول القائل (لما كان) ليته (لم يكن) و لمّا لم يكن، يقول (ليته كان) و على هذا فهو من صفات الكلام و قيل هو معنى في النّفس فهؤلاء الّذين يعطون كتابهم بشمالهم يتمنُّون أن لم يعطوا كتابهم أصلاً و لم يعلموا ما لهم و ما عليهم لأنّ أعمالهم الّتى عملوا بها في الدّنيا كلّها معاصي و هم بذلك يستحقُّون العقاب فلذلك يتمنُّون أن لا يعرفوا حسابهم و يقولون **وَ لَمْ أَدْرِ مٰا حِسٰابِيَهْ** و **الواو** للعطف أي يتمنُّون كذلك أي و ليتني لم أدر ما حسابيه.

يٰا لَيْتَهٰا كٰانَتِ ٱلْقٰاضِيَةَ قال الفّراء معناه ليت الموتة الأولى الّتى متنا بها لم تجئ بعدها، و القاضية الفاصلة الإماتة يقال قضى فلان إذا مات و أصله فصل الأخرة و منه قضيّة الحاكم و جمعها قضايا و منه قضاء اللّه و هو الأخبار بأنّه يكون على القطع والهاء في ليتها كناية عن الحالة الّتى هم فيها و قيل كناية عن الموتة إنتهى ما ذكره في التّبيان.

و قال الزّمخشري في الكشّاف **يٰا لَيْتَهٰا** للموتة يقول ياليت الموتة الّتى منها **كٰانَتِ ٱلْقٰاضِيَةَ** أي القاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقي و على هذا فالضّمير للموتة، أو للحالة، أي ليست هذه الحالة الّتى كانت الموتة الّتى قضت عليّ لأنّه رآىٰ تلك الحالة أشبع و أمرّ ممّا ذاقه من مرارة الموت و شدّته فتّمناه عندها إنتهى كلامه.

فان قلت كيف يكون ذلك ولم يتقدّم مرجع الضّمير لا لفظاً و لا معنى حكماً.

قلت قد مضى حكماً و إن لم يتقدّم لفظاً و معنى ذلك لأنّ إعطاء الكتاب إيّاه في القيامة و هى بعد الموتة الأولى فالموتة الأولى تقدّمت حكماً بل معنى على القيامة و كيف كان لاشكّ أنّ الضّمير راجع اليها و على هذا فالمعنى يا

ليت الموتة الأولى كانت قاضية أي قاطعة لأمري ولم ألق ما ألقى ثمّ يقول **مَآ أَغْنٰى عَنِّى مَالِيَهْ** أي ما نفعني في القيامة ملكي الّذي كان لي في الدُّنيا و بعبارةٍ ما منع مالي شيئاً عنّي من عقاب اللّه و إنّما يقول ذلك لأنّه صرفه في المكروه في الدُّنيا ولو صرفه في الخيرات لما قال ذلك فأنّ المعروف في الخير يمنع عن صاحبه العقاب يوم القيامة قطعاً ثمّ يقول **هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ** قيل المراد به الحجَّة أي هلك عنّي حجَّتي يوم القيامة فلا حجَّة لي أدفع بها عن نفسي و إنّما يقول ذلك لأنّ اللّه تعالى جعل لكلّ إنسانٍ سلطاناً على نفسه و ماله و أولاده و دينه و عيشه و غير ذلك في الدُّنيا يحكم فيها بما يشاء و هذه السُّلطة تزول بالموت فهو بعد الموت لا سلطان له على شئ و لذلك يقول هلك أي مات و زال عنّي سلطاني و قدرتي.

و قيل معناه هلك عنّي أمري و نهيي، و هو قريبٌ بالقول السّابق و الجمع بين الأقوال أن يقال هلك أي ذهب و زال ما كان لي في الدُّنيا فلم يبق لي منها شيئاً و هو واضح و عند ذلك يقول اللّه تعالى مخاطباً للملائكة:

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ

فالضّمير في **خُذُوهُ** راجعٌ على من أوتي كتابه بشماله و لا وجه لإختصاصه بالكُفّار كما ذهب إليه المفسّرون فإنّا نجد في هذه الآية من هو أشَّد عذاباً يوم القيامة من الكفّار و كيف كان يقول اللّه تعالى للملائكة **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ** أي أوثقوه بالغلّ و هو على ما فسَّره في التّبيان أن يشدّ إحدى يديه أو رجليه إلى عنقه بجامعةٍ **ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ** فالجحيم هي النّار الغليظة الشَّديدة و هو إسم علمٍ على نار جهَّنم الّتى أعدَّها اللّه تعالى للكفّار و العصاة و قوله: **صَلُّوهُ** فهو من التَّصلية و هى إلزام النّار و منه الإصلاء.

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعًا فَاسْلُكُوهُ فالسلسلة حلقٌ منتظمة كلّ واحدةٍ منها في الأخرى و يقال لها بالفارسيّة (زنجير) و قوله: **ذِرٰاعًا** أي طولها **سَبْعُونَ ذِرٰاعًا فَاسْلُكُوهُ** قيل أسلكوه في السلسلة اى اجعلواها فى عنقه ثمّ جرّوه بها، وا لّذي يقوي في نفسي في معناه جرُّوه إلى الجحيم بها كما يجرُّ على الأرض من مات و لم يقدر على الحركة في الحيوان ألا ترى أنّ الكلب إذا مات يجرّونه على الأرض و هكذا كلّ حيوان ثمّ أنّ اللّه تعالى بيَّن الوجه فيه.

إِنَّهُ كٰانَ لٰا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ ٱلْعَظِيمِ

هو الأصل فأنّ من مات على الكفر إستحقّ هذا العقاب و إنّما قلنا هو الأصل لأنّ الإعتقاد بالنُّبوة و الإمامة و المعاد من فروع التَّوحيد و لذلك كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **قولوا لا إله إلاّ اللّه تفلحوا، فمن لا يؤمن باللّه لا دين له أصلاً.**

وَ لٰا يَحُضُّ عَلٰى طَعٰامِ ٱلْمِسْكِينِ

أي لا يحثُّ عليه ممّا يجب عليه من الزّكوة و الكفّارات و الصّدقات و النُّذور و ذلك لأنَّه يدلّ على بخله و البخيل لا يدخل الجنَّة.

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هٰهُنٰا حَمِيمٌ

أي فليس لمن لم يؤمن باللّه ولم يطعم المسكين و لا حثَّ عليه، اليوم، يعني يوم القيامة، حميمٌ، و هو القريب الّذي يحمي لغضب صاحبه.

وَ لٰا طَعٰامٌ إِلّٰا مِنْ غِسْلِينٍ

يعني من صديد أهل النّار السّائل من جروحهم و فروجهم، و قيل هو شجرٌ يأكله أهل النّار، و قيل هو ما إنغسل من لحوم أهل النّار و دمائهم.

و قال قتادة هو شرُّ الطّعام و أشبه.

لا يَأْكُلُهُ إِلَّا ٱلْخَاطِـُٔونَ

يعني المذنبون من الكفّار و غيرهم ممّن أعرض عن طريق الحقّ عمداً.

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ، وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ

قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الفرّاء أنّه ردٌّ لكلام قائلٍ فكأنّه قال ليس الأمر على ما يقال، أقسم أنّه يقول **رَسُولٍ كَرِيمٍ**.

الثّاني: قول من قال (لا) صلة و تقديره فأقسم.

الثّالث: قال قومٌ أنّها في القسم و معناه لا يحتاج إلى القسم لوضوح الحقّ في **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**.

و قال قتادة أقسم تعالى بالأشياء كلّها يرى و ما لا يرى ذكر هذه الوجوه في التّبيان.

و قال مقاتل سبب ذلك أنّ الوليد بن المغيرة قال أنّ محمّداً ساحرٌ و قال أبو جهل هو شاعر و قال عقبة، أنّه كاهن فقال عزّ وجلّ: **فَلَآ أُقْسِمُ** أي أقسم، (لا) هاهنا نفيٌ للقسم و الأقوال المحتملة كثيرة.

أقول اقوى الإحتمالات زيادة (لا) في الكلام و التّقدير (فأقسم) بما ترونه و ما لا ترونه، و اللّه أعلم بما أراد **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** هو جواب للقسم و المراد جبرئيل و الضّمير في (أنّه) راجع الى القرآن و قيل المراد به محمّد صلى الله عليه وآله و الدّليل على ذلك قوله: **وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ**.

فأن قلت كيف يكون القرأن قولاً للرّسول.

قلت ليس القرأن قولاً له و انّما هو قول اللّه إلاّ أنّه نسب القول إلى الرّسول لانّ الرّسول يقول عن اللّه لا عن نفسه مضافاً إلى أنّه مبلّغه فما قاله اللّه، على

أنّ هذا الإشكال يرد على قول المشهور أيضاً فأنّ القرأن ليس من كلام جبرئيل فما تقولون فيه نقول فيه أي في محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا و الّذي نقول به هو قول المشهور و ذلك لأنّ جبرئيل أمين وحي اللّه مضافاً إلى قوله تعالى: **ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي اَلْعَرْشِ مَكِينٍ** و هو لا يكون إلاّ جبرئيل و كيف كان لا شكّ أنّ القرأن كلام اللّه أنزله اللّه على عبده محمّد بتّوسط ملك الوحي.

وَ مٰا هُوَ بِقَوْلِ شٰاعِرٍ قَلِيلًا مٰا تُؤْمِنُونَ

ما، نافية أي ليس هو أي القرأن بقول شاعرٍ كما زعمه أبو جهل و أمثاله قليلاً ما تؤمنون، ما، صلة و تقديره قليلاً تؤمنون به و الدّليل على ذلك أنّه إذا سئل عنهم من خلقكم قالوا اللّه.

أقول ما ذكروه لا يعدّ دليلاً على المدّعى بل الدّليل على أنّه ليس بقول شاعرٍ هو أنّه أي القرآن مباينٌ لصنوف الشّعر كلّها لأنّ الغالب من حال الشّاعر أنّه يدعوا إلى الهوى، و الرّسول يأتي بالحكمة و الموعظة الحسنة الّتى يدعوا إليها العقل للحاجة إلى العمل عليها و الإهتداء بها و هذا بخلاف الشِّعر فانّ أحسن الشّعر أكذبه، و الشّعراء يتّبعهم الغاؤون مع أنّ الرّسول ليس كذلك.

وَ لٰا بِقَوْلِ كٰاهِنٍ قَلِيلًا مٰا تَذَكَّرُونَ

أي كما أنّه ليس بقول شاعرٍ كذلك ليس بقول كاهنٍ الّذي يسجع في كلامه على ضربٍ من التكلّف لتثاقل المقاطع ثمّ قال تعالى: **قَلِيلًا مٰا تَذَكَّرُونَ** أي تتفكّرون فيما ذكرناه قليلاً و لو تفكّرتم لعلمتم أنّ القرأن لا يشبه كلام الكاهن.

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ

أي ليس القرأن بقول شاعرٍ و لا كاهن بل هو تنزيل من ربّ العالمين، أي نزّل من مقام الرُّبوبيّة لهداية البشر و إرشاده إلى الحقّ و لذلك عبّر عنه بالتّنزيل.

وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ ٱلْأَقاوِيلِ، لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ

التَّقول مصدر من باب التَّفعل و هو نسبة القول إلى الغير كذباً عليه كأن يقول قال فلان كذا و كذا، ولم يقله ثمّ أنّ المتَّقول تارةً يكون في إنسانٍ في حقّ إنسانٍ أخر كتقول زيدٌ على عمر و مثلاً و تارةً يكون في إنسانٍ في حقّ اللّه تعالى بأن يقول قال اللّه كذا و كذا ولم يقله كذباً عليه على صورة العمد فهذا من أكبر الكبائر و أعظم المعاصي فأن كان القائل صائماً بزل صومه و هكذا لو قال ذلك في حقّ رسول اللّه و الأئمّة المعصومين على مذهبنا، أمّا في حقّ اللّه و رسوله فبإجماع الأمّة.

و أمّا في الأئمّة فعلى إعتقاد الشّيعة و الوجه في ذلك أنّ تكذيب الرّسول تكذيب اللّه لأنّه ما يقول عن نفسه بل يقول من اللّه فمن كذَّبه كذَّب اللّه و هكذا عندنا في الأئمّة الأثنى عشر إذا عرفت هذا فلو تقَّول الرَّسول بعض الأقاويل، أي بعض الأقوال أيّ نسب إلى اللّه قولاً كذباً عليه نعوذ باللّه منه فذنبه أعظم بمراتب من ذنب من تقَّول على اللّه غير الرَّسول من أحاد النّاس و لذلك قال تعالى: **وَ لَوْ تَقَوَّلَ** أي الرَّسول **عَلَيْنا بَعْضَ ٱلْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ** أي بالقوّة و القدرة و إطلاق القوّة على اليمين في قول العرب كثير و منه قول الشّاعر:

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلَّقاها عرابة باليمين

أي بالقوّة و عرابة إسم رجلٍ من الأنصار من قبيلة الأوس و قال الأخر:

ولمّا رأيت الشّمس أشرق نورها تناولت منها حاجتي بيمينٍ

و قال السُّدي الحكم باليمين، أي بالحقّ و الإستحقاق قال الطّبري أنّ هذا الحكم خرج مخرج الإذلال على عادة النّاس في الأخذ بيد من يعاقب كما يقول السّلطان لمن يريد هوانه خذوا يديه، و المعنى لو تقوّل علينا بعض

الأقاويل لأمرنا بالأخذ بيده و بالغنا في عقابه لأنّ تكذيب الرَّسول من أرسله إلى الخلق لإرشاد النّاس و دعوتهم إلى اللّه من أقبح الكذب و أشنعه ثمّ انّه تعالى زاد على الأخذ باليمين و القدرة قطع الوتين فقال: **لَقَطَعْنٰا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ** قيل الوتين نياط القلب.

و قال مجاهد و قتادة هو عرق في القلب متصّلٌ بالظَّهر إذا قطع مات الإنسان و إليه أشار الشّاعر بقوله:

إذا بلّغتني و حملت رحلي عرابة فأشرقي بدم الوتين

و قيل هو حبل القلب الّذي في الظَّهر و هو النُّخاع فإذا إنقطع بطلت القوى و مات صاحبه و الموتون الّذي قطع و تينه، و الّذي حصل لنا في الباب من كلماتهم هو أنّ الوتين عرقٌ به حياة الإنسان فإذا قطع مات صاحبه.

فقوله تعالى: **لَقَطَعْنٰا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ** كناية عن قطع حياته و المعنى لقطعنا منه الحياة، و فى هذا الكلام إشارة إلى شدّة عذاب المتّقول على اللّه لو كان نبيّاً و مفهوم الكلام أنّ هذا العقاب في الدُّنيا مختّصٌ بالرَّسول لخيانته في أمانة اللّه و أنّ تقوّله على اللّه يوجب إضلال النّاس بالكلّية و هذا بخلاف التّقول من غيره فأنّه و إن كان قبيحاً و صاحبه مستحقّ للعقاب إلاّ أنّ اللّه لا يستعجل في عقابه في الدُّنيا و لا يقطع منه الوتين و يؤخّره إلى القيامة، و لعلَّ الوجه في التّأخير هو توبة المتّقول عمّا قال قبل موته أو أنّ ضرر التّقول منه على النّاس ليس كضّرر التّقول من الرّسول و ذلك لمكان عصمتهم و أنّهم أمناء اللّه على خلقه.

ألا ترى أنّ اللّه تعالى أخرج أدم من الجنّة بخطيئةٍ واحدة الّتى كانت من قبيل ترك الأولى و أن شئت قلت بعملٍ مكروهٍ فما ظنُّك بعمل الحرام كالكذب على اللّه تعالى و أمّا في غير الأنبياء فليس كذلك بل يمهلهم اللّه تعالى في الدُّنيا لما ذكرناه و لذلك ترى الكذب على اللّه و رسوله في هذه الأمّة أكثر من أن تحصى من حين موت النّبي إلى زماننا هذا بل في حياة الرَّسول أيضاً كان كذلك و لتفصيل الكلام في هذا الباب مقام أخر.

فَمٰا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حٰاجِزِينَ

الضّمير في (منه) راجع على العقاب و الحجز المنع، و ما، نافية أي ليس أحد منكم بقادرٍ على منع عقاب اللّه إيّاه و ذلك لأنّ المانع عن أعمال قدرة اللّه لابدّ من أن يكون أقدر و أقوى منه تعالى حتّى يقدر على منعه و قد ثبت عقلاً و نقلاً أنّه على كلّ شيءٍ قدير فلو منعه مانعٌ عن إعمال قدرته لزم عدم قدرته على كلّ شيءٍ و هو كما ترى هذا كلّه مضافاً إلى أنّ المانع مخلوقٌ له تعالى و كيف يقدر المخلوق الضّعيف على منع القدرة.

وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ

قيل أي القرأن تذكرةٌ لهم و انّما أضافه إلى المتّقين لأنّهم المنتفعون به فالتّذكرة العلامة الّتى يذكر بها المعنى فالمتّقي يتّذكر القرأن بأن يعمل عليه في أمر دينه في إعتقادٍ أو عملٍ فتمييّز الحقّ من الباطل و الجائز ممّا لا يجوز فأنّ تأثير العلّة في المعلول مشروطٌ بقابليّة المعلول للتّأثر و عدم المانع بين العلّة و المعلول و لذلك ترى أنّ القرأن ليس بمذكّرٍ لأكثر النّاس لعدم قابليّتهم و لياقتهم و إستعدادهم أو لوجود الموانع الّتى تمنع عن التّأثير و التّأثر.

وَ إِنّٰا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ

قيل هو عطف على جواب القسم و معناه التّحذير من التّكذيب بالحقّ و أنّه ينبغي أنّ يتذكّر أنّ اللّه يعلمه و يجازي عليه و فيه إشارة إلى أنّ اللّه لا يخفىٰ عليه شيءٍ و قوله: **مِنْكُمْ** خطابٌ للأمّة، لا للكفّار كما زعم بعضهم لأنّ الكفّار كلّهم مكذّبون ففي الكلام إيماء إلى أنّ المسلمين منهم من يكذّب و منهم من لا يكذّب فمن المكذّبين أبو هريرة و أنس و سمرة بن جندب و أمثالهم لأنّهم وضعوا أحاديث و نسبوها إلى اللّه و رسوله و كذّبوا القرأن أيضاً في العمل به و تفسيره على خلاف رضا اللّه و رسوله و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون.

وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ

و المعنى أنّ القرأن لحسرة على الكافرين يوم القيامة حيث لم يصدّقوا به و لم يعملوا بما فيه.

و قيل الضّمير راجع إلى التّكذيب و المعنى أنّ تكذيبهم القرأن و التّوحيد و النّبوة لحسرة على الكافرين.

وَ إِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ

أي أنّ القرأن العظيم لحقُّ اليقين و أنّما أضافه إلى نفسه كما يقال دار الأخرة و بارحة الأولى و يوم الخميس و ما أشبه ذلك فيضاف الشّئ إلى نفسه إذا إختلف لفظه كما إختلف الحقّ و اليقين ثمّ قال تعالى لنبيّه.

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ

الخطاب للنّبي و المراد جميع الأمّة و المعنى فنزّهه عمّا لا يليق بشأنه و لا يجوز عليه من صفات خلقه بإسم ربّك العظيم، أي الجليل الّذي يصغر شأن غيره في جنب شأنه بما يستحقّ من أوصافه.

روي أنّه لمّا نزلت الآية قال النّبي، إجعلوها في ركوعكم في الصّلاة.

■

سُورَةُ ٱلْمَعَارِجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ
دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَ ٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَ نَرَيٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ
تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَ تَكُونُ ٱلْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَ لَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ
يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَ صَاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَ
فَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً
لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَ
جَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾
إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَ إِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ
مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ

صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَ ٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَالِهِمْ
حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّآئِلِ وَ ٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَ
ٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَ ٱلَّذِينَ هُمْ
مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ
غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَ ٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ
وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَ ٱلَّذِينَ
هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَ ٱلَّذِينَ
هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰٓئِكَ فِي جَنَّاتٍ
مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ
مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَ عَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ
﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ
﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَ ٱلْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾
عَلَىٰٓ أَنْ نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ
﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ
ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ
ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

◄ اللّغة

دَافِعٌ: يقال دفعه أي منعه.

ٱلْمَعَارِجِ: من العروج و هو الصُّعود فالمعارج المصاعد.

كَالْمُهْلِ: المهل بضّم الميم و سكون الهاء و اللاّم دردّي الزَّيت هو الصّفر المذاب و قيل هو عكر الزَّيت.

كَالْعِهْنِ: فالعهن بكسر العين الصُّوف المنقوش.

حَمِيمٌ: بفتح الحاء القريب النَّسب و أصله القرب.

فَصِيلَتِهِ: الفصيلة بفتح الفاء و كسر الصّاد و سكون الياء المنقطعة من جملة القبيلة برجوعها إلى أبَوةٍ خاصّةٍ.

لَظَىٰ: هو إسمٌ من أسماء جهنّم مأخوذ من التَّوقد.

نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ: النزّاعة كثيرة النزّع و هو إقتلاع من شدّةٍ و الشَّوى بفتح الشّين المشدّدة جلدة الرّأس و قيل الشَّوى الكوارع و الأطراف.

فَأَوْعَىٰ: الوعي الحفظ.

هَلُوعًا: الهلوع بفتح الهاء هو شديد الحرص و قيل شديد الجزع.

جَزُوعًا: الجزع الإضطراب.

مُشْفِقُونَ: الإشفاق رقّة القلب من تحمُّل ما يخاف من الأمر.

مُهْطِعِينَ: أي مسرعين فالإهطاع الإسراع.

عِزِينَ: جماعات في تفرقة نحو الكراريس واحدهم (عزة).

يُوفِضُونَ: الإيفاض الإسراع.

◄ الإعراب

يَوْمَ تَكُونُ بدل من قريب يُبَصَّرُونَهُمْ حال و جمع الضّمير على معنى الحميم نَزَّاعَةً أي هي نزّاعة و قيل هي بدل من لَظَىٰ و قيل كلاهما خبر نُصُبٍ

حال من الضّمير في تدعوا، و **هَلُوعًا** حال مقدّرة و **جَزُوعًا** حال أخرى **إِلَّا الْمُصَلِّينَ** هو إستثناء من الجنس و هو الإنسان **مُهْطِعِينَ** حال من الّذين كفروا و كذلك **عِزِينَ** و **قِبَلَكَ** معمول، مهطعين **يَوْمَ يَخْرُجُونَ** بدل من يومهم **سِرَاعًا** كأنّهم حالان و الباقي واضح.

◄ التّفسير

سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ واقِعٍ

قال في التّبيان، قال الفرّاء الدّاعي بالعذاب هو النّضر بن كلدة أسر يوم بدر و قتل صبراً هو و عقبة بن أبي معيط.

و قال الطّبرسي في المجمع قيل أنّ هذا السّائل هو الّذي قال: **اَللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ**[1] و هو النّضر بن الحرث بن كلدة فيكون المعنى دعا داعٍ على نفسه بعذابٍ واقع مستعجلاً له و هو واقع بهم لا محالة عن مجاهد، و قيل سأل المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الّذي تذكر يامحمّد فجاء جوابه بأنّه للكافرين، ليس له دافعٌ عن الحسن و قيل معناه دعا داعٍ بعذاب الكافرين و ذلك الدّاعي هو النّبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الجبائي و يكون الباء في (بعذاب) مزيّدة على التّوكيد كما في قوله تعالى: **وَ هُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ**[2] و التّقدير سَأَل سائلٌ عذاباً واقعاً و قيل هي أي الباء بمعنى، من، عليه تأويل قول الحسن لأنّهم سألوا العذاب لمن هو و قيل الباء للتّعدي بإنزال العذاب و عليه تأويل قول مجاهد و قيل أنّ معنى سأل سائل على قراءة من قرأ بالألف من سأل يسيأل سالاً ير سال سيلٌ بعذاب واقع و قيل سايل إسم وادي جهنّم سمّي به لأنّه يسيل العذاب عن إبن زيد هذا ما نقله الطّبرسي قدس سره من الأقوال حول الآية بألفاظه و عباراته ثمّ.

١- الانفال = ٣٢ ٢- مريم = ٢٤

قال: ما هذا لفظه و أخبرنا السَّيد أبوالحمد قال: حدَّثنا الحاكم أبوالقاسم الحسكانى قال: حدَّثنا أبو عبد اللّه الشّيرازي قال: حدَّثنا أبوبكر الجرجاني قال: حدَّثنا أبو أحمد البصري قال: حدَّثنا محمّد بن سهل قال: حدَّثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصار قال: حدَّثنا محمّد بن أيّوب الواسطي قال: حدَّثنا سفيان بن عيينه عن جعفر بن محمّدالصّادق عن آبائه قال: نصب لنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً يوم غديرخم و قال: «من كنت مولاه فعلّي مولاه» طار ذلك في البلاد فقدم على النّبي النّعمان بن الحرث الفهري فقال أمرتنا عن اللّه أن نشهد (أن لا إله إلاّ اللّه و أنّك رسول اللّه) و أمرتنا بالجهاد و الحجّ و الصُّوم و الصّلوة و الزّكوة فقبلناها ثمّ لم ترض حتّى نصبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فعلّي مولاه فهذا شيٌ منك أو أمرٌ من عند اللّه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: و اللّه الّذي لا إله إلاّ هو أنّ هذا من اللّه فولّى النَّضر بن الحرث و هو يقول أللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء فرماه اللّه (بالحجر) على رأسه فأنزل اللّه تعالى: سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ إنتهى ما ذكره الطّبرسى.

أقول ما ذكره قدس سره حقٌ لا مرية فيه و هذا الحديث الّذي رواه عن الحافظ الحسكاني و هو من أعيان العامّة مذكورٌ في كتابه المسّمى بشواهد التّنزيل و الكتاب موجودٌ عندنا و نزيدك على ما ذكره الطّبرسي ما ذكره الحافظ المذكور في هذا الكتاب.

قال: و فى التّفسير العتيق عن إبراهيم بن محمّد الكوفي قال: حدَّثني نصر بن مزاحم عن عمرو بن شمر عن جابرالخبعفي عن محمّدبن علّي قال: أقبل الحارث بن عمر و الفهري إلى النّبي فقال: أنّك أتيتنا

بخبر السّماء فصَّدقناك و قبلنا منك فذكر مثله إلى قوله فأرتحل الحرث فلّما صار ببطحاء مكَّة أتتهم جندلة من السّماء فسدخت رأسه فأنزل اللّه: سَأَلَ سٰآئِلٌ بِعَذٰابٍ وٰاقِعٍ للكافرين بولاية عليٍّ إنتهى.

قال: حدَّثني أبو الحسن الفارّسي و ساق الأسناد إلى ربعي عن حذيفة اليمان قال: قال رسول اللّه: من كنت مولاه فهذا مولاه) قام النُّعمان الفهري فقال هذا شيءٌ قلت من عندك أو شيءٍ أمر به ربَّك قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا بل أمرني به ربّي فقال: اللّهم أنزل علينا حجارة من السّماء فما بلغ رحله حتّى جائه حجر فخرّ ميتاً فأنزل اللّه سَأَلَ سٰآئِلٌ بِعَذٰابٍ وٰاقِعٍ لِلْكٰافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ إنتهى.

ما رواه بأسناده عن أبي هريرة قال أخذ رسول اللّه بعضد علّى بن أبي طالب يوم غدير خم ثمّ قال: (من كنت مولاه فهذا علّي مولاه فقام إليه إعرّابي فقال: دعوتنا أن نشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّك رسول اللّه فصَّدقناك و أمرتنا بالصّلاة و الصّيام فصَّلينا و صمنا و بالزّكاة فأدَّينا فلم تقنعك إلاّ أن تفعل هذا فهذا عن اللّه أم عنك قال: عن اللّه لا عنّى.

قال: اللّه الّذي لا إله إلاّ هو هذا عن اللّه لا عنك قال نعم ثلاثاً فقام الإعرابي مسرعاً إلى بعيره و هو يقول اللّهم أن كان هذا هو الحقّ من عندك الآية فما إستتمّ الكلمات حتّى نزلت نارٌ من السّماء فأحرقته و أنزل اللّه في عقب ذلك: سَأَلَ سٰآئِلٌ بِعَذٰابٍ وٰاقِعٍ إنتهى.

أقول هذا ما ذكره الحافظ الحسكاني في كتابه و الأحاديث عن طريق العامّة كثيرة و قد ذكر في غاية المرام و ينابيع المودَّة شطراً منها و قد ذكر القرطبي مع تعَّصبه في مذهبه هذا الحديث قال ما هذا لفظهُ لِلْكٰافِرِينَ أي على الكافرين

و هو النَّضر بن الحارث حيث قال اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذابٍ أليم، فنزل سؤاله و قتل يوم بدر صبراً هو و عقبة بن أبي معيط لم يقتل صبراً غيرهما قاله إبن عبّاس و مجاهد و قيل انّ السّائل هنا هو الحارث بن النُّعمان الفهري و ذلك أنّه لمّا بلغه قول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ رضي اللّه عنه.

من كنت مولاه فعلّيٌ مولاه ركب ناقته فجاء حتّى أناخ راحلته بالأبطح ثمّ قال يا محمّد أمرتنا عن اللّه أن نشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّك رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقبلناه منك و أن نصلّي خمساً فقبلناه منك و أن نزّكي أوالنا فقبلناه منك و أن نصوم شهر رمضان في كلّ عامٍ فقبلناه منك و أن نحجّ فقبلناه منك ثمّ لم ترض بهذا حتّى فضلّت إبن عمّك علينا أفهذا شئ منك أم من اللّه فقال النّبى: و اللّه الّذي لا إله إلاّ هو ما هو إلاّ عن اللّه فوَّلى الحارث و هو يقول اللّهم أن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السّماء أو أئتنا بعذابٍ أليمٍ فَوَاللّه ما وَصَل إلىٰ ناقَته حتّىٰ رَماه اللّه بحَجرٍ فَوَقع علىٰ دماغه و خَرَج من دُبُره فقَتله فَنَزَل سأَلَ سائل بعذابٍ واقع إنتهىٰ.

أقول ما ذكره القرطبي و غيره من العامّة في تفاسيرهم و كتبهم حجّةٌ عليهم يوم القيامة و لولا مخافة الإطناب لقلنا في المقام غير ما قلناه و اللّه أعلم.

لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ

و قد عرفت ممّا ذكرناه أنّه لم يكن له دافعٌ حين نزل عليه العذاب.

مِنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ

أي ليس له دافعٌ من اللّه ذي المعارج و بعبارةٍ أخرى ليس له دافعٌ من عذاب اللّه و قوله ذي المعارج صفة للّه تعالى أي أنّ اللّه ذو المعارج و

المصاعد و قيل معناه ذو العلُّو و الدَّرجات الفواضل و النِّعم فالمعارج مراتب أنعامه على الخلق قاله إبن عبّاس و الحقّ أنّ المعارج جمع معرج و هو محلّ العروج و الحروج الصُّعود إلى الفوق فالمعارج معناه المصاعد و يدلّ على هذا قوله بعد ذلك.

تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَ ٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ

و هو يوم القيامة فقوله: **تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَ ٱلرُّوحُ** إليه معناه تصعد إليه كما قال تعالى: **إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ**[1] و المراد بالصُّعود في المقام ليس الصُّعود العرفي الّذي يتّحصل من مكان سافل إلى مكان عالٍ كما في الأجسام بل المراد الصُّعود المعنّوي و ذلك لأنّ اللّه تعالى لا مكان له فعروج الملائكة إليه كناية القرب المعنّوي الّذي يحصل بسبب الطّاعة و الإنقياد.

و أمّا قوله: فى **خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** فهو إشارة إلى أنّ يوم القيامة ليس مثل أيّام الدُّنيا و أمّا أنّ المرادبالسنّة ما هو فاللّه أعلم ثمّ أنّ اللّه تعالى أمر نبيّه بالصَّبر.

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَ نَرِيٰهُ قَرِيبًا

و المعنى فأصبر يامحمّد صبراً جميلاً و هو الّذي لا جزع فيه على أذى قومك و قيل الصَّبر الجميل هو أن يكون صاحب المصيبة لا يدرى من هو و قيل هو الصَّبر الّذي لا شكوى فيه لغير اللّه و الإنصاف أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم صبر على أذى المشركين كذلك و لم يدع عليهم قطُّ بل كان يقول اللّهم أهد قومي فأنّهم لا يعلمون، بخلاف كثيرٍ من الأنبياء قبله فانّهم دعوا على من آذاهم و لذلك نزل عليهم العذاب كما مرَّ الكلام فيه.

و قوله: **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا** أي أنّ المشركين يرون العذاب أو القيامة بعيداً **وَ نَرِيٰهُ قَرِيبًا** لأنّه محقّق الوقوع و ما كان كذلك فهو في حكم الماضي فكيف يكون بعيداً ثمّ أشار اللّه تعالى إلى أثار القيامة و أوصافها.

١- فاطر = ١٠

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ، وَ تَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ، وَ لَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا

لمّا قال تعالىٰ: **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَ نَرٰيهُ قَرِيبًا** كأنّه قيل متى هذا الوعد، فذكر اللّه له علامات:

الأولى: أن تكون السّماء كالمهل، و هو دردِيُّ الزَّيت و عكره، و قيل ما أذيب من الرّصاص و النّحاس و الفضّة، و قيل هو القيح من دمٍ و صديدٍ.

الثّانية: أن تكون الجبال كالعهن، بكسر العين و هو الصُّوف المنقوش و قيل هو الصُّوف الأحمر و قيل العهن الصُّوف ذو ألوان، و الحقّ أنّ العهن هو الصُّوف المنقوش و كيف كان فهو من علائم القيامة.

ثالثها: وَ لَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا و ذلك لشغل كلّ إنسانٍ بنفسه و المشهور بين القّراء فتح الياء بصيغة المعلوم و قرأ بعضهم بالضّم أي و لا يسأل حميمٌ عن حميمه، و لا ذو قرابةٍ عن قرابته و هذه القراءة شاذّة متروكة و ظاهر الآية يأباها أيضاً و هو ظاهر فالمعنى على المشهور لا يسأل قريبٌ قريباً.

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَ صَاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ، وَ فَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ، وَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ

فقوله: **يُبَصَّرُونَهُمْ** أي يرونهم أي يعرف الكفّار بعضهم بعضاً لم يفرّ بعضهم عن بعض، و قيل يعرفهم المؤمنون، و قال قوم يعرف أتباع الضّلال رؤسائهم **يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ** الوُد الحبّ أي يتمنّى العاصي **لَوْ يَفْتَدِي** فالإفتداء إفتداء الضّرر عن الشّئ ببدلٍ منه، و الضّمير في يبصرونهم للكفّار أي يبصر بعضهم بعضاً فيتعارفون ثمّ يفرّ بعضهم من بعضٍ و الميم للأقرباء.

و قال مجاهد المعنى يبصر اللّه المؤمنين الكفّار في القيامة و على هذا فالضّمير في يبصرونهم للمؤمنين و الهاء و الميم للكفّار.

و قال إبن زيد، معناه يبصر الكفّار في النّار الّذي أضلّوهم في الدّنيا، فالضّمير في يبصرونهم، للتّابعين والهاء والميم للمتبوعين، و قيل يبصر المظلوم ظالمه و المقتول قاتله وتمّ الكلام عند قوله: **يُبَصَّرُونَهُمْ**.

ثمّ قال تعالى: يوم **يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ** أي يتمنّى و يحبّ **لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ** أي من عذاب يوم القيامة بأعزّ من كان عليه في الدّنيا من أقاربه **بِبَنِيهِ** يعني أولاده الذّكور **وَ صَاحِبَتِهِ** يعني زوجته **وَ أَخِيهِ** يعني إبن أبيه و أمّه **وَ فَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْوِيهِ** أي عشيرته تؤويه أي تنصره في الدّنيا فالفصيلة هي المنقطعة عن جملة القبيلة برجوعها إلى أبوّة خاصّة **وَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا** أي يتّمنى الذّي في العذاب أي يفتدي بهؤلاء كلّهم ليستخلّص من العذاب و بعبارةٍ أخرى يفتدي بهؤلاء الأعزّة النّجاة و خلاصه من العذاب و فيه إشارة إلى شدّته.

كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ

أي ليس ينجيه الإفتداء من عذاب اللّه و قيل كلاّ، ردعٌ و تنبيهٌ أي لا ينجيه أحد من هؤلاء، و **لَظَىٰ** بفتح اللاّم من أسماء جهنّم مأخوذ من التّوقد و الضّمير في أنّها، راجع إلى النّار و موضع **لَظَىٰ** رفع لأنّها خبر (أن) و قوله: **نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ** خبر أخر على من رفع و من نصب جعله حالاً و معنى نزّاعة كثيرة النّزع و الشّوى جلدة الرّأس، و قيل الكوارع و الأطراف لأنّ النّار تأخذ الجلدة و الأطراف بالتّغير و قيل أنّ جهنّم تنزع جلدة الرّأس و أطراف البدن و الشّوى جمع شواة و إلى هذا المعنى أشار الشّاعر بقوله:

قالت فتيلة ماله قد حللت شيباً شواته

و قيل معنى **نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ**، أي تنزع عينيه و تسوّد وجهه و الحاصل أنّ هذه الأيات تحكي عن شدّة العذاب يوم القيامة.

تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّىٰ

أي تدعو النّار من أدبر و تولّى، و قيل تدعو لظى و هى جهنّم من أدبر و تولّى أي من أدبر و أعرض عن طاعة اللّه في الدُّنيا و تولّى عن الإيمان باللّه و دعاء النّار أن تقول بلسان التّكوين، إليّ يا مشرك إلَّي يا فاسق ثمّ تلتقطهم كما يلتقط الطّير الحبّ و قال ثعلب تدعوه، أي تهلك تقول العرب دعاك اللّه أي أهلك اللّه.

و قال الخليل دعوة النّار إيّاهم تمكّنها من تعذيبهم، و قيل الدّاعي خزنة جهنّم أضيف دعاءهم إليها إلى النّار، و قيل هو ضرب مثلٍ أي أنّ مصير من أدبر و تولّى، إليها فكأنّها الدّاعية لهم و مثله قوله الشّاعر:

و لقد هبطنا الواديين فؤادياً يدعو الأنيس به العضيض الأبكم

وَ جَمَعَ فَأَوْعٰى

أي جمع المال فجعله في وعاءه و منع منه حقّ اللّه تعالى فكان جموعاً منوعاً.

إِنَّ ٱلْإِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعًا

الهلوع الشدّيد الحرص، و قيل الشَّديد الجزع من الضّجر في قول إبن عبّاس و قيل معناه خلق ضعيفاً من الصَّبر على الجزع.

و قال بعض المفسّرين المراد به الكافر و الهلع في اللُّغة أشدّ الحرص و أسوأ الجزع و أفحشه.

أقول أنظر إلى هذا التّفسير يقول اللّه تعالى: **إِنَّ ٱلْإِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعًا** و هو أي المفسِّر يقول يعني الكافر، و لا يعلم أنّ الإنسان أعمّ من الكافر، و المسلم ولو كان المراد ما ذكره لقال أنّ الكافر خلق هلوعاً، ولم يقل ذلك هذا أوّلاً.

ثانياً: أنّ الحرص لا يختّص بالكافر بل هو من صفات البشر.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: أنّ أخوف ما أخاف عليكم أثنان الحرص و طول الأمل.

و في بعض الأخبار، **إتّباع الهوى و طول الأمل**، و المعنى واحد فأنّ الحرص يوجد من إتّباع الهوى و حاصل الكلام أنّ الحرص من خواصّ الإنسان سواء كان مسلماً أم كافراً ألا ترى أنّ الحرص أخرج أدم و حوّاء من الجنّة ثمّ أيُّ حرصٍ أشدَّ و أفحش من ترك المسلمين في صدر الإسلام من تركهم جنازة الرّسول الأعظم و إجتماعهم في سقيفة بني‌ساعدة لأجل الوصول إلى الحكومة و الخلافة أليس هذا من مصاديق الحرص على الدُّنيا، فكأنّ القائل أراد بالحرص غير ما فهمنا منه و زعم أنّ معنى الحرص الشَّرك باللّه فان أراد هذا فلا كلام لنا معه و ان أراد معناه اللُّغوي فهو مشترك بين المسلم و الكافر و العالم و الجاهل و هكذا.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: لو كان لإبن أدم و اديان من ذهب لإبتغىٰ ورائهما ثالثاً و لا يملأ جوف إبن أدم إلاّ التُّراب و يتوب اللّه على من تاب إنتهى.

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: ليشيب إبن أدم و تشبُّ فيه خصلتان الحرص و طول الأمل إنتهى.

و قال الصّادق عليه السلام: أنّ فيما نزل به الوحي من السّماء لو أنّ لإبن أدم و اديين يسيلان ذهباً و فضّةً لإبتغى لهما ثالثاً يابن أدم أنّما بطنك بحرٌ من البحور و وادٍ من الأودية لا يملأنه شئ إلاّ التُّراب إنتهى.

و الأخبار في ذمّه كثيرة و أظنّ أنّ هذا لا يحتاج إلى إطالة الكلام لأنّ كلّ إنسانٍ يحسّ في نفسه الحرص نعم له مراتب كثيرة شدّةً و ضعفاً و كمالاً و نقصاً و أمّا وجود الحرص في أولاد أدم ممّا لا شكّ فيه لأنّه محسوسٌ.

إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا، وَ إِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا

الخير ما يرغب فيه الكلّ كالعقل مثلاً و العدل و العلم و الفضل و الشّئ النّافع و ضدّه الشّر كالجهل و الظُّلم و الشّئ الضّار.

قال بعضهم الخير ضربان، خيرٌ مطلق و هو أن يكون الشّئ مرغوباً فيه بكلّ حالٍ و عند كلّ أحدٍ كما:

وصف رسول اللّه به الجنَّة فقال لا خير بخيرٍ بعده النّار و لا شرّ بعده الجنَّة، و خيرٌ و شّرٌ قيّدان و هو أن يكون خيراً لواحدٍ و شرّاً لأخر كالمال الّذي ربّما يكون خيراً لزيد و شّراً لعمرو و لذلك وصفه اللّه تعالى بالأمرين فقال في موضع من كتابه: **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا** و المراد بالخير المال، و قال في موضعٍ أخر: **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ**[1].

قال بعض المحقّقين لا يقال للمال خير حتّى يكون كثيراً و من مكانٍ طيّبٍ و عليه يحمل الخير في أية الوصّية.

كما روي أنّ علّياً عليه السلام دخل على مولى له فقال المولى ألا أوصي يا أميرالمؤمنين فقال عليه السلام لا، فأنّ اللّه تعالى قال أن ترك خيراً، وليس لك مالٌ كثير.

و على هذا قوله تعالى: **وَ إِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**[2] أي المال الكثير و قيل الخير و الشّر يقالان على وجهين:

أحدهما: أن يكونا إسمين كما تقدّم و هو:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ**[3].

الثّاني: أن يكونا وصفين و تقديرهما تقدير (أفعل منه) نحو هذا خيرٌ من ذاك و أفضل و منه:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَى**[4].

١- المؤمنون = ٥٥ / ٥٦
٢- الاديات = ٨
٣- آل عمران = ١٠٤
٤- البقرة = ١٩٧

تقديره تقدير، أفعل منه فالخير يقابل به الشّر مرّةً و الضُّر مرّةً:

قال اللّه تعالى: **وَ إِنْ يَمْسَسْكَ ٱللّٰهُ بِضُرٍّ فَلاٰ كٰاشِفَ لَهُ إِلّٰا هُوَ**[١].

قال اللّه تعالى: **وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**[٢].

إذا عرفت معنى الخير و الشَّر فقد علمت انّ الشَّر من الأمور العدَمية لأنّه عدم الخير فهو يقابل الخير دائماً و أمّا الشَّر بقولٍ مطلقٍ بحيث لا يوجد فيه خير أصلاً، فهو لم يوجد و لن يوجد أبداً و ذلك لأنّ الوجود خيرٌ محضٌ فالواجب تعالى خيرٌ بقولٍ مطلقٍ لأنّه حقيقة الوجود و نفسه فإذا كان الشّئ موجوداً فقد إتّصف بالخير و هو الوجود فكيف يكون شرّاً بقولٍ مطلقٍ فثبت و تحقّق أنّ الخير المطلق موجود و هو اللّه تعالى و الشّر المطلق معدوم غير قابلٍ للوجود كشريك البارئ مثلاً و على هذا فالخير و الشَّر من الأمور النسبيّة فقوله تعالى: **إِذاٰ مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا** معناه الشَّر النِّسبي و هكذا قوله: **وَ إِذاٰ مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا** و معناه الخير النِّسبي إذ لا يعقل أن يمسّه الشّر المطلق لأنّه معدومٌ غير قابل للوجود كما مرَّ و لا الخير المطلق لأنّ الموجود الممكن لا يكون خيراً مطلقاً و الخير المطلق هو اللّه تعالى.

و حاصل المعنى في الأيتين انّ الإنسان إذا مسَّه الشّر كالمرض و الفقر يكون جزوعاً أي مضطرباً و إذا مسَّه الخير كالغنى و الصِّحة منوعاً يمنع حقّ اللّه فيه و ذلك لضعف نفسه و جهله بالواقع فانّ المرض و الفقر مثلاً و أن كان من الشّرور بزعمه بالنّسبة إلى الغنى و الصّحة إلاّ أنّهما بحسب الواقع ليسا كذلك لأنّ المصلحة إقتضت الفقر و المرض فالفقر في الواقع خيرٌ له، و هكذا الغنى و الصّحة و أن كانا بزعمه خيراً إلاّ أنّهما بحسب الواقع يمكن أن لا يكونا خيراً له قوله تعالى: **إِنَّمٰا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدٰادُوٰا إِثْمًا**[٣] و لأجل هذا يقال أنّ الأيتين

١- الانعام = ١٧ ٢- الانعام = ١٧

٣- آل عمران = ١٧٨

في ذمّ الإنسان لأنّ لجهله بالواقع يسحسب المرض و الصّحة و الفقر و أمثالهما من الشّر و المال و الصّحة من الخير و أمّا الإنسان العارف بأنّ الأفعال و الحوادث تصدر عن المصلحة لا يكون جزوعاً و لا منوعاً بل يقول المرض خير و الفقر خير و الغنى أيضاً خير و الأصل في هذه القاعدة هو قوله تعالى: **لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَيٰكُمْ**[1] فَيُفَوّض أمره إلىٰ اللّه و يحكم بالخير في جميع ما أراد اللّه في حقّه و أعطاه.

إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ، ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ، وَ ٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِلسَّآئِلِ وَ ٱلْمَحْرُومِ

إستثنى اللّه تعالى من الحكم المذكور و هو الجزع في الشّر و المنع من أداء الحقّ في الخير من أصناف الخلق صنفين:

أحدهما: الّذين يستّمرون على أداء الصّلاة الّتى أوجبها اللّه عليهم بحدودها و شرائطها و حفظها و عدم تركها.

ثانيهما: الّذين في أموالهم حقّ معلوم للسّائل و المحروم الّذي لا مال له و قيل المحروم هو الّذي لا يعطي الصّدقة و قيل هو الذّي لا يسأل النّاس.

قال القرطبي في قوله: **إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ** دلّ على أنّ ما قبله في الكفّار إنتهىٰ.

أقول ليس الأمر كذلك و لا دلالة لقوله: **إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ** أنّ ما قبله في الكفّار، و ذلك لأنّ المستثنى منه في المقام هو الإنسان في قوله: **إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا** و لا شكّ أنّ المراد بالإنسان جميع أفراد البشر فأنّ الحرص الشّديد و هو الهلوع لا يختّص بالكافرين بل الحرص موجود في المؤمنين أيضاً كما مرّ الكلام فيه عند قول القرطبي يريد به الكفّار، و على هذا فالمستثنى متصّلٌ فالمعنى خلق الإنسان هلوعاً إلاّ المصلّين منهم، أي من الإنسان.

١- الحديد = ٢٣

و في قوله: **اَلَّذِينَ هُمْ عَلٰى صَلاٰتِهِمْ دٰآئِمُونَ** إشارة إلى حفظ المصلّي مواقيت الصّلاة و الإتيان بها بجميع شرائطها و حدودها و هذه الصّلاة هي الّتى تمنع اصلّي عمّا يضادّها من الحرص على الدُّنيا و الجزع عند البلاء و البخل عن الإنفاق و ذلك لقوله تعالى: **إِنَّ اَلصَّلٰوةَ تَنْهٰى عَنِ اَلْفَحْشٰآءِ وَ اَلْمُنْكَرِ**[1] و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: **أنّ الصّلاة معراج المؤمن** و غيرهما من الأيات و الأخبار الواردة في فضيلة الصّلاة و الأثار المترتبة عليها إذا كانت الصّلاة صحيحة فقوله تعالى: **إِلَّا اَلْمُصَلِّينَ** إلى قوله: **دٰآئِمُونَ** إشارة إلى هذه الصّلاة التّامة الأجزاء و الشّرائط لا مطلق الصّلاة كيف إتّفقت مثل صلاة أبي سفيان و معاوية و يزيد و عبيدالله و غيرهم من الظّالمين المدّعين للإسلام ظاهراً و الكافرين واقعاً كان القرطبي و أمثاله أنّ هؤلاء الأشرار من المستثنيات في الآية لأنّهم كانوا يصلّون و يديمون عليها.

و حاصل الكلام أنّ المراد بالمصلّين في الآية الّذين كانت صلواتهم تمنعهم من الحرص على الدُّنيا و الجزع على ما أتاهم اللّه إذا لم يكن موافقاً لطبائعهم.

أمّا الصّنف الثّانى: ممّا إستثناه اللّه تعالى فهم **وَ اَلَّذِينَ فِيٓ أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسّٰآئِلِ وَ اَلْمَحْرُومِ** و هم الأغنياء الّذين أنعم اللّه عليهم بالأموال و جعل في أموالهم حقوقاً للفقراء و المساكين فيعطون حقوقهم و لا يمنعونهم منها و هذا يدلّ على عدم حرصهم.

على جميع الأموال فقول القرطبي و أمثاله من أنّ المراد بقوله: **حَقٌّ مَعْلُومٌ** الزّكاة المفروضة غير صحيح بل المراد معناه العامّ الشّامل لها و لغيرها من الصّدقات و صلة الأرحام و بالجملة جميع المستّحبات فالإختصاص بالزّكاة الواجبة على المكلّف لا وجه له و هو واضحٌ لمن تدّبر في الأيات و الأخبار.

ثمّ انّ المراد بالسّائل في الآية الّذي يسأل و يطلب و المراد بالمحروم المحارف على قول إبن عبّاس و قال الحسن هو الّذي حرم أن يعطي الصّدقة

١- العنكبوت = ٤٥

بتركه المسألة و قيل هو الّذي قد حرم الرّزق و هو لا يسأل النّاس و المعنى واضح.

وَ ٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ، وَ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ

الواو للعطف على المستثنى و هو قوله: **إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ** فهذه الأيات من قوله **إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ** إلى قوله: **مُكرمُون**، كلّها داخل في المستثنى فالتّقدير و إلاّ الّذين يصّدقون بيوم الدّين و إلاّ الّذين من عذاب ربّهم مشفقون إلى أخر الأيات، و الحاصل من الأيات هو أنّ خلق هلوعاً أي حريصاً على الدُّنيا إلاّ من كان متّصفاً بهذه الأوصاف:

أحدها: أن يكون من المصلّين الحقيقي على ما مرَّ بيانه.

الثّانى: أن يكون من الّذين في أموالهم حقّ معلوم للسّائل و المحروم مرَّ بيانه أيضاً.

الثّالث: أن يكون من الّذين يصدّقون بيوم الدّين يعني يوم القيامة الّذي يعبّر عنه بالمعاد الّذي هو أحد أركان الدّين و هو من ضّروريّاته فمن أنكره يحكم بكفره و المراد بالتّصديق الإعتقاد و الجازم به و أنّما جعل المعاد من المستثنى لأنّ المعتقد بالمعاد لا يكون هلوعاً حريصاً لعلمه بأنّ الإنسان مسئولٌ يوم القيامة عن أعماله و أقواله الّتى صدرت عنه في الدُّنيا مضافاً إلى أنّ الدّنيا فانية و الأخرة باقية و الحرص على تحصيل الشّئ الّذي لا بقاء له خلاف العقل السّليم.

الرّابع: أن يكون من الّذين هم من عذاب ربّهم مشفقون، الإشفاق رقّة القلب من تحمل ما يخاف من الأمر فإذا قسى قلب الإنسان بطل الإشفاق و كذلك إذا أمن من الخوف كحال أهل الجنّة فأنّهم قد صاروا إلى غاية الصِّفة بحصول المعارف الضّرورية لهم في الجنّة فأولئك الّذين لا خوف عليهم يحزنون.

و قيل من أشفق من عذاب اللّه لم يتّعد له حدّاً و لم يضيع له فرصاً فإذا بلغ الإنسان إلى هذا المقام لا يكون هلوعاً لعلمه بأنّ الحرص على الدّنيا ناش عن حبّ الدُّنيا و قد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **حبّ الدُّنيا رأس كلّ خطيئة** و من المعلوم أنّ الحريص يحبّها فلا محالة يعذّب يوم القيامة، و الى ذلك أشار اللّه.

إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ

أخبر اللّه في هذه الآية بأنّ عذابه كائنٌ ثابتٌ يوم القيامة فلا يوثق بأنّه لا يكون و ان شئت قلت انّه يعلم انّ عذاب اللّه غير مأمونٍ على العصاة فإذا كان العبد عالماً بأنّ عذابه غير مأمون خاف منه و إذا خاف عمل بما هو وظيفته.

الرابع:

وَ ٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ، إِلّا عَلىٰ أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ٱبْتَغىٰ وَرٰاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْعادُونَ

الفَرج بفتح الفاء و سكون الرّاء و الجيم و هكذا الفرجة الشّق بين الشّيئين كفرجة الحائط و الفرج ما بين الرِّجلين في الرّجل و المرأة و كنّي به عن السَّوأة و كثر حتّى صار كالصّريح فيه:

قال تعالى في مريم: **وَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها**[1].

و قال في الرّجال: **لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ**[2].

و للمرأة: **وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**[3].

فقوله تعالىٰ: **وَ ٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ** الظّاهر أنّ المراد بهم الرّجال بدليل قوله: **أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ** و عليه المفسّرون، و لا يبعد أن

١- الانبياء = ٩١
٢- المؤمنون = ٥
٣- النّور = ٣١

يكون المراد من قوله: **هُمْ** الرّجال و النّساء جميعاً و تذكير الضّمير من باب التّغليب و ذلك لأنّ المستثنى منه في الأيات هو الإنسان بإتّفاق المفسّرين و المرأة داخلة في الإنسان فقوله: **إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا** شاملٌ للرّجال و النِّساء و إذا كان المستثنى منه عامّاً شاملاً لجميع أفراد الإنسان فلا دليل على تخصيص المستثنى بالرّجال فقط و قد مرَّ الكلام فيها و فى الآية الّتى بعد الأيات فى سورة، **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون** فراجعها إن شئت و محصّل الكلام أنّ الّذين لفروجهم حافظون، عمّا حرَّم اللّه عليهم، إلاّ على أزاوجهم أو ما مملكت ايمانهم، فانّهم غير ملومين، لأنّ اللّه تعالى أباح لهم الأزواج و الملك اليمين فلا ملامة عليهم و انمّا يلامون على غير الأزواج و ما ملكت أيمانهم فلا يجب عليهم أن يحفظوا فروجهم من الأزواج و ما ملكت أيمانهم من الإماء.

نعم (**فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ**) و طلب وراء الأزواج و الإماء فأولئك هم العادون، الّذين تعدُّوا حدود اللّه و خرجوا عمّا أباحه اللّه لهم فالإبتغاء الطَّلب.

الخامس: ممّا إستثناه اللّه تعالىٰ قوله:

وَ ٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ

فهذه الآية أيضاً مرَّ الكلام فيها في سورة **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** و قد فصَّلنا الكلام فيها هناك و قلنا أنّ حفظ الأمانة و مراعاة العهد و الميثاق من الواجبات و نقلنا الأخبار الواردة في الباب فلا وجه للإعادة في المقام.

السّادس: ممّا إستثناه اللّه تعالىٰ قوله:

وَ ٱلَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ

فأنّ أداء الشّهادة من الإيمان و كتمانها من النّفاق فمن كتم الشّهادة ولم يقم فهو منافق و هو أيضاً ممّا مضى الكلام فيه مراراً.

السّابع: قوله:

وَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلٰى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ

و قد مضىٰ الكلام فيه أيضاً وحفظ الصّلاة حفظ مواقيتها و ما يجب على المصّلي مراعاته من حضور القلب، و قصد القربة و إباحة المكان و اللّباس و غيرها ممّا هو مذكورٌ في كتب الفقه ثمّ بعد ذلك قال تعالىٰ:

أُولٰئِكَ فِي جَنّاتٍ مُكْرَمُونَ

أي معظّمون بما يفعل اللّه بهم من الثّواب و الإكرام و هو الإعظام على الإحسان.

فَمالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ

قِبَلَكَ بكسر القاف و فتح الباء و اللاّم، والإهطاع الإسراع و(ما) إستفهامية و فيها التّهديد و الإنكار و المعنىٰ أيُّ شئٍ لهؤلاء الكفّار الجاحدين للتّوحيد و النّبوّة قبلك، أي نحوك أو إليك مسرعين و قيل معناه منطلقين.

و قال قتادة عامدين و جميع ذلك بمعنى الإسراع و قال الزّجاج المهطع المقبل ببصره على الشّئ لا يزايله، قيل انّما أنكر اللّه عليهم الإسراع لأنّهم كانوا يسرعون إليه ليأخذوا الحديث منه ثمّ يتفرّقون بالتّكذيب عليه اسرعوا اليه لطلب عيبٍ له و قيل معناه فما للّذين كفروا مسرعين في نيل الجنّة مع الإقامة على الكفر، و هكذا قال في التّبيان.

و قال بعض المفسّرين معناه ما بالهم مسرعين إليك مادِّين اعناقهم مدمني النّظر إليك و ذلك من نظر العدُّو و كيف كان لا شكّ أنّ الآية نزّلت في المنافقين المستهزئين لرسول اللّه كانوا يحضرون إليه و لا يؤمنون به.

عَنِ ٱلْيَمِينِ وَ عَنِ ٱلشِّمالِ عِزِينَ

أي أنّهم كانوا يحضرونه و يجلبون عن يمينه و شماله.

و قال إبن عبّاس عن اليمين و الشّمال معرضين يستهزؤن و معنى **عِزِينَ** بكسر العين جماعات في تفرقة نحو الكراريس واحدهم (عِزة) و أصل (**عِزة**) **عَزوة** مِن **عز ١٥، يَعزُوه**، إذا أضافه إلىٰ غيره قال الشّاعر:

تـــرانـــا عـــنده واللّـــيل داجٍ عـــلىٰ أبـــوابـــه حـلقاً عـزينا

أي متفرّقين وقال:

فَـــلَّما أن أتَـــينَ عـــلىٰ أضـاجٍ فَـرَحنَ حَـصاه أشـتاتاً عِـزَيناه

و المعنىٰ واضح، و قيل كلّ واحدةٍ من هذه الجماعة مضافة إلى الأخرىٰ و قد ذكر بعض المفسّرين حديثاً في الباب عن رسول اللّه ﷺ و هو أنّه خرج على أصحابه فرأهم حلقاً فقال ﷺ: **مالي أراكم عِزين ألاّ تَصّفُون كما تصّف الملائكة عند ربّها الحَديث**، ذكره القُرطبي في تفسيره واللّه أعلم.

أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ، كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ

اكثر القرّاء علىٰ ضمّ الياء في (يُطمع) على ما لا يسمّ فاعله و الباقي علىٰ فتحها و الإستفهام للإنكار أي ليس كذلك و معنى الآية أيطمع كلّ إمرئٍ، من الكفّار المنكرين للتّوحيد و النّبوّة و المعاد **أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ** يوم القيامة قيل كان المشركون يجتمعون حول النّبي ﷺ و يستمعون كلامه فيكذّبونه و يكذّبون عليه و يستهزؤن أصحابه و يقولون لئن دخل هؤلاء الجنّة لدخلناهم قبلهم و لئن أعطوا منها شيئاً لنعطينّ أكثر منه فنزلت الآية و قيل كان المستهزؤن خمسة رهط فقال تعالىٰ: **كَلَّآ** لا يدخلونها ثمّ إبتدأ فقال: **إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ** أي يعلمون أنّهم خلقوا من نطفة ثمّ من علقةٍ ثمّ من مضغةٍ كغيرهم من أفراد الإنسان فليس لهم فضلٌ ليستوحون به الجنّة و قيل معناه أنّما خلقت من قذر يابن أدم فإتّق اللّه هذا ما قالوه في قوله: **إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ**.

و قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية و قوله: **إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ** النُّطفة فأنّ الإنسان مخلُوق منها و الكلام مرتبط بما بعده و المجموع معللٌ للرَّدع و محصّل الكلام التّعليل إنّا خلقناهم من النُّطفة و هم يعلمون فلنا أن نذهب بهم و نخلق مكانهم قوماً أخرين يكونون خيراً منهم مؤمنين غير رادّين لشئٍ من دين اللّه ولسنا بمسبوقين حتّى يعجزنا هٰؤلاء الكفّار و يسبقونا فندخلهم الجنَّة و ينتقص به ما قدَّرنا أن لا يدخل الجنّة كافر إنتهىٰ كلامه.

أقُول والّذي يختلج بالبال في معنى الكلام هو أنّ الكفّار كانوا يفتخرون على المؤمنين بأنسابهم و أبائهم و كانوا يقولون نحن أحقّ بدخول الجنّة من هؤلاء الفقراء حول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كان هؤلاء من أهل الجنّة فنحن أولى بها منهم فقال تعالى في جوابهم، كلاّ، أي ليس كذلك أي الكفّار لا يدخلونها أبداً ثمّ علَّل ذلك بقوله: **إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ** أي أنّ الكفّار يعلمون أنّه لا مزّية لهم على غيرهم لأنّ الجميع خلقوا من نطفة و علقة و مضغة فلا فخر لأحدهم على غيره فكيف يقولون نحن أولى بدخولها منهم و بعبارةٍ أخرىٰ لا يدخل الجنّة أحد بالنَّسب و أنّما يدخلها الإنسان بالعمل الصّالح بعد الإيمان باللّه و رسوله فكيف يقول الكافر ذلك و هو باقٍ على كفره و مات عليه هذا ما إستفدناه من الآية واللّه أعلم.

فَلآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشٰارِقِ وَ ٱلْمَغٰارِبِ إِنّا لَقٰادِرُونَ، عَلىٰٓ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ

(لا) صلة أي أقسم بربّ المشارق و المغارب، أتىٰ بصيغة الجمع لأنّ للشّمس في كلّ يومٍ من أيّام السَّنة مشرقاً و مغرباً لا يعود إليها إلى مثل اليوم من السّنة القابلة و لذلك قال إبن عبّاس الشّمس لها ثلاث مائة و ستُّون مطلعاً و مغرباً كلّ يوم لها مطّلع لا تعود إليه و لأجل ذلك ترىٰ الأيّام و اللّيالي متفاوته طولاً و قصراً في أيّام السَّنة و إحتمل بعض المفسّرين أن يكون المراد مشارق النّجوم و مغاربها جميعاً.

إِنَّا لَقَادِرُونَ، عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ أي أقسم بربّ المشارق و المغارب إنّا لقادرون على إهلاك الكفّار وإيجاد قوم خيراً منهم و بعبارةٍ أخرى إنّا لقادرون على تبديل الكفّار بقومٍ مؤمنين مطيعين **وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** أي لا يفوتنا شئ و لا يعجزنا أمرٌ نريده، و ذلك لأنّ خلق الثّاني ليس بأصعب من خلق الأوّل.

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتّٰىٰ يُلٰاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ

أي أتركهم يا محمّد يخوضوا في غيّهم و ضلالهم و كفرهم و يلعبوا في دنياهم فأنّ أيّام الدّنيا قصيرة حتّىٰ يلاقوا يومهم الّذي يوعدون، و هو يوم القيامة و قد وعدهم اللّه بسبب أنبيائه و هو اليوم الّذي لا ينفع لهم مالٌ و لا ينون إلاّ من أتى اللّه بقلبٍ سليمٍ.

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدٰاثِ سِرٰاعًا كَأَنَّهُمْ إِلىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ

فسّر اللّه تعالىٰ ذلك اليوم الموعود بيوم البعث فقال يوم يخرجون هٰؤلاء الكفّار من الأجداث، أي من القبور، فأنّ الجدث القبر واحدها، جدث، و قوله: **سِرٰاعًا** أي مسرِعين فهو منصوب على الحال (كأنّهم) أي كأنّ هٰؤلاء الكفّار **إِلىٰ نُصُبٍ** أي أعلامٍ يسبقون، شبّههم اللّه تعالىٰ في إسراعهم من قبورهم إلى أرض المحشر بمن نصب له علم أو صنم يستبقون إليه و الإيفاض الإسراع قيل النُّصب نصب الصَّنم الّذي كانوا يعبدونه و قيل إسم الصَّنم نصب و جمعه نصب مثل رهن و رُهن، و قيل نَصب و نُصب بمعنىٰ واحد مثل، عَمر و عُمر و عُمُر.

قال الحسن كانوا يتبدرون إذا طلعت الشّمس إلىٰ نصبهم الّتى كانوا يعبدونها من دون اللّه و قوله يوفضون، أي يسرعون كما قال الشّاعر:

فوارس ذبيان تحت الحد ... يد كالجنّ يوفضن من عبقرٍ

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ

أي يخرجون من القبور (خاشعةً أبصارهم) أي ذليلةٍ خاشعة لا يرفعونها لما يتوّقعونه من عذاب اللّه **تَرهقَهم ذِلّة** أي يغشاهم الهوان و هو سواد الوجه و الرَّهق الغشيان و منه علامٌ مراهق إذا غشي الإحتلام ذلك، هو اليوم الّذي كانوا في الدُّنيا يوعدون به و كانوا مُنكرين مستهزئين به.

■

سورة نوح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى
لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَ
أَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ
لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى
لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾
وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ
فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا
﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا
﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾
يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم
بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ
أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَ
قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ

سَبْعَ سَمٰوٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَ جَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ جَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَ ٱللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَ ٱللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ ٱتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سُوَاعًا وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ لَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيٰٓـٔاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَ قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَ لَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

◄ اللّغة

أَنْذِرْ: الإنذار التّخويف من عذاب اللّه.

وَ ٱسْتَغْشَوْا: الإستغشاء طلب الغَشى.

ثِيَابَهُمْ: هو جمع ثوب أي اللّباس.

جِهَارًا: أي إعلاناً.

مِدْرَارًا: أي كثيرة الدُّرر بالغيث والمَطر.

طِبَاقًا: أي طبقة فوق طبقة.

سُبُلًا: بضمّتين جمع سبيل و هو الطّريق.

فِجَاجًا: الفجاج جمع، فجٍّ، و هى الطَّريقة المتّبعة المتفرّقة طرقاً مختلفة، والفجّ المسلك بين جبلين.

مَكْرًا: فالمكر الفتل بالحيلة الخفيّة إلىٰ خلاف الجهة الموافقة بما فيها مِن المضرّة.

كُبَّارًا: بضمّ الكاف و تشدّيد الباء الكبير.

لَا تَذَرُنَّ: أي لا تتركوا.

وَدًّا وَ لَا سُوَاعًا: هما صنمان لهم كانوا يعبدونهما.

يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْرًا: أصنامٌ لهم.

دَيَّارًا: هو فيعال من الدّوران أي لا تذر منهم على الأرض أحداً يدور فيها بالذّهاب والمجيء.

فَاجِرًا كَفَّارًا: الفاجر الفاسق، و الكفّار مبالغة في الكفر.

◄ الإعراب

أَنْ أَنْذِرْ أن بمعنىٰ، أي، و قيل مصدرية نَبَاتًا إسم للمصدر فَيقع، مَوقع، نبات لِتَسْلُكُوا مِنْهَا منها يجوز أن يتعلّق بتسلكوا و يجوز أن يكون حالاً وَدًّا بالضمّ و الفتح لغتان و أمّا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ فلا ينصرفان لوزن الفعل والتّصريف و قد صرّفهما قوم على أنّهما نكرتان مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ما زائدة أي من اجل خطاياهم، أغرقوا دَيَّارًا نصب على المفعوليّة و أصله ديوار لأنّه من دار يدور.

◄ التّفسير

إِنَّآ أَرْسَلْنا نُوحًا إِلىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ

نوح عليه السلام أوّل نبيّ بعد جدّه إدريس و كان إسمه عبد الغفّار و انّما سمّي نوحاً لكثرة نواحه و بكاءه مدّة خمس مائة سنة خوفاً من اللّه تعالىٰ ثمّ تحسره على ضلال أمّته و هو أوّل الأنبياء الخمسة أولى‌العزم المبعوثين إلى الجنّ و الإنس و الأربعة بعد نوح، إبراهيم، موسىٰ، عيسىٰ و محمّد صلى الله عليه وآله وسلم سيّدهم و أفضلهم و كان نبّي اللّه نوح جسيماً عَظيم القدر و المشهور أنّه عاش (٢٥٠٠ سنة) فأنّه لمّا بعث إلى قومه كان عمره ثمان مائة و خمسين سنة و أقام في قومه يدعوهم إلىٰ اللّه تسع مائة سنة كما قال عزّ وجَّل في كتابه: **فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلّا خَمْسِينَ عامًا**[1] و أقام مشتغلاً بعمل له (٢٠٠) سنة و عاش بعد هلاك قومه بالطُّوفان (٥٠٠) سنة و ذلك تَمّا (٢٥٠٠) سنة و قيل كان عمره أقلّ من ذلك و قد مضى الكلام في قصّه نوح مفّصلاً فيما مضىٰ والّذي نشير إليه في المقام هو أنَّه لمّا بعث إلىٰ قومه أخذ يدعوهم إلىٰ اللّه ليله و نهاره و يعظّمهم و يحذِّرهم العذاب سّراً و جهاراً كما أخبر اللّه تعالى في كتابه حيث قال: **قالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِي** و سيأتي الكلام فيها.

فقوله تعالىٰ: **إِنَّآ أَرْسَلْنا نُوحًا إِلىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ** أي أَنذُرهُم عن عذاب قبل نزوله و المراد به الطُّوفان.

قالَ يا قَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أي ظاهر: **أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللّٰهَ وَ ٱتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ**

أمرهم نوح بمعرفة اللّه و عبادته أوّلاً فقال: **أَنِ ٱعْبُدُوا** و أتركوا الأصنام و الأوثان، ثمّ أمرهم بالتّقوىٰ ثانياً.

١- العنكبوت = ١٤

و التَّقوىٰ فعل الواجبات و ترك المحرّمات تقرّباً إلى اللّه تعالىٰ و من المعلوم أنّ التّقوىٰ بعد الإقرار و الإعتقاد بالتّوحيد.

ثالِثاً: أمرهم بأن يطيعوه فقال: **أَطِيعُونِ** أي أطيعوني حذفت الياء و بقيت الكسرة للدّلالة عليه و إنّما قال أطيعون و لم يقل و أطيعوا اللّه لأنّ إطاعته إطاعته و عصيته معصيته.

ثانياً: نقول، إطاعة اللّه بدون إطاعة الرّسول غير ممكن بل هي من المحالات و ذلك لأنّ العبد لا يعلم كيفيّة الطّاعَة إلاّ بإرشاد النّبي إيّاه فلو لم يطع النّبي كيف تحصل له الطّاعة و هو واضح لا خفاء فيه.

بل الحقّ أنّ الأنبياء بعثوا لتعليم الطّاعة و إرشاد الخلق إليها.

يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللّٰهِ إِذا جٰاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

جزم، يغفر، بجواب الأمر و هو، إعبدوا اللّه و أتّقوه أي أعبدوا اللّه و أتّقوه **يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ**.

قيل: (من زائدة) و قال بعض المفسّرين ليست بزائدة بل هي للتّبعيض أي يغفر لكم بعض ذنوبكم و هو ما لا يتعلّق بحقوق النّاس و قيل المعنى يخرجكم من ذنوبكم، و قيل المعنى يغفر لَكُم مِن ذُنُوبكُم ما أستغفرتموه **وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى** قال إبن عبّاس أي ينسىء في أعماركم و معناه أنّ اللّه تعالىٰ كان قضى أنّهم إن آمنوا بارك في أعمارهم و إن لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب.

قال مقاتل يؤخركم إلى منتهى آجالكم في عافيةٍ فلا يعاقبكم بالقحط و غيره و على هذا فالمعنى يؤخّركم عن العقوبات و الشّدائد إلىٰ آجالكم.

أقول ما ذكروه في معنى الآية لا بَأس به والّذي يختلج بالبال واللّه أعلم أنّ الأجل على قسمين، مسمّىٰ، و غير مسمّىٰ، فالمسمّىٰ هو الأجل الّذي ثبت

في اللّوح المحفوظ فلا تقديم فيه و لا تأخير كما إذا قدّر اللّه لزيد مثلاً أجلاً معيناً و هو سبعون سنة فإذا جاء أجله مات و قد يعبّر عنه بالأجل الحتمي الّذي.

قال اللّه تعالىٰ: **فَإِذا جٰآءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ**[١].

قال اللّه تعالىٰ: **ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دٰآبَّةٍ وَ لٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى**[٢].

و أمثال ذلك من الآيات كثيرة و هذا ممّا لا خلاف فيه.

أمّا غير المسمّىٰ فهو الأجل المشروط و ان شئت قلت هو الأجل المعلّق على الشَّرط و من الواضح أنّ المشروط لا يوجّد إلاّ بعد وجود شرطه و هذا كما ورد في الأخبار أنّ صلة الأرحام تزيّد في العمر و قتل الإبن أباه ينقص من عمره و هكذا الظُّلم الفاحش و القسم باللّه كذباً و معنىٰ ذلك أنّ اللّه تعالىٰ قدّر مثلاً عمر زيد سبعين سنة مشروطاً بأن لا يكون قاتلاً لأبيه أو قاطعا لصلة أرحامه فلو قتل أبيه أو قطع صلة الأرحام ينقص من عمره من السبعين و هذا هو الأجل المتعلّق إذا عرفت هذا فنقول قوله تعالىٰ: **وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى** معناه إن تؤمنوا باللّه و رسوله و تتركوا عبادة الأصنام و الأوثان يؤخّركم اللّه إلى أجلٍ مسمّىٰ و هو الّذي ثبت في اللّوح المحفوظ و كانت أعمارهم طوالاً و أمّا في صورة البقاء على الكفر والطُّغيان فيقطع اللّه أعماركم بنزول العذاب عليكم قبل حلول الأجل المسمّىٰ فلا يبقى منكم أحد و هذا كما نرىٰ أنّ اللّه أهلكهم بالطُّوفان فلم يبق منهم علىٰ الأرض ديّاراً فيظهر من الآية أنّ العذاب كان بسبب أعمالهم و من المعلوم الأجل المحتوم أو المعلّق المشروط لا تأخير فيه هذا ما خطر ببالي واللّه أعلم بما قال.

قٰالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهٰارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعٰآءِيَ إِلّٰا فِرٰارًا

١- الاعراف = ٣٤ ٢- النّحل = ٦١

لمّا أمر اللّه نوح النّبي بإنذار قومه قبل نزول العذاب على ما مرَّ بيانه.

قال أي قال نوح (رَبِّ) أي ربّي **إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهارًا** بالتّوحيد و ترك عبادة الأصنام و لم آل جهداً في ذلك و لكنّ القوم لم يقبلوا قولي بل لم يزدهم دعوتي إلى الحقّ إلاّ الفرار منه أي أصَّروا على كفرهم و عنادهم أكثر ممّا كانوا عليه قبل الدَّعوة.

فأن قُلت كيف يعقل أن تكون الدَّعوَة إلى الحقّ سبباً و علَّة للفرار منه و الإعراض عَنه.

قُلت هذا أمرٌ واضح معقول لا ينكره العقل السَّليم لأنَّ تأثير العلَّة في المعلول مشروطٌ بأن يكون المعلول قابلاً مستعدّاً للتّأثّر و أن لا يكون هناك مانع من التَّأثير و قد يعبّر عن هذه القاعدة بوجود المقتضى في العلّة و عدم المانع من التَّأثّر فى المعلول و هذه قاعدة عقليّة لا خلاف فيها عند العقلاء، كما قيل بالفارسيّة:

بر سيه دل چه سود خواندن وعظ　　نـــرود مـيخ آهـنين در سَـنگ

و قال الآخر:

بارانى كه در لطافت طبعش خلاف نيست

در لاله زار، لاله روید و در شوره‌زار خس

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ هٰذَا ٱلْقُرْاٰنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**[1].

قال اللّه تعالىٰ: **ذٰلِكَ ٱلْكِتٰابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**[2] و أمثال ذلك من الآيات كثيرة.

وَ إِنِّي كُلَّمٰا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصٰابِعَهُمْ فِيٓ اٰذٰانِهِمْ وَ ٱسْتَغْشَوْا ثِيٰابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ ٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبٰارًا

١- الاسراء = ٩　　٢- البقرة = ٢

حكى اللّه تعالىٰ عن نوحٌ.

أنَّه قال: **وَ إِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ** أي دعوت قومي **لِتَغْفِرَ لَهُمْ** أي دعوتهم بترك الأصنام و عبادة اللّه لم يقبلوا منّي بل جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا كلامي و دعائي **وَ اسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ** أي طلبوا ما يستترون به من الثّياب و يختصّون به لئلاّ يرون نوح النّبي، و قيل معناه كانوا يسدُّون آذانهم و يغطون وجوههم لئلا يسمعوا كلامه، فالإستغشاء طلب الغشي فلّما طلبوا التّغشي بثيابهم فراراً من الدّاعي لهم كانوا قد إستغشّوا.

و قال إبن عبّاس إستغشوا ثيابهم، أي غطوا بها وجوههم لئلا يروه و جعلوا أثوابهم على رؤسهم لئلاّ يسمعوا كلامه، فإستغشاء الثّياب زيادة في سدَّ الآذان حتّى لا يسمعوا أو لتنكيرهم أنفسهم حتّى يسكت، أو ليعرّفوه إعراضهم عنه و هو كناية عن عداوتهم و بغضهم و خبث طينتهم في قبول الحقّ كما يقال، لبس لي فلان ثياب العداوة **وَ أَصَرُّوا** على كفرهم و إلحادهم **وَ اسْتَكْبَرُوا** عن قبول الحقّ **اسْتِكْبَارًا** أي إستكبروا نوحاً من الإستكبار الّذي كان مختصّاً بهم، و ذلك لأنَّه لم يعرف من غيرهم من الكُّفار هذا النّوع من الإنكار و هو جعل الأصابع في الآذان و الإستغشاء بالثّياب لئلا يسمعوا كلام الدّاعي و على هذا فكانوا من أخبث الكفّار و أشدّهم عداوةً للحقّ و لأجل ذلك أهلكهم اللّه بالطُّوفان و لم يبق منهم غير من تمسّك بنوح النّبي و ركب سفينته النَّجاة و هم قليلون و قد جعل اللّه تعالى لكُّل نبّي في الأعصار و القرون سفينة النَّجاة لو كانوا يعلمون و هى متابعة النَّبي قَولاً و فعلاً و حيّاً و ميّتاً:

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجىٰ و من تخلّف عنها غرق.

أو هلك أي غرق في بحر الضّلالة و هلك في وادي العوامة و الشَّقاوة في الدُّنيا و الآخرة و ذلك هو الخسران المبين.

وأعلم أنّ في الآية إشارة إلىٰ نقطةٍ أخرىٰ و هى أنّ وجود المانع من تأثير العلّة في المعلول والّذي أشرنا إليه في القاعدة العقليّة تارةً يكون خارجاً عن قدرة العبد و ذلك إذا منعه مانعٌ من الخارج عن إستماع الكلام مثل أن يكون الإنسان محبوساً بأمر الحاكم الظّالم أو ممنوعاً عن ملاقاة النّبي و إستماع كلامه من قبل الظَّلمة ففي أمثال هذه الموارد لا ذنب للعبد بل الذّنب على الّذي منعه.

و تارةً أخرىٰ يكون المانع من العبد نفسه و هذا كقوم نوح فانّ جعل الأصابع في الأذان و إستغشاء الثّياب كان تحت إختيارهم لئلاّ سيمحوا كلام الحقّ و لذلك توجّه الذمّ عليهم لأنّهم بسوء سريرتهم أوجدوا المانع.

و ملخصّ الكلام هو الفرق بين إيجاد المانع و وجوده كيف اتّفق و الى هذا اشاروا بقولهم الامتناع بالاختيار لا ينافى الاختيار فافهم ان كنت اهلاً له فافَّة دقيقٌ.

ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهٰارًا، ثُمَّ إِنِّىَ أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرٰارًا

اى انّى لم امتنع بدعوتهم مرة واحدة فى مكانٍ خاصّ بل دعوتهم جهاراً اى اعلاناً ثمّ انى اعلنت لهم اى اظهرت الدعاءِ لهم الى عبادتک تارةً و اسررت اى اخفيت لهم الدّعاء الى مثل ذالک كرةً اخرى و محصّل الكلام انّى لم آل جهداً فى دعوتهم بتوحيد سرّاً و علانية.

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كٰانَ غَفّٰارًا

اى فقولت لقومى استغفروا اى اطلبوا المغفرة من ربّكم من ذنوبكم الاتى ذنبتموها قبل ذالك من عبادة الاصنام و انواع الظّلم **إِنَّهُ** اى ربّكم **كٰانَ غَفّٰارًا** للذّنب بعد التّوبة والغفّار مبالغة فى المغفرة اى انّه يغفر الذّنوب جميعاً فانّ الاسلام يجب ما قبله و المراد بلاستغفار ترک الكفر و الايمان باللّه و متابعة الرّسول فيما يدعُوهم اليه.

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا

اى كثيرة الدرور بالغيث والمَطَر.

و قال بعض المفسّرين انّهم كانوا قحطوا واجدبوا و هلكت اولادهم و مواشيهم فلذالك رغّبهم نوح النبّى فى ترک ذالك بالرّجوع الى اللّه والدرور تجلب الشّيى حالاً بعد حال على الاتّصال و المطر الكثير الدّرور مدراراً و قيل **مِدْرَارًا** ذاغيث كثير قال الشاعر:

اذا كان السماء بارض قوم رعيناه و ان كانوا غضابا

والّذى يخطر بالبال فى الاّ يتلق انّ الآية الاولى للاخرة و الثّانية للدّنيا فى دعاء نوح النبّى اى ان تتوبوا الى اللّه يغفر اللّه لكم فى الاخرة و يرسل السّماء عليكم مدراراً فى الدّنيا بنزول البركات السّماوية و من كان كذالك فقد جمع بين الدّنيا و الآخرة و ذالک هو الفوز العَظيم.

وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّٰاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهٰارًا

و **الواو** للعطف فهذه الآية معطُوفة على ماقبلها، اى ان تستغفروا ربّكم و تؤمنوا به **يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِينَ** فالامداد الحاق الثّانى بالاوّل و هو عبارة عن النصرة بعد النصرة على النّظام حالاً بعد حال، و البنون جمع ابن و هو الذّكر من الولد و المعنى انّ اللّه تعالى يغنيكم و يزيدكم فى المال و الاولاد و انّما خصّ المال و الولد بالذكربين النعّم لانّهما الاصل فى النّعم و لذالك:

قال الله تعالى: **اَلْمالُ وَ اَلْبَنُونَ زِينَةُ اَلْحَيٰوةِ اَلدُّنْيٰا**[1].

وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّٰاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهٰارًا امّا انّ اللّه تعالى يَجعَل لَهُم جنّات و انهار ففى معناه احتمالان:

احدّهما: ان يكون المراد بالجنّات معناها اللغوّى و هو البستان و بالانهار انهار الماء و على هذا فهو من نعم الدُّنيا.

١- الكهف = ٤٦

الثانی: ان یکون المراد بالجنّات الآخرة و بالانهار المیاه الجاریة فیها کما:

قال اللّه تعالی: **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ**.

و المعنی الثّانی احسن لانّ الاحتمال الاوّل داخل تحت قوله: **بِأَمْوَالٍ** بخلاف الثانی و الجمع هما امکن اولی من الطّرح و فضل اللّه لیس له حدٌّ واللّه اعلم و الیه ای الجمع اشار الشاعر حیث قال:

وآخر فاز بکلتیهما قد جَمع الدُّنیا مع الآخرة

مٰا لَكُمْ لٰا تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰارًا، وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوٰارًا

لما بیّن نوح النبیّ لهم ما یترتّب علی الایمان فی الدنّیا و الآخرة قال لهم علی وجه التبکیت **مٰا لَكُمْ** ای ایُّ شیّی لکم معاشر الکفار **لٰا تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰارًا** ای عظمة و قیل الرّجاء فی المقام بمعنی الخوف ای مالکم لاتخافون للّه عظمة و قدرة علی احدکم بالعقوبة و قیل معناه مالکم لاترجون للّه ثواباً و لا تخافون له عقاباً.

أقول قال في لسان العرب الوقار الحلم والرَّزانة و قال في المجمع الوقار کسحاب الحِلم و الرَّزانة و السَّکینة و السُّکون و هو مصدر، و قرء بالضمّ، و التّوقیر التّعظیم و فیه السَّکینة و الوقار و قوله تعالیٰ: **مٰا لَكُمْ لٰا تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰارًا** أي مالکم لا تخافون للّه عظمة من وقر بالضمّ أي عظم إنتهیٰ.

و علی هذا فقوله: **لٰا تَرْجُونَ** معناه لا تخافون و هو أحَد الإحتمالات في معنی الآیة و علیه أکثر المفسّرین.

قال بعض المفسّرین ممَّن عاصرناه في تفسیره لهذه الآیة ما هذا لفظه و الحقّ أنّ المراد بالرّجاء معناه المعروف و هو ما یقابل الخوف و نفیه کنایة عن الیأس فکثیراً ما یکنّی به عنه یقال لا أرجوا فیه خیراً أی أنا آیسٌ من أن یکون فیه خیر، والوقار الثّبوت و الإستقرار و التَّمکّن و هو الأصل في معناه کما صرَّح به في المجمع و وقاره تعالی ثبوته و إستقراره في الربوبیّة المستتبع لألوهیّته و

معبوديّته كأنّ الوثنيّين طلبوا ربّاً له وقار في الرُّبوبية يعبدوه فيئسوا منه تعالىٰ فعبدوا غيره و هو كذلك فانّهم يرون أنّه تعالىٰ لا يُحيط به أفهامنا فلا سبيل للتوجّه العبادي إليه و العبادة أداءٌ لحقّ الرُّبوبيّة الّتى يتفرّع عليها تدبير الأمور و تدبير أمور العالم مفوَّضٌ إلىٰ أصناف الملائكة و الجنّ فهم أربابنا الّذين يجب علينا عبادتهم ليكونوا شفعاء لنا عند اللّه و أمّا هو تعالىٰ فليس له الإيجاد، إيجاد الأرباب و بربوبيّتهم جميعاً دون التّدبير.

و ساق الكلام إلىٰ أن قال و محصّل الحجّة ما الّذي دعاكم إلى نفي ربوبيّته تعالىٰ المستتبع للألوهيّة واليأس عن وقاره و أنتم تعلمون أنّ اللّه تعالى خلقكم و خلق العالم الّذي تعيشون فيه طوراً من الخلق لا ينفك من هذا النّظام الجاري فيه إنتهى ما أردنا نقله عنه.

و هو أعلم بما قال فانّي بعد التّأمل في كلامه لم يظهر لي ما ناسب معنى الآية ولسنا فعلاً بصدد التّعرض للنّقض و الإبرام في كلمات المفسّرين فانّهم بذّلوا جهدهم بقدر الإستطاعة و نحن أيضاً نذكر لك ما خطر ببالنا في معنى الآية و نجعلك قاضياً بين الأقوال فنقول.

لمّا هدَّد نوح النّبي قومه بالعذاب إن لم يؤمنوا باللّه بترك عبادة الأوثان و بقاءهم على الكفر طلبوا منه العذاب الموعود مرّةً بعد مرّةٍ و استعجلوا به و قالوا له فأتت بما تعدنا إن كنت من الصّادقين قال لهم **مٰا لَكُمْ لاٰ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰارًا**، و الوقار الحلم والرَّزانة والسَّكينة والجامع بينهما التّأني في الأمور و عدم التَّعجيل فيها و على هذا فمعنى الآية ما بالكم أو أيُّ شيءٍ لكم تستعجلون بالعذاب من اللّه و لا ترجون للّه وقاراً في أفعاله فأنّ الأمور مرهونة بأوقاتها واللّه تعالى أعلم بما يفعل في وقته من المصلحة و لعلَّ المصلحة إقتضت تأخير العذاب كما هو كذلك في قصّة نوح و قومه فانّه تعالى بعد إجابته دعوة نوح أمهلهم مدّة كثيرة فنزّل عليه جبرئيل و قال له انّ اللّه قد أجاب دعوتك فقل لشيعتك المؤمنين أن يغرسوا نوىٰ التّمر حتّىٰ إذ أثمر إن شئت فرجت

عنكم فشكر نوح ربّه و حمده و عرّف شيعته بما أمروا به فإستبشروا بذلك و غرسوا النّوىٰ و الكفّار يمرُّون بهم فيسخرون منهم، ثمّ أنّه لمّا بلغ النّخل و أثمر أتوا نوحاً و سألوه أن ينجز لهم الوعد بالعذاب فناجى ربّه فأوحى إليه أن يأمر قومه أن يغرسوا النّوىٰ ثانية و بعد أن يثمر فرج عنهم فلمّا بلّغهم نوح ذلك إرتدّ ثلث أصحابه عن دينه و رجعوا إلىٰ كفرهم ظنّاً منهم أنّ نوحاً قد أخلف وعده، و غرس الباقون النّوىٰ حتّىٰ إذا أثمر أتوا نوحاً و طالبوه بالوعد فناجىٰ نُوح ربّه في ذلك وعاد إليه الوحي مرّةً أخرىٰ في جوابه بأن يأمر قومه بغرس النّوىٰ ثالثة و أنّما يكون بتنجيز الوعد لهم بالفرج بعد حصول الثّمر بالثّالثة و لمّا بلّغهم نوح ذلك إرتدّ أيضاً من شيعته ثلثٌ أخر إلىٰ الكفر و لم يبق منهم إلاّ المصفّى النّقى الخالص منهم و هو الثُّلث الأخير فغرسوا النّوى و لمّا أدرك النّخل و أثمر أقبل إليه المؤمنون الخلّص الباقون من أصحابه وقالوا له يا نبيّاللّه نحن لا نشكّ في أنّك صادق مرسل فعلت ما وعدت و لم تفعل فاسأل ربّك بتنجيز الوعد فأنّه لم يبق منّا إلاّ القليل فتوجّه نوح الىٰ ربّه و ناجاه فقال ياربّ لم يبق من أصحابي إلاّ هذه العاصبة و انّي أخاف عليهم الهلاك إن تأخّر الفرج عنهم فعند ذلك أجابه اللّه في دعوته فأوحى إليه أنّ الآن أسَّفر الصُّبح عن اللّيل حتّى صرح الحقّ عن محضه و صفي الكدر بإرتداد من كان خبيثاً و أنّي كنت أعلم جعف يقين الّذين إرتدّوا بسوء سرائرهم و انّي لو كنت أنزلت العذاب على كفّار قومك و أهلكتهم منذ أوّل مرّةٍ و أبقيت هؤلاء المرتدّين كما كنت صدقت وعدي السّابق للمؤمنين المخلصين في التّوحيد من قومك المعتصمين بحبل نبوّتك فانّي وعدتهم أن أستخلصهم خاصّة في الأرض و أمكّن لهم دينهم و أبدل خوفهم بالأمن ثمّ أمر اللّه نوحاً حينئذٍ بعمل السَّفينة و أعلم اللّه قومه فلبثوا أربعين سنة لا يولد لهم فأصابهم في تلك المدّة قحطٌ شديدٌ و هم لا يزدادون إلاّ كفراً و عناداً إلىٰ أن تعلّقت المشيّئة القاهرة بإنزال العذاب عليهم.

إذا عرفت هذا التّأني من اللّه تعالىٰ في إنزال العذاب عليهم فاعلم أنّ اللّه تعالىٰ لا يستعجل بالعذاب على عباده إلاّ بعد إمهالهم مدّةً لا يعلمها إلاّ اللّه و ذلك لإتمام الحجّة عليهم و لا نَعني بالوقار إلاّ هذا و عند ذلك قال نوح لقومه الّذين كانوا يستعجلون بالعذاب **مٰا لَكُمْ لاٰ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰارًا** أي مالكم تحملون تأخير العذاب على كذبي بما وعدتكم من نزول العذاب و لا تحملونه علىٰ وقار اللّه و حلمه و أنّه أمهلكم بتأخير العذاب عنكم لعلّكم ترشدون إلىٰ الحقّ ألا ترون أنّه خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام مع أنّه كان قادراً علىٰ خلقها في لحظةٍ واحدة ثمّ إستدلّ نوح النّبي علىٰ إثبات الوقار للّه تعالىٰ بقوله: **وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوٰارًا** أي طوراً بعد طورٍ والأطور إنتقال الأحوال حالاً بعد حالٍ و قيل معناه صبيّاً ثمّ شابّاً ثمّ شيخاً و قيل نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة، مع أنّ اللّه كان قادراً على خلق البشر دفعةً واحدة بغير الأحوال من حالٍ إلىٰ حالٍ كما خلق أدم و عيسى إبن مريم فإذا كان الوقار والتّأني في الخلق و الإيجاد مطلوباً معقولاً فكيف لا يكون كذلك في إنزال العذاب علىٰ خلقه الّذي خلقه.

و محصّل الكلام في الأيتين أنّ اللّه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد على أساس المصلحة الّتى لا يعلمها إلاّ هو و هو دليل علىٰ حكمته و عنايته و لطفه لا على عجزه و ضعفه هذا ما خطر ببالي في تفسير الآية و لا أحكم ببطلان ما ذكره المفسّرُون في تفسيرها فأقض ما أنت قاض واللّه تعالىٰ أعلم بالصّواب ثمّ قال تعالىٰ:

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللّٰهُ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِبٰاقًا

الخطاب في هذه الآية بعدها لجميع المكلّفين و الإستفهام للإنكار أي أنّكم ترون كيف خلق اللّه سبع سمواتٍ طباقاً، أي طبقة فوق طبقة و منزّلةٌ فوق منزّلة، و نصب (**طِبٰاقًا**) على أنّه نعتٌ لقوله: **سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ** و قيل تقديره (و جعلهنّ طباقاً) و قد مضىٰ الكلام في هذا المعنىٰ.

وَ جَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ جَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرٰاجًا

الواو للعطف، أي ألم تروا كيف **جَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ** أي في السّموات **نُورًا وَ جَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرٰاجًا** أي مصباحاً لأهل الأرض في الآية دلالة علىٰ أنّ نور القمر و جعل الشّمس سراجاً، كلاهما مجعولان من اللّه تعالىٰ لا من قبل ذاتهما و هو كذلك و أنّما قال في القمر نوراً، و في الشّمس سراجاً، لأنّ نور القمر من الشّمس فالشّمس بمنزلة السّراج و المصباح الّذي هو مركز النُّور و الأقمار و الكواكب المضيئة نروها منشعبة من نور السّراج فهي أي الأقمار حول الشّمس بمنزلة الشُّموع حول السّراج و الحاصل أنّ الأصل فيها هو الشّمس.

وَ ٱللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ نَبٰاتًا

الإنبات إخراج النّبات من الأرض حالاً بعد حالٍ و النّبات هو الخارج بالنّمو حالاً بعد حالٍ، والمعنى أنّ اللّه تعالىٰ مخرجكم من الأرض كما أخرج النّبات منها و فيه إشارة إلىٰ أنّ البشر مخلوقٌ من الأرض و هو كذلك لقوله تعالىٰ:

مِنْهٰا خَلَقْنٰاكُمْ وَ فِيهٰا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهٰا نُخْرِجُكُمْ تٰارَةً أُخْرىٰ[1].

و أنّما سمّي أدم به لأنّه خُلق من أديم الأرض و قد مضىٰ الكلام فيه في سورة البقرة و غيرها، و قوله: **نَبٰاتًا** يفيد النّوعية أي أنبتكم من الأرض نوعاً خاصّاً مختصّاً بكم و ذلك لأنّ الإنسان يتغذّى في معيشته ممّا ينبت من الأرض من أنواع النّبات مثل الحنطة والشّعير و الأرز و أنواع الفواكه و يصير ذلك في بدنه نطفة ثمّ تصير علقة ثمّ تصير العلقة مضغة ثمّ تصير المضغة إنساناً فتبارك اللّه أحسن الخالقين فالإنسان ينبت من الأرض في الحقيقة بعد طيّ المراحل بخلاف النّباتات إذ لا مرحلة فيها و لذلك قال تعالىٰ: **وَ ٱللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ نَبٰاتًا**.

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهٰا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرٰاجًا

١- طه = ٥٥

أي ثمّ يعيدكم في الأرض بعد الموت فأنّ الأبدان بعد الموت تدفن في الأرض ثمّ يخرجكم يوم البعث أي يحيكم بعد الموت بإخراج أجسادكم من القبور إخراجاً خاصّاً مختصّاً بكم كما قال تعالى في الإنبات فقوله إخراجاً أيضاً يفيد النّوعية فأنّ إخراج الأبدان من القبور ليس مثل إخراج النّباتات من الأرض كما أنّ إنباته غير إنبات النّباتات و ذلك لأنّ خروج الإنسان من القبر في زمانٍ معيّن لا يعلمه إلاّ اللّه و ليس خروج النّبات كذلك.

ثانياً: أنّ خروج الإنسان من القبر لأجل الحساب والجزاء من الثّواب و العقاب و ليس خروج النّبات كذلك فتحصّل من الأيتين أنّ إنبات الإنسان و إخراجه من الأرض نوعٌ خاصّ و هو المطلوب.

وَ ٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا

أي أنّ اللّه تعالىٰ جعل لكم الأرض مبسوطة حتّىٰ يمكنكم المشي عليها و الإستقرار فيها لتسلكوا منها، أي من الأرض **سُبُلًا فِجَاجًا** فالسُّبل جمع سبيل و الفجاج جمع فجّ، و هى الطّريقة المتّسعة المتفرّقة و قيل طرقاً مختلفة، و قيل، الفجّ المسلك بين الجبلين، و قد منَّ اللّه تعالىٰ بهذه الضُّروب من النِّعم على خلقه تنبيهاً لهم على إستحقاقه المعبوديّة و أنّه عالمٌ بمصالح خلقه و مدبّرٌ لهم على ما تقتضيه الحكمة فيجب أن يشكروه على هذه النِّعم فانّ شكر المنعم واجب عقلاً يقابلونها بالكفر و الجحود و أن لا يشركوا به شيئاً لو كانوا يعلمون.

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ ٱتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَ وَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا

لمّا بالغ نوح النّبي في إرشاداته و دعاهم إلىٰ التّوحيد سرّاً و جهاراً و لم يؤمنوا به كما عرفت صار مأيوساً منهم فقال: **رَبِّ إِنَّهُمْ** أي القوم (عَصَوني) أي خالفوني و أذوني و إستهزؤا بي و اتّبعوا من لم يزده ماله و ولده، و هو

الأصنام و الأوثان **إِلَّا خَسَارًا** أي خسراناً و ضرراً في الدّارين كما هو مقتضىٰ عبادة الأوثان و الشّرك باللّه فأنّ نتيجة ذلك ليست إلاّ الخسران في الدُّنيا و الأخرة.

وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا

فالمكر الفتل بالحيلة الخفيّة إلىٰ خلاف الحجّة و الجهة الموافقة بما فيها من المضَّرة والكبّار الكبير و المعنى أنّهم مكروا مكراً عظيماً.

و قال المبّرد الكبّار بالتشدّيد المبالغة قيل كان مكرهم تحريصهم سفلتهم على قتل نُوح، و قيل هو تعزيرهم النّاس بما أوتوا من الدُّنيا والولد حتّى قالت الضَّعفة لولا أنّهم علىٰ الحقّ لما أوتوا هذه النِّعم.

و قال الكلبي هو ما جعلوه للّه من الصّاحبة والولد، و قيل مكرهم كفرهم و الإحتمالات كثيرة والكلّ محتمل واللّه أعلم.

وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ اٰلِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سُوٰاعًا وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْرًا

و قالوا، أي هؤلاء الكفّار بعضهم لبعضٍ **لَا تَذَرُنَّ اٰلِهَتَكُمْ** أي لا تتركوا عبادة أصنامكم **وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سُوٰاعًا** هما صنمان كانوا يعبدونهما فكانت **وُدّ** بضمّ الواو و تشدّيد الدّال صنمٌ لكلب و **سُواع** بضمّ السّين صنمٌ لهمدان و **يَغُوث** بضمّ الغين المعجمة، لمذهج، و **يَعُوق** بضمّ العين المهملة لكنانة و **نَسراً** لحمير علىٰ قول قتادة.

قال إبن عبّاس هي أصنام و صور كان قوم نُوح يعبدونها ثمّ عبدتها العرب و هذا قول الجمهور و قيل أنّها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت أكبر أصنامهم و أعظمها عندهم فلذلك خصُّوها بالذّكر بعد قوله تعالىٰ: **لَا تَذَرُنَّ اٰلِهَتَكُمْ** و يكون معنىٰ الكلام كما قال قوم نوح لأتباعهم **لَا تَذَرُنَّ اٰلِهَتَكُمْ** فأنّ العَرب قالت لأولادهم و قومهم لا تَذَرُنَّ وَدًّا و لا سواعاً و لا يغوث و لا يعوق نَسراً.

أقول نقل القُرطبي في تفسيره لهذه الآية بعد ذكر ما نَقلناه من عُروة بن الزّبير و غيره إشتكى آدم عليه السّلام و عنده بنوه، ودّ، و سواع و يغوث، و يعوق و نسر و كان (وُدّ) أكبرهم و أبرّهم به و عن محمّد بن كعب كان لأدم عليه السلام خمس بنين، وُدّ، و سواع، و يغوث، و يعوق، و نسرٌ و كانوا عبّاداً فمات واحد منهم فحزنوا عليه فقال الشّيطان أنا أصوّر لكم مثله إذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا إفعل فصوّره في المسجد من صغرٍ و رصاصٍ ثمّ مات آخر فصوَّره حتىٰ ماتوا كلّهم فصَّورهم الى أن تركوا عبادة اللّه بعد حينٍ فقال لهم الشّيطان مالكم لا تعبدون شيئاً قالوا ما نعبدُ قال آلهتكم وآلهة آباءكم ألا ترون في مصلّاكم فعبدوها من دون اللّه حتّى بعث اللّه نوحاً فقالوا: **لَا تَذَرُنَّ اٰلِهَتَكُمْ** ثمّ أطال الكلام في هذا المعنىٰ و الإنصاف أنّ ما ذكره لا يعتمد عليه فانّها فالقصص و الأساطير أشبه أن شئت الوقوف عليه فعليك بكتابه.

و الحقّ في المقام ما ذكره أهل البيت عليهم السّلام.

فعن كتاب علل الشّرائع بأسناده الىٰ جعفر بن محمّد عليه السلام في قول اللّه عزّ وجلّ: وَ قٰالُوا لَا تَذَرُنَّ اٰلِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سُوٰاعًا وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْرًا قال عليه السلام: كانوا يعبدون اللّه عزّ وجلّ فماتوا فضجّ قومهم فشقّ ذلك عليهم فجاءهم إبليس لعنه اللّه فقال لهم أتّخذ لكم أصناماً علىٰ مثالهم فكانوا يعبدون اللّه عزّ و جلّ و ينظرون الىٰ تلك الأصنام فلمّا جاءهم الشّتاء و الأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون اللّه عزّ وجلّ حتّىٰ هلك ذلك القرن و نشأ أولادهم فقالوا أنّ آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء فعبدوهم مِن دون اللّه عزّ وجلّ فذلك قول اللّه تعالىٰ: وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سُوٰاعًا إنتهىٰ.

وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ لَا تَزِدِ ٱلظّٰالِمِينَ إِلَّا ضَلٰالًا

يقول نوح النّبي **وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا** أي خلقاً كثيراً أي أضلّ كبراؤهم كثيراً من أتباعهم و علىٰ هذا فهو عطف علىٰ قوله: **وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا**[١] و قيل أنّ الأصنام أضّلوا كثيراً، أي ضلّ بسببها كثير فأجرىٰ عليهم وصف ما يعقل و قيل أنّما جعل الأصنام بالواو لما أسنَد اليها ما يسند الىٰ العالم من إستحقاق العبادة.

و قوله: **وَ لَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا** أي و لا تزد الظّالمين إلاّ عذاباً سمّي العذاب كقوله تعالىٰ: **إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَ سُعُرٍ**[٢].

قال صاحب الكشّاف قوله: **وَ لَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا** معطوف على قوله: **رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي** فعلىٰ هذا التّاء في قوله: **وَ لَا تَزِدِ** لِلخطاب و المخاطب هو اللّه تعالىٰ و هو دُعاء علىٰ قومه يقول نُوح في مقام الدُّعاء عليهم **لَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا** أي عذاباً و الجمهور أخذوا بهذا القول الحقّ:

مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَنْصَارًا

ما صلة مؤكّدة و تقدير الكلام من خطاياهم أو من خطيئاتهم **أُغْرِقُوا** بالطّوفان علىٰ وجه العُقوبة **فَأُدْخِلُوا** بعد ذلك **نَارًا** أي نار جهنّم ليعاقبوا فيها **فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ** أي لأنفسهم **مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَنْصَارًا** من الأصنام الّتى عبدوها في الدُّنيا.

وَ قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا

قيل ما دعا نوح عليهم بهذا الدُّعاء إلاّ بعد ما تَبَّين له أنّ قومه لا يؤمنون و ذلك بعد ما أنزل اللّه تعالىٰ عليه **أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ**[٣] فلمّا أنزل اللّه عليه ذلك دعا عليهم بما دعا و قال: **رَبِّ** أي ربّي لا تذر أي لا تترك

١- نوح = ٢٢
٢- القَمر = ٤٧
٣- هود = ٣٦

من هؤلاء القوم علىٰ الأرض ديّاراً، و **الّديار** بفتح الدّال فيعال من الدَّوران أي لا تذر منهم من يدور علىٰ الأرض بالذّهاب و المجئ، و **الديّار** أصله، ديوار (فيعال) فقلبت **الواو** و أدغمت أحداهما في الأخرىٰ.

إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبٰادَكَ وَ لٰا يَلِدُوٓا إِلَّا فٰاجِرًا كَفَّارًا

إستدلّ نُوح علىٰ إثبات دعاءه بقوله: **إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ** أي تتركهم و لا تهلكهم **يُضِلُّوا عِبٰادَكَ** عن طريق الحقّ بالإغواء والدُّعاء الىٰ خلافه **وَ لٰا يَلِدُوٓا إِلَّا فٰاجِرًا كَفَّارًا** الفاجر من فجر الفجور و هى الكبيرة الّتى يستحقّ بها الذّم والكفّار من أكثر من فعل الكفر لانّه مبالغة و كافر يحتمل القليل و الكثير.

رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَ لِوٰالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنٰاتِ وَ لٰا تَزِدِ ٱلظّٰالِمِينَ إِلَّا تَبٰارًا

التّبار الهلاك دعا نوح النّبي لبعضٍ و دعا علىٰ بعضٍ آخر فقال فيمن دعا له **رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَ لِوٰالِدَيَّ** و هما أبوه و أمّه **وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا** قيل المراد بالبيت مسجده و مصّلاه مؤمناً أي مصدّقا باللّه، و قيل أراد سفينته.

و من المعلوم أنّ ذلك على وجه الإنقطاع اليه تعالى لأنّ النّبي لا يفعل معصية يستحقّ بها العقاب و أمّا والداه و المؤمنون و المؤمنات فلا يبعد أن يكون بينهم عصاة محتاجة الىٰ الإستغفار **وَ لٰا تَزِدِ ٱلظّٰالِمِينَ إِلَّا تَبٰارًا** فهذا مِمّن دَعا عليه فأنّ الظّالم يستحقّ بذلك قال تعالىٰ: (ألا لَعنة اللّه علىٰ الظّالمين) هذا تمام الكلام في سُورة نُوح و لا يخفىٰ علىٰ المتدّبر فيها ما فيها من المواعظ.

■

سُورَةُ ٱلْجِنِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا
إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ
فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ
جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ
كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا
ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا
ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا
ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا
﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن
يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا
نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ
رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ
ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن
نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَ

أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِۦ فَلَا
يَخَافُ بَخْسًا وَ لَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَ أَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ
وَ مِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا
رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَ أَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا
﴿١٥﴾ وَ أَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم
مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ
ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَ أَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَ أَنَّهُۥ
لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ
لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا رَبِّى وَ لَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ
أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا
﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ
مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَ
رِسَٰلَٰتِهِۦ وَ مَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا
يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَ أَقَلُّ
عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ
يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ
عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ
فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا
﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ
بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

◄ اللُّغة

جَدُّ رَبِّنَا: يقال فلان جدٌ في قومه إذا عظم فيهم و قيل الجدّ الحَّظ.
شَطَطًا: الشّطط الظُّلم و الخروج عن الحقّ.
يَعُوذُونَ: العياذ الإعتصام.
رَهَقًا: أي إثماً و طغياناً.
شُهُبًا: شهب بضمّتين جمع شهاب و هو نور يمتدّ من السَّماء من النَّجم.
بَخْسًا: البخس النَّقص (رَقعاً) أي ظلماً.
غَدَقًا: أي كثيراً و الغدق بفتح الدّال المصدر و بكسرها إسم الفاعل.
لِنَفْتِنَهُمْ: أي لنختبرهم فالإفتنان الإختبار.
صَعَدًا: أي متصدِّعاً في العظم.
مُلْتَحَدًا: أي ملتجأً إليه.
أَمَدًا: الأمد الغاية.

◄ الإعراب

شَطَطًا نعت لمصدر محذوف أي قولاً شططاً و كذلك كَذِبًا أي قولاً كذباً رَصَدًا أي مرصداً أو ذا إرصادٍ أَشَرٌّ فاعل فعل محذوف أي أريد شرّ و هَرَبًا مصدر في موضع الحال لِبَدًا بكسر اللاّم جمع لبدة و يقرأ بضمّ اللاّم و فتح الباء و هو نعت للمبالغة.

◄ التّفسير

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْاٰنًا عَجَبًا

قلنا فيما مضى مراراً أنّ الإيحاء إلقاء المعنى إلى النَّفس خفيّاً كالإلهام و إنزال الملائكة لخفائه على النّاس إلاّ على النَّبي الّذي أنزل اليه و المراد به

هاهنا انزال الملك به عليه ثمّ بيَّن اللّه تعالىٰ ما أوحى إلى رسوله فقال: **أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ** و الإستماع طلب الصَّوت بالإصغاء إليه إذا عرفت هذا فنقول.

روي الطَّبري في تفسيره عن إبن عبّاس أنَّه قال ما قرأ رسول اللّه على الجنّ و لا رآهم، إنطلق رسول اللّه ﷺ في نفرٍ من أصحابه عامدين إلىٰ سوق عكاظ قال و قد حيل بين الشياطّين و بين خبر السَّماء و أرسلت عليهم الشّهب فرجعت الشّياطين إلىٰ قومهم فقالوا مالكم حيل بيننا و بين السَّماء و أرسلت علينا الشُّهب فقالوا ما حال بينكم و بين خبر السَّماء إلاّ شئٌ حدث قال فأنطلقوا فأضربوا مشارق الأرض و مغاربها فأنظروا ما هذا الّذي حدث قال فأنطلقوا يضربون الأرض مشارقها و مغاربها يتتبعون ما هذا الّذي حال بينهم و بين خبر السَّماء قال فأنطلق النَّفر الّذين توجَّهوا نحو تهامة إلى رسول اللّه ﷺ بنخلةٍ و هو عامدٌ الىٰ سوق عكاظ و هو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر قال: فلمّا سمعوا القرآن إستمعوا له فقالوا هذا واللّه الّذي حال بينكم و بين خبر السَّماء قال فهنالك حين رجعوا الىٰ قومهم فقالوا يا قومنا إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشد فآمنّا به و لن نشرك بربنا أحداً قال: فأنزل اللّه علىٰ نبيّه ﷺ: **قُل أوحي الّي أنَّه إستمع نفر مِن الجنّ** و إنّما أوحي إليه قول الجنّ إنتهىٰ ما ذكره الطَّبري.

ثمّ أنّ الجنّ بكسر الجيم و تشدّيد النُّون جيلٌ رقاق الأجسام خفيَّة علىٰ صور مخصوصة الملائكة و النّاس و هو مخلوق من النّار أي زاد الجنّ الإنس و حقّاً، أي خطيئةً و اثماً فأنّ الإثم في كلام العرب كما قال الأعشمي:

لا شى ينفعنى من دون رؤيتها هل يشتفى وامقٌ مالم يصب رهقاً

و المقصود من الآية أنّ التعُّوذ ينبغي أن يكون باللّه الّذي خلق الجنّ لأنّ الإنس زادوا الجنّ طغياناً و كفراً بهذا التَّعوذ حتّىٰ قالت الجنّ سدنا الإنس و الجنّ و لا خفاء انّ الإستعاذة بالجنّ دون الإستعاذة باللّه كفرٌ و شركٌ واللّه أعلم.

يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا

هذه الآية حكاية عن قول الجنّ و ذلك انّهم لمّا استمعوا القرآن قالو **يَهْدِيٓ** اى هذا القرآن يهدى النّاس الى مافيه الرّشاد الى الحقّ **فَـَٔامَنَّا بِهِۦ** اى بالقرآن و انّه كلام اللّه **وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا** اى لانتّخذ له شريكاً فى العبادة فلانعبد غيره ابداً.

وَ أَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَ لَا وَلَدًا

و المعنى انّ اللّه تعالى يعلوا شانه و يعلم قدره يقال جدّ خلاف فى قوله اذا عظم فيهم و من المعلوم انّ العظمة للّه تعالى و حده و ماسواه حقّه فى جنب عظمته **مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَ لَا وَلَدًا** ما، نافية اى ليست له تعالى **صَٰحِبَةً وَ لَا وَلَدًا** لانّ اتّخاذ الصّاحبة من شئون الجسم و هكذا الولد واللّه تعالى منزّه عن شوائب الامكان و قد قر الكلام فى الباب و سيأتى البحث فيه مفصّلاً فى سورة التّوحيد.

وَ أَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا

من كسر الهمرة استانف و من فتحهما عطف على قوله: **وَ أَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا** قيل ارادوا بقولهم: **سَفِيهُنَا** ابليس لانّه كان من الجنّ والشطط السّرف فى ظلم النّفس و الخروج عن الحق و فى قولهم هذا اعتراف منهم بانّ ابليس كان يخرج عن الحلة بما يرى به الخلق و يدعوهم الى الظّلال و قيل المراد بقولهم: **سَفِيهُنَا** هو المشركون من الجنّ.

قال قتّادة عصى اللّه سفير الجنّ كما عصاه سفير الانس والشطط الغلّو فى الكفر و قيل هو الجور الحاصل انّ الجنّ الّذين استمعوا القرآن اقروا بالتّوحيد بعد استعماعهم القرآن و حكموا بانّ القول باتّخاذ الولد والصاحبة و غير ذالک ممّا لايليق بشأنه تعالى من السّفهاء والحمقاء و هذا القدر يكفى فى اثبات ايمانهم ثمّ قالوا:

وَ أَنَّا ظَنَنَّآ أَنْ لَنْ تَقُولَ ٱلْإِنْسُ وَ ٱلْجِنُّ عَلَى ٱللّٰهِ كَذِبًا

فيه اخبار باعترافهم بانّهم ظنّوا ان لا يقول **ٱلْإِنْسُ وَ ٱلْجِنُّ عَلَى ٱللّٰهِ كَذِبًا** و كلمة **لن** لنفى الابد اى ظننّا ان لن تقول ذالك ابداً و ذالك لانّ الكذب على اللّه من اقبح القبائح و اكبر الكبائر و لمّا ظننّا ذالك فى حقّهم صدّقناهم ى قولهم انّ اللّه صاحبة و ولداً و يظهر من هذا الكلام انّهم اعنى القائلين بهذا القول كانو قبل استماعهم القرآن من المشركين القائلين بانّ اللّه تعالى صاحبة و ولد فلمّا سمعوا كلام اللّه و آمنوا به اعتذروا عن كفرهم السّابق بانّا ظنّنا عدم الكذب على اللّه فى حقّهم و لذالك صدّقناهم و كفرنا باللّه و قرأ يعقوب و احجدرى و ابن اسحاق «أَنْ لَنْ تَقُولَ» والمعنى واحد قيل انقطع الاخبار عن الجنّ قناهم و على هذا.

وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا

هو اخبار من اللّه تعالى عن نفسه دون الحكاية عن الجنّ فالعوذ الاعتصام و منه قوله «اعُوذ باللّه» اى اعتصم به و معنى الآية انّ رجالاً من النس كانوا يقتصمون برجال من الجنّ.

قال قتادة و مجهد كان الرّجل من العرب اذا نزَل الوادى فى سفره قال اعوذ بعزيز هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه و معنى **يَعُوذُونَ** يستجيرون.

قال مقاتل اوّل من كان تعوذ بالجنّ قوم من اهل اليمن ثمّ من بني حنيفة ثمّ مشا دالك فى العرب فلمّا جاء الاسلام عاذوا باللّه و تركوهم و قال ابن ابى السّابت خرجتُ مع ابى الى المدينة اوّل ما ذكر النّبى صلى الله عليه وآله وسلم فاونا المبيت الى راعى غنم فلمّا انتصف الليّل جاء الئب فحمل حملاً من الغنم فقال الرّاعى يا عامر الوادى اذا جارک فنادای منادٍ يا سرجان ارسله فاتى الحمل يشدّ و انزَل اللّه الى رسوله بمكة **وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلْإِنْسِ** و معنى فزادوهم اى زاد الجنّ الانس رهقاً اى خطيئتهً و اثماً فانّ الرّهق الاثم فى كلام العرب كما قال الاعشى:

لاشيى ينفعنى من دون رؤيتها هل يشتفى وامقٌ مالم‌نصيب رهقاً

و المقصود من الآية انّ التعوذ ينبقى ان يكون باللّه الّذى خلق الجنّ و ذالك لانّ الانس زادوا الجنّ طغياً و كفراً بهذا التّعوذ حتى قالت الجنّ شدنا الانس و الجنّ و لا خفاء انّ الاستعاذة بالجنّ دون الاستعاذة باللّه كفرٌ و شرک و اللّه اعلم.

وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا

حكى اللّه تعالىٰ عَن الجنّ و قال: **أَنَّهُمْ** أي الجنّ **ظَنُّوا** و حسبوا **كَمَا ظَنَنْتُمْ** معاشر النّاس (**أن لن يبعث اللّه يوم القيامة للحساب والجزاء علىٰ الأعمال أحداً، فأنكروا البَّعث كما أنكرتموه**) و يظهر من هذه الآية أنّ الجنّ منهم كافرٌ و منهم مؤمنٌ باللّه و هو دليل علىٰ أنّهم مكلّفون والرّسُول مبعوث إليهم كما أنّه مبعوث إلينا و هذا من عقائد المسلمين و يدلّ عليه الإجماع و الكتاب و السُّنة و العقل.

وَ أَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهُبًا

حكى اللّه عنهم أي عن الجنّ أنّهم قالُوا: **وَ أَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ** للمسّ المسّ باليد أي إنّا مسسنا السَّماء بأيدينا أي طلبنا الصُّعود إلى السّماء فعبّر عن ذلك باللمسّ مجازاً، و قيل إنّا طلبنا خَبرها كما جرت عادتنا به **فَوَجَدْنَاهَا** أي وجدنا السّماء **مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا** أي حفظةً من الملائكة الموكّلين عليها و الحرس جمع حارس، الحافظ و انّما قالوا ذلك لأنّهم كانوا قبل ذلك يطلبون خبر السَّماء من غير مانع يمنعهم منه.

قوله: **شَدِيدًا وَ شُهُبًا** منصوب على التّمييز فقوله: **شَدِيدًا** نعتٌ للحرس **وَ شُهُبًا** عطف علىٰ **حَرَسًا** والتّقدير وجدنا السَّماء (فَمُلِئَت مِن الحَرَس و الشُّهُب) المتّصفين بالبأس والشدّة والشُّهُب، بضمّ الشّين و الهاء جمع شهاب و

هو نور يمتدّ من السّماء من النّجم هكذا و قيل هو إنفضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السّمع كالنّار:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَقَدْ زَيَّنَّا اَلسَّمَآءَ اَلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ**(١).

وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ اَلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا

ثمّ حكى اللّه عنهم أنّهم قالوا **وَ أَنَّا كُنَّا** في سالف الزّمان **نَقْعُدُ مِنْهَا** أي من السّماء **مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ** و المقاعد مواضع القعود لإستماع الخبر أي كنّا نقعد مواضع يقعد في مثلها لإستماع الأخبار من السّماء و الآن منعنا عن ذلك فكأنّهم تعجّبوا من هذا المنع و لذلك قالوا: **فَمَنْ يَسْتَمِعِ اَلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا** أي لا يقدر على الإستماع فعلاً فمن يستمع في هذا الزّمان يجد له، أي لإستماعه **شِهَابًا رَصَدًا** بدل الخبر و ذلك لأنّه يرمى بالشُّهُب أعني بها الكواكب المحرقة و محصّل كلامهم إنّا نقعد ألآن في المواضع الّتى كنّا نقعد فيها لإستماع خبر السّماء من قبل و لم نتجاوز عن الحَّد و مع ذلك منعنا عنه.

قيل لم يكن انفضاض الكواكب إلاّ بعد مبعث النّبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو آية من آياته و أختلف السّلف هل كانت الشّياطين تقذف قَبل المبعث أو كان ذلك أمراً حدث بعد مبعث النّبى.

فقال الكلبي قال قوم لم تكن تحرس السّماء في أيّام الفترة بين عيسىٰ عليه السلام و محمّد صلى الله عليه وآله وسلم خمس مائة عام و أنّما كان من أجل بعثة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا بعث محمّد صلى الله عليه وآله وسلم منعوا من السّموات كلّها و حرست السّموات بالملائكة و الشُّهُب.

فعن عبداللّه بن عمر أنّه قال لمّا كان اليوم الّذي بعث رسول اللّه منعت الشّياطين من إستماع أخبار السّماء و رموا بالشُّهُب.

١- الملک = ٥

و قال قوم لم تكن السّماء تحرس في الفترة فلمّا بعث رسول اللّه ﷺ حرست السّماء و رميت الشّياطين بالشُّهُب.

و قال نافع بن جبير كانت الشّياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلمّا بعث النّبي ﷺ رميت بالشُّهُب، و قال قوم كانوا من قبل يسترقون و يرمون في بعض الأحوال فلمّا بعث النّبي إشتدَّ المنع بدليل قوله: (مُلِئت) أي زيد في حرسها واللّه أعلم.

وَ أَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا

هذا أيضاً حكاية عن الجنّ و الواو للعطف و المعنىٰ **وَ أَنَّا لَا نَدْرِيٓ** أي لا نعلم **أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى ٱلْأَرْضِ** من الخَلق أي إهلاكاً لهم بكفرهم و عقوبة علىٰ معاصيهم **أَمْ أَرَادَ بِهِمْ** أي أراد اللّه بخَلقه **رَشَدًا** و إرشاداً إلىٰ الحقّ.

و قال إبن زيد، قال إبليس لا ندري هل أراد اللّه بهذا المنع أن ينزل علىٰ أهل الأرض عذاباً أو يرسل إليهم رسولاً، و قيل هو من قول الجنّ قبل أن يسمعوا القرأن من النّبي ﷺ أي لا ندري أشرّ أريد بمن في الأرض بإرسال محمّد ﷺ فأنّهم يكذّبونه و يهلكون بتكذيبه كما هلك من كذّب من الأمم، أم أراد اللّه بهم أن يؤمنوا به فيهتدوا، فالشّر والرُّشد على هذا الكفر و الإيمان و عليه كان عندهم علمٌ بمبعث النّبي ﷺ و لمّا سمعوا قراءته علموا أنّهم منعوا من السّماء حراسةً للوحي، و قيل هذا قول قالوهم لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين، أي لمّا امنوا اشفقوا ألا يؤمن كثير من أهل الأرض فقالوا أنّا لا ندري أيكفر أهل الأرض بما أمنّا به أم يؤمنون، و كيف كان فلا يخلو الأمر أي منعهم من خبر السّماء من الخير و الشّر و بعبارةٍ أخرىٰ الرّشد و الهداية أو العقاب و العذاب و الحصر عقليٌّ.

وَ أَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا

هذا أيضاً من قول الجنّ أي قال بعضهم لمّا دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم و انّا كنّا قبل إستماع القرأن منّا الصّالحون و منّا الكافرون، و قيل و منّا دون ذلك، أي من دون الصّالحين في الصّلاح.

و قال بعض المفسّرين انّ هذا الكلام حكاية عمّا قالته الجنّ للّذين أمنوا عند سماع القرأن قالوا: **وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ** و هم الّذين عملوا الصّالحات و سميّ صالحاً لأنّه عمل بما يصلح في دينه و أمّا المصلح فهو فاعل الصّلاح الّذي يقوم به أمراً من الأمور و لهذا وصف تعالى بأنّه مصلح و لم يجز وصفه بأنّه صالح و قوله: **وَ مِنَّا دُونَ ذٰلِكَ** أي دُون ذلك في الرُّتبة فانّ الصّلاح له مراتب.

و قوله: **كُنَّا طَرٰآئِقَ قِدَدًا** معناه كنّا قبل ذلك على مذاهب مختلفة، مسلم و كافر و صالح و دون صالح و الطّرائق جمع طريقة و هى الجهة المستمرّة مرتبةً بعد مرتبة و القدد جمع، قدّة و هى المستمرّة بالقد في جهة واحدة.

و قال السُّدي، أي فرقاً شتّى، و قال الضّحاك، أديانًا مختلفة، و قال قتادة أهواء متباينة و منه قول الشّاعر:

القابض الباسط الهادي بطاعته ... في فِتنة النّاس إذا هواؤهم قددُ

وَ أَنَّا ظَنَنَّآ أَنْ لَنْ نُعْجِزَ ٱللّٰهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا

قيل الظنّ هاهنا بمعنى العلم أي أنّا علمنا و فيه إعتراف منهم بأن علموا أنّ اللّه لا يفوت منه شئ يذهب في الأرض و لا إذا هَرب منه بسائر ضروب العرب، و المقصود انّا علمنا بالإستدلال و التفكُّر في آيات اللّه انّا في قبضته و سلطانه لن نفوته بهربٍ و لا غيره.

قال صاحب الكشّاف **فِى ٱلْأَرْضِ، و هَرَبًا** حالان أي لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنّا فيها، و لن نعجزه هاربين منه إلى السّماء، و قيل لن نعجزه في الأرض أن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً أن طلبنا.

أقول و قد جمع أميرالمؤمنين كلمات المفسّرين حول الآية في جملةٍ واحدةٍ و هى قوله عليه السلام: «ولا يُمكن الفرار من حكُومتك».

وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَ لَا رَهَقًا

هذا أيضاً إخبار عن الجنّ و انّهم قالوا: **وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ** و هُو القرأن من النّبى **ءَامَنَّا بِهِۦ** أي أمنّا بأنّه كلام اللّه والقارئ رسُوله أنّا أمنّا باللّه و رسوله **فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِۦ** الّذي خلقه و ربّاه في مراحل الحلقة من بدو النُّطفة إلى أخر المراحل **فَلَا يَخَافُ بَخْسًا** أي نقصاً **وَ لَا رَهَقًا** أي عدواناً، البخس في اللُّغة النُّقصان قال تعالىٰ: **وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ**[1] و معنىٰ عدم الخَوف من البخس أنّ العبد المؤمن بربّه الكريم لا يخاف ان ينقص من حسناته و لا أن يزاد في سيّئاته و أن شئت قلت لا يخاف ان ينقص من جزاءه و بعبارةٍ أخرى لا يخاف ظلماً و لا عدواناً، و ذلك لعلمه بعدل ربّه، و أنّه قائمٌ بالقسط قال تعالىٰ: **وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**[2].

وَ أَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا، وَ أَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا

هذه الآية أيضاً حكاية عن قول الجنّ فهي معطوفة علىٰ سابقتها قالوا: **وَ أَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ** كلمة، مِنْ، في المسلمين، و القاسطين للتّبعيض و المسلم المستسلم لأمر اللّه و المنقاد له و القاسط، الجائر عن طريق الحقّ و معنى الآية أنّهم قالوا منّا من أسلم و إنقاد لأمر اللّه و منّا من أعرض عن الحقّ و جار، أى بعضنا مسلمٌ و بعضنا جائر ظالمٌ لم يؤمن باللّه حقّ الإيمان ثمّ حكموا بأنّ القاسطين كانوا حطب جهنّم يوم القيامة و أمّا المسلمون فأولئك تحرّوا رشداً

١- يوسف = ٢٠ ٢- فصّلت = ٤٦

أي طلبوا الهدىٰ الى الحقّ فصاروا من الفائزين برحمة اللّه هذا تفسير ألفاظ الآية و يستفاد منها أنّ هذا الحكم الّذي حكموا به و حكى اللّه تعالىٰ عنهم حكمٌ ثابت في الجنّ و غيره أعني به الإنسان لإشتراكهم في التّكلّيف فإذا كان المسلم من الجنّ على طريق الحقّ و القاسط على الباطل و انّه حطب جهنّم فهو في الإنسان أيضاً كذلك لما ذكرناه من أنّه أي الحكم ثابت للمكّلف و التّكليف أمرٌ مشترك بين الجنّ و الإنس إذا عرفت هذه المقدّمة فنقول:

الإنسان أيضاً منه مسلمٌ و منه قاسطٌ و الحكم ثابت للقاسطين من أفراد الإنسان كائناً من كان و على هذا يحكم بأنّ أصحاب معاوية الّذين كانوا من القاسطين بصريح الأخبار و أجماع الأمّة حطب جهنّم اللّهم إلاّ أن يدَّعي الخصم أنّ القاسطين من الجنّ غير القاسطين من الإنس فالقاسط في الجِنّ جائر و أمّا القاسط في الإسلام عادلٌ على طريق الحقّ و لا يبعد من المعاند هذا الإدّعاء و القول بثبوتهم علىٰ فرض الصِّحة مثل القول بتوبة فرعون حين الغرق و الجواب الجواب فأفهم.

و أمّا القول بكونهم مجتهدين و المجتهد مصاب فهو يجري في القاسطين من الجنّ أيضاً فلا ذنب لهم و هو كما ترى.

وَ أَنْ لَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُمْ مَّآءً غَدَقًا

قيل المراد بالطّريقة الهدى بدليل قوله:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا ٱلتَّوْرِيَةَ وَ ٱلْإِنْجِيلَ وَ مَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**[1].

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرىٰ ءَامَنُوا وَ ٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَٰتٍ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ لَٰكِنْ كَذَّبُوا**[2].

١- المائدة = ٦٦ ٢- الأعراف = ٩٥

و قيل المعنى لو إستقاموا علىٰ طريقة الكفر بدليل قوله:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَوْلاَ أَنْ يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وٰاحِدَةً لَجَعَلْنٰا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ**[1].

ذكر هذين الوجهين في التّبيان و لم يقل أيُّهما أحسن و أقوى عنده و أنّما نقل القولين فحسب و قال صاحب الكشّاف، أن مخّففة من الثّقيلة و هو من جملة الموحى و المعنى، و أوحي إلَّي أنّ الشّأن و الحديث لو إستقام الجنّ على الطّريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجانّ على ما كان عليه من عبادة اللّه و الطّاعة و لم يستكبر عن السُّجود لأدم و لم يكفر و تبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم و لوسعنا رزقهم و ذكر الماء الغدق و هو الكثير بفتح الدّال و كسرها و قرئ بهما، لأنّه أصل المعاش وسعة الرِّزق إنتهىٰ كلامه.

والّذي يختلج بالبال في معنىٰ الآية هو أنّ المراد بالطَّريقة الطَّريقة المعهودة المذكورة في قوله تعالىٰ: **كُنَّا طَرٰآئِقَ قِدَدًا** و علىٰ هذا فاللاّم في الطَّريقة للعهد الذِّكري ليتقدّم ذكرها و حيث أنّ الطّرائق كانت للصّالحين بحسب مراتبهم فكانت مرضيّة كلّها لا بعضها فقط لما قلناه من مراتب الصّلاح إلاّ أنّهم إختلفوا بعد ذلك فمنهم من بقي على الصّلاح و منهم من لم يبق عليه فقال اللّه تعالىٰ: **لَوِ ٱسْتَقٰامُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ** أي طريق الحقّ كما كانوا عليه لأسقيناهم ماءً غدقاً أي كثيراً، و إختصاص الماء بالذِّكر من بين النِّعم لإحتياجهم إليه أكثر من غيره او لأنّه الأصل بالنّسبة إلى غيره لقوله تعالىٰ: **وَ مِنَ ٱلْمٰاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** هذا كلّه مضافاً إلىٰ أنّهم وقعوا في القحط بحبس المطر عنهم سبع سنين، فالمقصود من الآية أنّ حبس المطر عنهم كان لأجل أعمالهم و معاصيهم.

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذٰابًا صَعَدًا

١- الزُّخرف = ٣٣

اللاّم للتّعليل أي أنّما فعلنا بهم ما فعلنا من القحط و حبس المطر لنختبرهم فيه أي في القحط أو فيما فعلنا بهم و من يعرض عن ذكر ربّه و سلك مسلكاً غير الحقّ يسلكه عذاباً صعداً أي متصعداً في العظم أي ندخله عذاباً صعداً أي شاقّاً شديداً فأنّ الصّعد المشقّة، ثمّ أنّ قوله: **يَسْلُكْهُ** بالياء قراءة الكُوفّيين و عبّاس عن أبى‌عمرو و إختاره أبوعبيدة و أبوحاتم و قرأ الباقون، **نُسلكه بالنُّون** بضمّ النُّون و كسرها و هما لغتان ثمّ أنّ العذاب المذكُور في الآية عذاب الأخرة و أمّا العذاب في الدُّنيا فقد ذكره اللّه تعالىٰ في قوله: **وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**[1] أي صعباً.

وَ أَنَّ ٱلْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ ٱللّٰهِ أَحَدًا

عطف عند جميع المفسّرين علىٰ قوله: **أُوحِيَ** كأنّه قيل، أوحي إلَّي أنّ المساجد للّه، و المعنىٰ الأخبار منه تعالىٰ بأن لا يذكر مع اللّه في المساجد أحدٌ، و المراد بالمساجد المواضع الّتى وضعت للصّلاة و بقوله أحدٌ، أي علىٰ وجه الإشتراك في عبادته أي فلا تجعلوا في المساجد أحداً شريكاً للّه في عبادته لتكون عبادتكم خالصة للّه تعالىٰ قيل من السُّنة إذا دخل المصّلي المسجد ان يقول لا إله إلاّ اللّه لا أدعوا مع اللّه أحداً.

و عن الفّراء أنّه قال المراد بالمساجد مواضع السُّجود من الإنسان، الجبهة، و اليدان و الرِّجلان، و زاد أصحابنا عيني الرُّكبتين و المعنى لا ينبغي لأحد أن يسجد بهذه الأعضاء لأحد سوىٰ اللّه تعالىٰ قاله في التّبيان.

و نقل القرطبي في تفسيره لهذه الآية هذا القول عن سعيد بن المسيّب أنّهما قالا أراد بالمساجد الأعضاء الّتى يسجد عليها العبد و هى القدمان و الرّكبتان و اليدان و الوجه، فانّ هذه الأعضاء أنعم اللّه بها عليك فلا تسجد لغيره بها فتجحد نعمة اللّه.

١- طه = ١٢٤

و في الصّحيح عن إبن‌عبّاس عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال صلى الله عليه وآله وسلم: **أُمِرتُ أن أسجُد علىٰ سَبعة أعَظُم، الجبهة وأشار بيَده إلىٰ أنفه واليَدَين والرَّكبتين وأطراف القَدَمين** و من المعلوم انّ اضافه المسجد إلى اللّه إضافة تشريف و تكريم كما أضاف الرُّوح إلى نفسه و قال (مِن رُوحي) والبيت العتيق.

قال: **وطَهِّر بَيتى** إذ لا شكّ انّ اللّه تعالىٰ منزّهٌ من أن يكون له روحاً او بيتاً لتجرّده و تنّزهه عن المكان.

وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا

إتّفق المفسّرون على أنّ المراد بعبد اللّه هو محمّد صلى الله عليه وآله وسلم و يجوز الفتح في الألف أي أوحى اللّه إليه أنّه لمّا قام، و يجوز كسر الألف علىٰ الإستئناف و المعنى لمّا قام عبداللّه أعني به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ الصّلاة ليدعوا اللّه **كَادُوا** أي قربوا **يَكُونُونَ عَلَيْهِ** أي على محمّد **لِبَدًا** أي جماعات متكاتفات بعضها فوق بعض ليزيلوه عن دعوته بإخلاص الإلٰهيّة.

و قيل معناه يزدحمون عليه متراكمين تعجّباً ممّا رأوا من عبادته و إقتداء أصحابه به قائماً و راكعاً و ساجداً و إعجاباً ممّا تلىٰ من القرآن لأنّهم رأوا ما لم يروا مثله و سمعوا بما لم يسمعوا بنظيره.

و قيل لمّا قام رسولاً يعبد اللّه وحده مخالفاً للمشركين في عبادتهم الألهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه و تعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبداً جمع لبدة و هو ما تلبد بعضه علىٰ بعضٍ و منها لبدة الأسد.

قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا رَبِّى وَ لَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا

أي قل، يا محمّد أنّما أدعو ربّي أشرك به أحداً من الأصنام و الأوثان فأنّ العبادة ينبغي أن تكون خالصةً له تعالىٰ.

قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا

و المعنى أنّي لا أقدر على دفع الضّرر عنكم و لا أقدر علىٰ ايصال الخير إليكم و أنّما يَقدر علىٰ ذلك من هو علىٰ كلّ شيءٍ قدير و هو اللّه تعالىٰ شأنه، و يحتمل أن يكون المراد بالضّر الكُفر و بالرّشد الإيمان و المعنىٰ أنّي لا أقدر علىٰ رفع الكفر عنكم كما لا أقدر علىٰ إيصال الإيمان إليكم فأنّ الأمور بيد اللّه و أنا عبدٌ من عباده و فيه إشارة إلىٰ أنّ الرّسول يدعوا النّاس إلى اللّه لا إلى نفسه و يقول من اللّه لا من عند نفسه كما قال تعالىٰ:

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا

أي **قُلْ** لهم يا محمّد **إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ** أي لا يقدر على دفع العذاب عنّي أحد أن أراد اللّه عذابي أبداً و لن أجد **مِنْ دُونِهِ** أي من دون اللّه **مُلْتَحَدًا** أي ملتجأ ألجَأ إليه لينجيني من عذاب اللّه.

قيل أضافه إلىٰ نفسه و المراد أمَّته، لأنَّه لا يفعل قبيحاً فيخاف عقاب لمكان عصمته و المقصود أنَّه لا ملجأ للعبد إلاّ ربّه.

إِلَّا بَلَاغًا مِنَ ٱللَّهِ وَ رِسَالَاتِهِ وَ مَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

الإستثناء منقطع من قوله: **لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا** أي لا أملك لكم إلاّ بلاغاً، أي إلاّ أن أبلّغكم ما أرسلت به من اللّه و رسالاته و فيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: **مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ** و قوله: **وَ رِسَالَاتِهِ** أي رسالاته الّتى أمرني اللّه بتبليغها.

و قيل معناه إلاّ أن أبلغ عن اللّه و أعمل برسالته و الحاصل إنّي رسول ربّكم إليكم ذلك لايكون إلاّ بتبليغ الحكم و إداء الرّسالَة **وَ مَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُ** في التّوحيد و العبادة و متابعة الرّسول قولاً و فِعلاً.

فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا على وجه التّأبيد:

حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَ أَقَلُّ عَدَدًا

أي حتىٰ رآى الكُفار يوم القيامة **مَا يُوعَدُونَ** من عذاب اللّه **فَسَيَعْلَمُونَ** هٰولاء الكُفار أو العصاة للّه و رَسُولَه **مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَ أَقَلُّ عَدَدًا** الكفّار أم المؤمنون الّذين أطاعوا اللّه و رسوله.

و قيل أجند اللّه أم عبدة المشركون:

قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّيٓ أَمَدًا

إن نافية، أي قل لهم يا محمّد لست **أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ** يعني قيام السّاعة، و قيل عذاب الدُّنيا أم يجعل له أي لما توعدون **رَبِّيٓ أَمَدًا** أي غايةً وأجلاً و المقصود أنّ علم السّاعَة عند اللّه و ما أدري أقريبٌ هي أم بعيد، و هَل جَعَل له) أي لما توعدون إليه أجلاً أم لا فأنّه أي علم السّاعة من الغيب الّذي لا يعلمه إلاّ اللّه.

عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِٓ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا

الغيب مصدر غابت الشّمس و غيرها إذا إستترت عن العين و أستعمل في كلّ غائب عن الحاسّة و عمّا يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب و يقال للشّئ غيب و غائب باعتباره بالنّاس لا باللّه تعالىٰ فأنّه لا يغيب عنه شئ كما لا يعزب عنه مثقال ذرّةٍ لا في السّمٰوات و لا في الأرض و قوله: **عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ** أي عالمٌ بما يغيب عنكم تشهدونه إذا عرفت معنى الغيب فنقول **عَالِمُ ٱلْغَيْبِ** أي هو تعالىٰ عالم الغيب **فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِٓ أَحَدًا** أي فلا يطّلع على غيبه أحداً، من خلقه **إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ** أي إلاّ من اصطفىٰ و أختار لذلك من رسولٍ فأنّه يطّلعه علىٰ ما يشاء عنه ليكون ذلك دالاً على نبوّته.

فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا يعني ملائكة يحفظونه عن أن يقرب منه شيطان فيحفظه الوحي من إستراق الشّياطين و الإلقاء إلى الكهنة.

و قيل المراد من بقوله: **مِنْ رَسُولٍ** هو جبرئيل و على هذا فمعناه إذا نزّل الملك ما يوحي أرسل معه رصداً يحفظون الملك من أن يأتي أحد من الجنّ و يسمع الوحي، و نصب، رصداً على المفعول كأنّه قال يجعل رصداً يسلك بين يديه و من خلفه **لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ** أي ليظهر المعلوم من التّبليغ.

و قال قتادة معناه ليعلم محمّداً أنّ الرُّسل قبله قد أبلغوا رسالت ربّهم **وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ** أي أحاط علمه بما لديهم فيصير في معلومه بمنزّلة ما أحيط به **وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** أي أحاط بعدد كلّ شيءٍ هذا تفسير ألفاظ الأيات و فيها مباحث لا بأس بالإشارة اليها على نحو الإختصار:

الأوّل: أنّه تعالى عالم الغيب، فلوجوهٍ:

أحدها: أنّ ما غاب عن الحاسّة و هو الّذي يعبّر عنه بالغيب، ليس غيباً له تعالىٰ و انّما هو غيبٌ باعتبار بالنّاس فإذا لم يكن غيبا باعتباره الى اللّه فهو حاضرٌ عنده فهو عالمٌ به.

الثّانى: أنّ المسمّىٰ بالغيب شيءٍ موجود و كلّ شيءٍ معلول و مخلوق له تعالىٰ فلا يعقل أن لا يكون عالماً به.

الثّالث: أنّه تعالىٰ عالم بذاته بالضّرورة و ذاته علّة لما سواه و قد ثبت عقلاً أنّ العلم بالعلّة يستلزمٌ للعلم بالمعلول تفصيلاً لأنّ المعلول رشحٌ من رشحات العلّة فعلمه بذاته هو بعينه علمه بمعلولاته و هو المطلوب.

الرّابع: أنّ الجهل ضدّ العلم فإذا فرضنا عدم علمه بشيءٍ من الأشياء فهو جاهل به لعدم الواسطة بين العلم و الجهل، و الجهل نقصٌ و النّقص من لوازم الإمكان فلو كان جاهلاً فهو ممكنٌ و قد ثبت أنّه واجب الوجود.

الخامس: أنّ الصِّفة في الواجب عين الموصوف بمعنى أنّ العلم و القدرة و غيرهما عين ذاته المقدّسة فليس هناك ذاتٌ و علمٌ كما هو كذلك في المخلوق أو ذات و قدرة، بمعنى عروض الصّفة على الموصوف و على هذا فعلمه و قدرته و ذاته واحدة مصداقاً متغايرة مفهوماً و اعتباراً و إذا كان كذلك فعدم علمه بشيءٍ عدم علمه بذاته و هو غير معقولٌ و الدّلائل العقليّة في المقام كثيرة و لكن للبحث فيه مقام أخر.

و قد أشار اللّه تعالىٰ الى الجميع بقوله:

قال اللّه تعالى: **أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**[١].

قال اللّه تعالى: **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَ ٱلْاٰخِرُ وَ ٱلظّٰاهِرُ وَ ٱلْبٰاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**[٢].

قال اللّه تعالى: **وَ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحٰاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**[٣].

و الآيات كثيرة فهذا أي العلم بجميع الأشياء ظاهرها و باطنها و حاضرها و غائبها في حقّ اللّه تعالىٰ ممّا لا كلام فيه و لم ينكره أحدٌ ممّن أمن به فلا وجه لإطالة الكلام فيه.

البَحث الثّانى: في قوله تعالىٰ: **فَلٰا يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا، إِلّٰا مَنِ ٱرْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ**.

فقوله: **أَحَدًا** نكرة في سياق النّفي و هى تفيد العموم أي أنّ العلم بالغيب مختصٌّ به تعالىٰ لا غيره كائناً من كان، ثمّ إستثنىٰ من ذلك العموم من ارتضى من رسولٍ فقال: **إِلّٰا مَنِ ٱرْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ** فأنّ اللّه يظهره على غيبه ثمّ علّل ذلك بقوله: **فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا** أي أنّ الملائكة يحفظوا من أن يأتي أحد من الجنّ و يسمع الوحي و يطلّع على

١- البقرة = ٢٣١
٢- الحديد = ٣
٣- الطّلاق = ١٢

الغيب، ففي الآية دلالة على أنّ من إرتضاه اللّه لحفظ الغيب أعطاه منه بقدر لياقته و استعداده سواء كان المراد بالرّسول في الآية جبرئيل أو ملك أخر أمّ النّبي فأنّ الرّسول يطلق عليهما فاذا ثبت هذا في حقّ الرّسول ثبت في حقّ وصّيه أيضاً لعدم القول بالفصل ولوجود الملاك فيه أيضاً و ذلك لأنّ الوصّي حائزٌ لجميع فضائل الاّ النّبوة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **لعلّي أنت منّي بمنزلة هارُون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي**، مَعناه لو كان بعدي نبّي فهو أنت لا غيرك فمن صلح للنبوّة بعد النّبي صلح لجميع فضائل النّبي و منها العلم بالغيب و هذا ممّا لا إشكال فيه عقلاً و شرعاً و لا ينافي قوله تعالىٰ: **لا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إلاّ هُوَ** لأنّ علم اللّه تعالىٰ بالغيب هو من ذاته و نفسه و علم الرّسول من ربّه و الفرق بين المقامين واضح.

و حاصل الكلام أنّ المخلوق كائناً من كان محتاج إلى ربّه و ليس له شئ من عند نفسه و ذاته بل اللّه تعالىٰ خلقه فهو و جميع فضائله من اللّه فقولنا أنّ الرّسول يعلم الغيب يرجع إلىٰ أنّ اللّه يعلم الغيب لأنّ العلم إذا كان من الغير فهو مع قطع النّظر من الغير لا علم له فأيَن الشِّرك الّذي يدّعيه من لا يفهم معناه فثبت و تحقّق أنّ الرّسول عالم بالغيب الّذي أعطاه اللّه و أمّا الغيب الّذي لم يعطه أحداً كعلم السّاعة و أمثالها فلا.

البَحث الثّالث: في قوله: **لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاٰتِ رَبِّهِمْ** و حاصل الكلام في هذه الآية أنّا أطّلعناه علىٰ الغيب ليعلم أنّ الرّسل قبله قد أبلغوا الرّسالة كما بلّغ هو الرّسالة و بعبارةٍ أخرىٰ اخبرناه بحفظنا الوحي اليه ليعلم أنّ الرُّسل قبله كانوا على مثل حالته من التّبليغ بالحقّ و الصّدق و قيل ليعلم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أن قد أبلغ جبرئيل و من معه إليه رسالة ربّه إذ لم ينزّل الوحي إلاّ و معه أربعة حفظة من الملائكة.

و المقصود أنّ النّبي ممَّن إرتضاه اللّه للإطّلاع على الغيب بقدر ما أعطاه اللّه منه لا يقدر ما يعلمه اللّه و حيث إنجرّ الكلام إلىٰ العلم و لا سيّما العلم بالغيب فلا بأس بذكر بعض الأخبار الواردة عن أهل البَيت عليهم السّلام فنقول:

عن أصول الكافي بأسناده عن سُدير السَّيرفي قال سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عن قوله تعالىٰ: عٰالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا فقال أبو جعفر عليه السلام: إلاّ من إرتضىٰ من رسولٍ و كان واللّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ممّن إرتضاه.

و أمّا قوله: عٰالِمُ ٱلْغَيْبِ فأنّ اللّه عزّ وجلّ عالم بما غاب عن خلقه فيما يقدر مِن شئٍ و يقضيه في علمه قبل أن يخلقه و قبل أن يقضيه إلى الملائكة فذلك ياحمران علمٌ موقوف عنده اللّه فيه المشيّته فيقضيه إذا أراد و يبدوا له فيه فلا يمضيه و أمّا العلم الّذي يقدره اللّه عزّ وجلّ و يقضيه و يمضيه فهو العلم الّذي إنتهىٰ إلىٰ رسول اللّه ثمّ إلينا و الحديث طويلٌ أخذنا منه موضع الحاجة.

و بأسناد عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: أنّ للّه عزّ وجلّ علمين علماً عنده لم يطّلع عليه أحداً من خلقه و علماً نبذه إلى ملائكته و رسله فما نبذه إلى ملائكته و رسله فقد إنتهىٰ إلينا إنتهىٰ.

ما رواه علّي بن إبراهيم بأسناده عن ضريس قال سمعت أباجعفر يقول: أنّ لِلّه عزّ وجلّ علمين، علمٌ مبذول و علمٌ مكفوف، فأمّا المبذول فأنّه ليس من شئٍ تعلمه الملائكة و الرُّسل الاّ نحن نعلمه و أمّا المكفوف فهو الّذي عندَ اللّه عزّ وجلّ في أمّ الكتاب إذا خرج نفذ إنتهىٰ.

و بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: الإمام إذا شاء أن يعلم علم إنتهىٰ.

و بأسناده عن أبي بصير قال: قال عليه السلام أبو عبد اللّه أيُّ إمامٍ لا يعلم ما يصيبه و الىٰ ما يصير فليس ذلك بحجّة اللّه علىٰ خلقه.

و بأسناده عن حمران بن أعين عن أبي عبد اللّه قال، أنّ جبرئيل أتىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الرّمانتين فأكل رسول اللّه إحدايهما و كسر الأخرى بنصفين فأكل نصفاً و أطعم عليّاً نصفاً أخر ثمّ قال له رسول اللّه يا أخي هل تدري ما هاتين الرُّمانتين قال عليه السلام لا قال صلى الله عليه وآله وسلم لهما الأُولىٰ فالنّبوّة ليس لك فيها نصيب و أمّا الاخرىٰ فالعلم أنت شريكي فيه فقلت أصلحك اللّه فكيف كان يكون شريكاً فيه قال عليه السلام: لم يعلم اللّه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم علماً إلاّ و أمره أن يعلّمه عليّاً إنتهىٰ.

و في حديث أخر أنت شريكي فيه وأنا شَريكك فيه قال عليه السلام: فلم يعلم واللّه رسول اللّه حرفاً ممّا علَّمه اللّه عزّ وجلّ إلاّ و قد علَّمه عليّاً ثمّ إنتهىٰ العلم إلينا ثمّ وضع يده على صدره إنتهىٰ.

و عن الخرائج و الجرائح، روى محمّد ابن فيصل الهاشمي عن الرّضا عليه السلام قال: أنظر إلى ابن هذاب فقال إن أنا أخبرتك أنّك ستبتلى في هذه الأيام بدم ذي رحم لك لكنت مصدّقاً لي، قال لا، فأنّ الغيب لا يعلمه إلاّ اللّه تعالىٰ قال عليه السلام أو ليس اللّه يقول فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ، فَرسُول اللّه عند اللّه هو المرتضى و نحن ورثة ذلك من الرّسول الّذي أطلعه اللّه على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة والحديث طويل أخذنا منه مَوضع الحاجة.

أقول الأحاديث نقلناها عن تفسير نور الثّقلين[1].

و الأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً كلّها يدلّ على أنّ علم الرّسول عند أوصيائه و يظهر عنه أنّ الأئمّة عليهم السّلام ورثة علم النّبي و هو يدلّ على أنّهم عليهم السّلام داخلون في قوله تعالىٰ: **إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ** و ذلك لأنّ نورهم واحد فما ثبت للرّسول من الفضائل و الكمالات النّفسانية فهو ثابت لهم بمقتضى وحدة النُّور إلاّ النّبوّة لأنّها ختمت برسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و أنّما تعرّضنا لعلم الأئمّة و قلنا علمهم علم رسول اللّه لأنّ كثيراً من ضعفاء العقول أنكروا علم الغيب عليهم ولم يعلموا أنّهم لم يعلموا إلاّ ما علّمهم اللّه بواسطة رسوله و أيّ إشكالٍ فيه عقلاً و شرعاً بعد تصريح الآية بالإستثناء بقوله: **إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ**.

و أيضاً نقول، أن كان علم الغيب مختصّاً باللّه تعالى و لا يسري الى غيره من الخلق كما يقول به الخصم فما معنى قوله: **إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ** و ان كان يسري الى غيره بحكم الإستثناء فأيّ إشكالٍ في سراية العلم من الرّسول الى أوصيائه بأذن اللّه.

و محصّل الكلام في المقام هو إستحالة العلم بالغيب لغير اللّه بغير إذنه أي من عند نفسه و أمّا العلم بالغيب لعبد من عباد اللّه من عند ربّه فأيّ إشكالٍ فيه عقلاً و شرعاً و أنّما أطلنا الكلام في هذا الباب لأنّ الموضوع من أهمّ الموضوعات واللّه أعلم.

■

١- ج ٥ ص ٤٤١ إلىٰ ص ٤٤٤

سُورَةُ ٱلْمُزَّمِّلِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ
أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ
ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا
﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا
﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ
ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَ
ٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَ
ذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا
﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا
غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَ
ٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ
أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ
ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ
إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ

مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ
فَمَنْ شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلٰى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ
يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنٰى مِنْ ثُلُثَيِ ٱللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ
ثُلُثَهُ وَ طَآئِفَةٌ مِنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَ ٱللّٰهُ يُقَدِّرُ ٱللَّيْلَ
وَ ٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا مَا
تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْاٰنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضٰى
وَ اٰخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ
ٱللّٰهِ وَ اٰخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ فَاقْرَؤُا مَا
تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ وَ اٰتُوا ٱلزَّكٰوةَ وَ
أَقْرِضُوا ٱللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ
مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ ٱللّٰهِ هُوَ خَيْرًا وَ أَعْظَمَ أَجْرًا
وَ ٱسْتَغْفِرُوا ٱللّٰهَ إِنَّ ٱللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

◄ اللّغة

ٱلْمُزَّمِّلُ: بضمّ الميم و فتح الزّاء المشدّدة و كسر الميم أصله المتزّمل، من باب أزَّمَل، يَزَّمِل، فأدغمت التّاء في الزّاء و كذلك المُدَّثِّر، أصله المتدّثر فأدغمت التّاء في الميم و معناه المتَّلَفف يقال تزّمل و تدّثر بثوبه إذا تغطّىٰ به و زّمل، غيره إذا غطّاه و كلّ شئ لفَّف فقد زُّمل.

رَتِّلِ: أمرٌ من رتّل تَرتيلاً، الترتّيل التّنضيد والتّنسيق و حُسن النظام أي إقرأ القرأن في مهلٍ و بيان و قيل حرفاً حرفاً.

نٰاشِئَةَ ٱللَّيْلِ: قيل هي التّهجد في اللّيل و قيل ناشئة اللّيل بعد العشاء الأخرة و قيل هو القيام أخر اللّيل إلىٰ صلاة اللّيل.

وَطْئًا: الوطأ المهاد المذلّل للتقلُّب اليه.
سَبْحًا: السَّبح بفتح السّين المرّ السَّهل في الشّئ كالمرّ في الماء.
تَبَتَّلْ: التبتّل الإنقطاع.
وٱهْجُرْهُمْ: الهجر التَّرك.
ذَرْنِي: أي أتركنى.
أَنْكَالًا: واحدها نكل و هو القيد.
تَرْجُفُ: الرجفة التحرّك بإضطراب شديد.
كَثِيبًا: الكَثيب الرَّمل المجتمع.
مَهِيلًا: مفعول من حلت الرَّمل و ذلك إذا حرَّك أسفله فسال أعلاه.
وَبِيلًا: الوبيل الثَّقيل الشدّيد.
مُنْفَطِرٌ: أي متصدّعٌ بشدّة ذلك اليوم و الباقي واضح.

◄ الإعراب

نِصْفَهُۥٓ بدلٌ من اللّيل بدل بعض من كلّ و **إِلَّا قَلِيلًا** إستثناء من نصفه **وَطْئًا** تمييزٌ **وَ ٱلْمُكَذِّبِينَ** هو مفعول معه و قيل هو معطوف **يَوْمَ تَرْجُفُ** هو ظرف للإستقرار و قيل هو وصفٌ لعذاب **يَوم** مفعول تتّقون، و قيل هو مفعول **كَفَرْتُمْ** يجعل الولدان، نعتٌ اليوم **ان سَيَكُونُ** أن مخفّفة من الثّقيلة.

◄ التَّفسير

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ، قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا، نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا

الخطاب للرّسول ﷺ و قيل أنّ المؤمنين داخلون في الخطاب على وجه التّبع فقوله: **يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ** قيل فيه ثلاثة أقوال:

الأوّل: قول عكرمة يا أيُّها المُزَّمِل بالنبوّة و الملتزم للرّسالة.

الثّاني: ياأيُّها المُزَّمِل بالقرأن.

الثّالث: المُزَّمِل بثيابه قاله قتادة و غيره ذلك أنّ الرّسول كان متزّملاً بقطيفة و معنى المُزَّمل هو الملتّف و قيل معناه، المتحمّل من زلل الشّئ إذا حمله.

إعلم أنّ المُزَّمل ليس من أسماء النّبي ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض النّاس وعدُّوه من أسمائه و انّما هو إسمٌ مشتّقٌ من حالته الّتى كان ﷺ عليها حين الخطاب و كذلك المدَّثر قيل في خطابه بهذا الإسم فائدتان:

إحداهما: الملاطفة فأنّ العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب و ترك المعاتبة سمّوه بإسم مشتّق من حالته الّتى هو عليها فقوله تعالى لنبيّه **يٰٓ أَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ** قم فيه تأنيسٌ و ملاطفة ليشعر أنّه غير عاتبٍ عليه.

الثّانية: التّنبيه لكلّ متزّملٍ راقدٍ ليله ليتنبّه إلىٰ قيام اللّيل و ذكر اللّه تعالى فيه لأنّه الإسم المشتقّ من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كلّ من عمل ذلك العمل و اتّصف بتلك الصّفة، قيل في نزول الآية أنّه ﷺ تزّمل بثيابه لِمنامه و قيل بلغه من المشركين سوء قولٍ فيه فاشتّد عليه فتزّمل في ثيابه و تدَّثر فَنزلت، يا أيُّها المزَّمل و يا أيُّها المدَّثر و قيل كان هذا في إبتداء ما أوحي إليه فأنّه لمّا سمع قول الملك و نظر إليه أخذته الرَّعدة فأتى أهله فقال زَّملوني دَّثروني و قال عكرمة معناه المتزّمل بعباءة النبوّة و كلّ شئٍ لفّ فقد تزَّمل، كما قال امرؤ القيس:

كأن أبانا في أفانين ردفه كبير أُناسٍ في بجاد مُزَّمِل

و البجاد الكساء **قُمِ ٱللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا** أمرٌ من اللّه تعالىٰ لنبيّه بقيام اللّيل إلاّ قليلاً منه و لذلك كانت صلاة اللّيل واجبة علىٰ رسول اللّه ﷺ.

و قال الحسن أنّ اللّه فرض صلاة اللّيل على النّبي و المؤمنين بأن يقوموا ثلث اللّيل فما زاد فقاموا حتّىٰ تورّمت أقدامهم ثمّ نسخ تحفيفاً عنهم و قال

غير ما هو نفلٌ لم ينسخ لأنّه لو كان فرضاً لما كان مخيّراً في مقداره ذكره الجبائي و انّما بيّن تخفيف النّفل قاله في التّبيان.

نِصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا هذا بيان لقوله: **قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا** أي إلاّ قليلاً منه لا تقوم فيه فكأنّه قيل و ما معنى إلاّ قليلاً فقال تعالىٰ نصفه أي نصف اللّيل أو أنقص منه أي من نصف اللّيل أو زِد علىٰ نصف اللّيل **وَ رَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا** قيل ذلك قبل أن يتعبّد بالخمس صلوات و قوله: **وَ رَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا** أمَر اللّه نبيّه بترتيل القرأن و هو ترتّيب الحروف على حقّها في تلاوتها و قيل معناه لا تعجل بقراءة القرأن بل إقرأه في مهلٍ و بيان مع تدّبر المعاني، و قيل معناه إقرأه حرفاً حرفاً.

و قال مجاهد أحقّ النّاس و أحبّهم بالقرأن عند اللّه أعقلهم عنه و التّرتيل التّنضيد و التّنسيق و حسن النّظام.

أقول ما ذكروه لا بأس به إلاّ أنّه شرح الألفاظ الآية من حيث اللُّغة و الحقّ أنّه تعالى أمر بالتّرتيل لأنّه يوجب التّأمل و التدبّر في الأيات بخلاف القراءة سريعاً و من المعلوم أنّ التفكّر في أيات اللّه هو المطلوب من قراءته لأنّ الألفاظ وضعت للرّسُول إلى المعنى و حيث أنّ التّرتيل أعني به التّأني في القراءة يوجب فهم المعنى و هو يزيد في التّوحيد و معرفة اللّه أمره اللّه به والخطاب و أن كان للنّبي ظاهراً إلاّ أنّ المراد جميع الأمّة.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

الالقاء الطَّرح و اختلفوا في القول الثّقيل فقيل هو القول الّذي يثقل العمل به لمشّقةٍ فيه و قيل معناه، العمل به ثقيل في الميزان والأجر، ليس بشّاقٍ، و قيل قولٌ عظيم الشّأن، و قيل هو متّصل بما فرض من قيام اللّيل أي سنلقي عليك بإفتراض صلاة اللّيل قولاً ثقيلاً يثقل حمله لأنّ اللّيل للمنام فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيّأ له ذلك إلاّ بحمل شديد على النّفس و مجاهدة الشّيطان.

أقول ما ذكروه ليس من القول الثّقيل والّذي يقوي في النّفس أنّ القول الثّقيل عبارة عن ثقل الرّسالة هل كانت الخلق مثل قوله:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا**[1].

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا**[2].

و أمثال ذلك من الأيات و علىٰ هذا فالمراد بثقل القول ثقل المسئوليّة الّتى توجد بالأمر.

إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلًا

قيل ناشئة اللّيل التّهجد في اللّيل و قيل هو ما كان بعد العشاء الأخرة.

عن أبي جعفر عليه السلام و أبي عبد اللّه عليه السلام أنّهما قالا هو القيام أخر اللّيل إلىٰ صلاة اللّيل، و قيل ناشئة اللّيل أوقاته وساعاته لأنّ أوقاتُه تنشأ أوّلاً يقال نَشَأ الشّئ إذا إبتدأ و أقبل شيئاً بعد شئٍ، و قيل النّاشئة مصدر بمعنى قيام اللّيل كالخاطئة و الكاذبة أي أنّ نشأة اللّيل هي أشدّ وطأ و الوطأ بفتح الواو و سكون الطّاء الثّقل و منه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **اللّهم أشدد وطأك على مضره.**

و علىٰ هذا فالمعنى أنّها أثقل على المصّلي من ساعات النّهار، **وَ أَقْوَمُ قِيلًا** أي القراءة باللّيل أقوم منها بالنّهار أي أشدّ إشتقاقه و استمراراً علىٰ الصّواب و محصّل الكلام هو أنّ الصّلاة في اللّيل بعد مضّي النّصف منه و قراءة القرأن أشدّ و أثقل على المكلّف من الصّلاة و القراءة بالنّهار و لذلك ورد في فضلها ما ورد في الأخبار و الوجه فيه ظاهر و هو أنّ اللّيل وقت منام و توّدع و إجمام فمن شغله بالعبادة تحمّل المشقّة العظيمة و هو محسوسٌ لكلّ أحدٍ.

إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا

١- سَبَأ = ٢٨ ٢- الفَتح = ٨

قال قتادة معناه أنّ لك يا محمّد في النّهار متصرّفاً و منقلباً أي ما تقضي فيه حوائجك و السَّبح الجري والدَّوران و منه السّابح في الماء لتقلّبه بيديه و رجليه و فرسٌ سابح شدّيد الجري قال إمرؤ القيس:

مسحُ إذا ما السّابحات على الونىٰ أثرن الغبار بالكديد الموكَّل

و قيل السَّبح الفراغ أي أنّ لَك فراغاً للحاجات بالنّهار و قيل السَّبح التَّمدّد و هو كناية عن النّوم أي أنّ لك نوماً بالنّهار ذكره الخليل.

و عن إبن عبّاس و عطاء **سَبْحًا طَوِيلًا** يعني فراغاً طويلاً لنومك و راحتك فأجعل ناشئة اللّيل لعبادتك و المقصود إن فاتك في اللّيل شئ فلك في النّهار فراغ الإستدراك هذا بناءً على قراءة المشهورة و هى بالحاء المهملة و عليها المصاحف فعلاً و قرأ يحيى بن يعمر و أبو وائل، سبخا، بالخاء المعجمة و معناه النّوم و قيل معناه الخفّة و السّعة و الإستراحة و منه قول الشّاعر:

فسَّبخ على الهمّ و أعلم بأنّه إذا قدَّر الرّحمٰن شيئاً فكائنُ

و قال ثعلب **السَّبخ** بالخاء التَّردّد و الإضطراب، و السَّبخ أيضاً السّكون **ومنه قول النّبي** صلى الله عليه وآله وسلم: **الحمىٰ من قيح جهنَّم فسَّبخوها بالماء أي سكّنوها.**

أقول المأل في القراءتين واحد و المقصود من هذا الكلام أنّ النّهار للتردّد و العمل و اللّيل للنّوم و العبادة.

وَ ٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا

بعد أمره تعالى نبيّه بصلاة اللّيل أمره ثانياً بذكر ربّه و الإنقطاع إليه فأنّ التَّبتل الإنقطاع إلى عبادة اللّه و منه مريم البتول و فاطمة البتول لإنقطاع مريم الى عبادة اللّه و انقطاع فاطمة عن القرين و المراد بذكر الرّب ليس الذِّكر اللّساني فقط كما توّهم بل المراد ذكره لساناً و قلباً و عملاً و بعبارةٍ أخرىٰ التوجّه إلى

المعبود في جميع الأحوال كأنّه يراه فأن لا يراه فهو تعالى يراه قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**[1] و قد مضى الكلام فيه.

و قوله: **وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** أي إنقطع إليه إنقطاعاً يليق بشأنه فإقطع الرّجاء عمّا سواه كائناً ما كان و فوّض أمرك إليه و توكّل عليه في جميع شئونك فأنّه يكفيك فمن يتوكّل علىٰ اللّه فهو حسبه.

فعن الصّادق عليه السلام أنّه قال: أوحى اللّه تبارك و تعالىٰ إلىٰ داود النّبي عليه السلام ما اعتصم بي عبدٌ من عبادي دون أحدٍ من خلقي عرفت ذلك من نيّته ثمّ تكيده السّموات و الأرض و من فيهنّ إلاّ جعلت له المخرج من بينهنّ، و ما إعتصم عبدٌ من عبادي بأحدٍ من خلقي عرفت ذلك من نيّته إلاّ قطعت أسباب السّموات من بين يديه و أسخت الأرض من تحته و لم أبال في أيّ وادٍ هلك إنتهىٰ.

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يقول اللّه عزّ وجلّ و عزّتي و جلالي و عظمتي و كبريائي و نوري و علوّي و إرتفاع مكاني، لا يؤثّر عبدٌ هواه علىٰ هواي إلاّ شتّت عليه أمره و لتشتّت عليه دنياه و شغلت قلبه بها و لم أوته منها إلاّ ما قدّرت له، و عزّتي و جلالي و عظمتي و كبريائي و نوري و علُوّي و إرتفاع مكاني لا يؤثّر عبدٌ هواي على هواه إلاّ استحفظته ملائكتي و كفلت السّموات و الأرض رزقه و كنت له من وراء تجارة كلّ تاجر و أتته الدّنيا و هي راغمة إنتهىٰ.

و قال عليه السلام: من إنقطع إلى اللّه كفاه اللّه مؤنته و رزقه من حيث لا يحتسب و من انقطع إلى الدّنيا و كلّه إليها إنتهىٰ.

و الأحاديث كثيرة[2].

١- طه = ١٢٤

٢- مشكاة الأنوار ص ١٦ إلىٰ ص ١٨

قال بعض العرفاء المراد بالذِّكر وجدان المذكور و حضوره في القلب لا ذكره باللّسان وحده مع غفلة القلب فانّه غير معتبر عندهم، و أوّل مراتب الذِّكر بهذا المعنى نسيان الغير لأنّك إن لم تنس الكلّ ما وجدته و لأنّك إذا كنت موصوفاً بنسيان الغير و ذكر الرَّب كانت نفسك مذكورة في ضمن هذا الذِّكر في هذه الدَّرجة فإذا أوقفك اللّه على هذه العلّة نسيت نفسك في ذكر ربّك لأنّ تحقّق المذكور يوجب نفي الغير، و أنيتك تثبت الغيريّة فإذا بلغت هذه الرُّتبة كان ذكرك ذكره لغيبتك عن نفسك فنسيت ذكرك في ذكرك ثمّ اذا إستمرّ ذلك و استحكم شهدته ذاكراً لذاته فنسيت في ذكر الحقّ ذاته كلّ ذكرٍ و ذاكرٍ فكأنّ هو الذّاكر و المذكور إنتهىٰ.

أقول بحث الذِّكر عند العُرفاء من أشرف الأبحاث و أنفعها و لهم فيه تحقيقات رشيقة إلاّ أنّ إطالة الكلام فيه يُخرجنا عمّا نحن بصدده في هذا الكتاب و علىٰ هذا ففيما ذكرناه كفاية لأولي الدّراية و الفطانة.

رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَ ٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا، وَ ٱصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ وَ ٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا

لمّا أشار اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة إلىٰ ذكر الرّب و قال وأذكُر ربّك، الآية بيَّن في هذه الآية أنّ المراد بالرَّب الّذي ينبغي ذِكره و الإنقطاع إليه، هو ربّ المشرق و المغرب أي ربّ مطلع الشّمس و هو موضع طلوعها و ربّ المغرب يعني موضع غربها و هو المتصرّف فيها، و المدبّر لما بينهما من الخلق و هذا الرَّب ليس إلاّ اللّه الّذي لا إله إلاّ هُو، فلا أحد غيره يستحقّ العبادة و الإنقطاع إليه **فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا** أي توكّل إليه في جميع أمورك و فوّض الأمور إليه و أرض برضاءه و قضاء فالوكيل الحفيظ بأمر غيره معناه إتّخذه كاملاً لما وعدك به من النّصر و الظَّفر علىٰ أعداءك فأنّ اللّه علىٰ كلّ شيءٍ قدير و بالإجابة جديرٌ.

و أمّا قوله: **وَ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَ ٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** ففيه أمران من اللّه تعالىٰ لنَبيّه:

أحدهما: الصَّبر.

الثّاني: هجر الجَميل عن الكفّار.

أمّا الأوّل: و هو الصَّبر علىٰ ما يقولون، هٰؤلاء الكفّار من الأذىٰ و الإستهزاء و نسبة الجنون و السِّحر إليه صلى الله عليه وآله وسلم أمره اللّه تعالىٰ بالصَّبر لأنّ الصَّبر مفتاح الفرج و لذلك كان جميع الأنبيا مأمورين به كما قال تعالىٰ: **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ**[1].

و قد مرَّ الكلام في الصَّبر و ما يترتّب عليه من الأجر في كثير من الأيات و نقلنا شطراً من الأخبار الواردة في فضلها فلا نُطيل الكلام فيه في المقام و أمّا الأمر الثّاني و هو قوله: **وَ ٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** فالهجر في الأصل التّرك و الهجر الجميل إظهار الجفوة من غير ترك الدّعاء الىٰ الحقّ علىٰ وجه المناصحة فالمعنى و أصبر على أذاهم و أتركهم أي لا تتعرّض لهم و لا تشتغل بمكافاتهم فأنّ في ذلك تركُ الدُّعاء الىٰ اللّه.

قال قتادة كان هذا قبل الأمر بالقتال ثمّ أمر اللّه بعد ذلك بقتالهم فنسخت آية القتال ما كان قبلها من التَّرك.

أقول لا دليل على نسخ الآية بل الآية كانت بحالها و ذلك لأنّ الهجر الجميل من مكارم الأخلاق و قد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **إنّي بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**.

و من المعلوم أنّ الغلظة و الشدّة ولو في حقّ الكافر لا يعدّ من مكارم الأخلاق كيف و قد قال اللّه تعالىٰ لنبيّه **وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**[2] **وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا**

١- الاحقاف = ٣٥ ٢- القلم = ٤

غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ[1] و من كان كذلك فهو لا يليق بشأنه الغلظة و ان شئت قلت انّ اللّه تعالىٰ أدّب نبيّه بهذا الكلام و أمثاله فينبغي للامّة متابعة النّبي في جميع ما أمره اللّه به و هذا من أحسن المواعظ لمن كان له قلب ثمّ بعد أمر اللّه نبيّه بالهجر الجميل و ترك التّعرض لهم قال:

وَ ذَرْنِي وَ ٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلًا

يقول اللّه تعالىٰ علىٰ سبيل التّهديد للكفّار الّذين أمر نبيّه بتركهم و قال: **وَ ذَرْنِي** يا محمّد أي أتركني و هٰؤلاء الكفّار والمكذّبين بالتّوحيد و النبوّة و المعاد **أُولِي ٱلنَّعْمَةِ** أىّ أي أولي الغنىٰ و الترّفه واللذّة في الدُّنيا **وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلًا** الىٰ مدّة آجالهم فأنّ لكلّ شئٍ أجل قيل لمّا نزلت هذه الآية لم يكن إلاّ يسيراً حتّىٰ وقعت وقعة بدر فمنهم من قتل و منهم من أسرّ و كان وعد اللّه مفعولاً ثمّ قال تعالىٰ:

إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَ جَحِيمًا، وَ طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَ عَذَابًا أَلِيمًا

أي أنّ ما وقع بهم من القتل والأسر هو عذاب الدُّنيا و أمّا عذاب الأخرة **إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا** أي قيوداً و سلاسل و أغلالاً يوم القيامة في جهنّم أعدّت للكافرين **وَ طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ** بشوكٍ يأخذ الحلق فلا يدخل و لا يخرج و قيل معناه يأخذ بالحلقوم لخشونته و شدّة تكرهّه، و هو الغسلين و الزُّقوم و الضَّريع قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ شَجَرَةَ ٱلزَّقُّومِ، طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ**[2] والمعنىٰ واحد.

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَ ٱلْجِبَالُ وَ كَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا

ثمّ بيّن اللّه تعالىٰ متىٰ يكون ذلك فقال: **يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ** أي أعتدنا هذه الأنواع من العذاب في يومٍ تتّحرك الأرض بإضطرابٍ شديد فالرّحفة

١- آل عمران = ١٥٩ ٢- الدّخان = ٤٤ / ٤٣

الإضطراب **وَ اَلْجِبالُ** أي و الجبال كذلك و كانت الجبال كثيباً، أي رملاً فالكثيب الرَّمل المجتمع الكثير **مَهِيلًا** أي رملاً سائلاً، و قيل هو الّذي إذا وطئه القدم زلَّ من تحتها، و أصل مهيل، مهيول، و هو مفعول من قولك، هلَّت عليه التّراب أهيله هيلاً إذا صببته يقال، مهيل و مهيول و مكيل و مكيول و مدين و مديون و معين و معيون، و فيه إشارة الىٰ فزع ذلك اليوم و شدّته.

ثمّ أنّ اللّه تعالىٰ علَّل ما وقع بهم من العذاب بقوله:

إِنّٰآ أَرْسَلْنٰآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شٰاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمٰآ أَرْسَلْنٰآ إِلىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا

كأنّ المعذّبون قالوا لِم لَم يكون هذا العذاب فقال تعالىٰ في جوابهم **إِنّٰآ أَرْسَلْنٰآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا** في الدُّنيا **شٰاهِدًا عَلَيْكُمْ** بالتمرّد والطُّغيان كما أرسلنا قبل ذلك الىٰ فرعون رسولاً، و هو موسىٰ عليه السلام شبَّههم اللّه بفرعون في مخالفتهم الرّسول كما قال:

فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ اَلرَّسُولَ فَأَخَذْنٰاهُ أَخْذًا وَبِيلًا

فالوبيل الشّديد من العذاب و المعنى لمّا عصىٰ فرعون الرّسول و لم يؤمن باللّه و رسوله أخذناه عذاباً شديداً، و المقصود أنّ العذاب يوم القيامة يكون بعد تماميّة الحجّة على العبد في الدُّنيا فأنّ العقاب بلا بيان قبيحٌ على الحكيم و هذا حكمٌ كلّيٌ عقّلي في جميع الأزمنة و فى حقّ جميع الأمم و لا فرق في ذلك بين فرعون و غيره من العصاة كما لا فرق بين موسىٰ عليه السلام و غيره من الأنبياء.

و محصّل الكلام أنّ سبب العذاب هو المعصية و هى موجودة فيكم كما كانت موجودة في فرعون و متابعيه و فى قوله تعالىٰ: **شٰاهِدًا عَلَيْكُمْ** إشارة الىٰ قوله: **إِنّٰآ أَرْسَلْنٰاكَ شٰاهِدًا وَ مُبَشِّرًا**[1] فأنّ الرّسول شاهد علىٰ أُمّته يوم القيامة ثمّ قال تعالىٰ مهدِّداً لهم.

١- الفَتح = ٨

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا

قال بعضهم معناه، إن كفرتم باللّه و جحدتم نعمه و كذّبتم رسوله و أنّما يجعل ذلك اليوم الولدان و هم أولاد الصّغار شيباً لشدّة العذاب و عظم أهواله.

و قيل في الكلام تقديم و تأخّير أي كيف تتّقون يوماً يجعل الولدان شيباً ان كفرتم، و كذا قراءة عبد اللّه و عطيّة، و قال الحسن معناه، بأيّ صلوة تتّقون العذاب و بأيّ صوم تتّقون العذاب و فيه إغمار أي كيف تتّقون عذاب يوم كذا، و على هذا (فيوماً) مفعول تتّقون وليس بظرف و أن قدّموا الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول، كفرتم، و قال بعض المفسّرين وقف التّمام على قوله: **كَفَرْتُمْ** و الإبتداء يوماً، و على هذا فاليوم مفعول **يَجْعَلُ** و الفعل للّه عزّ وجلّ كأنّه قال، يجعل اللّه الولدان شيباً في يوم.

أقول تفسير الآية واضح و لا يحتاج الى هذه التكلّفات الّتى هي من قبيل الأكل من القفا، و ذلك لأنّ التّقوىٰ من الوقاية و هى الحفظ فالمتّقي من يحفظ نفسه من المعصية و هو أي حفظ النّفس يتحقّق بترك المعاصي و فعل الواجبات فمن حفظ نفسه عن فعل المعصية و ترك الواجب فهو متّصفٍ بالتّقوىٰ قطعاً.

إذا عرفت هذا فقوله تعالىٰ: **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ** معناه، أي كيف تحفظون أنفسكم، إن كفرتم باللّه و رسوله **يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا** من شدّة العذاب و علىٰ هذا فالتّقدير كيف تحفظون أنفسكم من العذاب في يومٍ يجعل الولدان شيباً، فقوله: **يَوْمًا** مفعول **تَتَّقُونَ** و **ٱلْوِلْدَانَ** مفعول، يجعل، و **شِيبًا** حالٌ من الولدان، و بعبارةٍ أخرى كيف تحفظون أنفسكم من العذاب في ذلك اليوم الشدّيد و المفروض أنّكم كفرتم باللّه و رسوله في الدُّنيا.

ٱلسَّمَآءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا

ثمّ زاد اللّه في صفته شدّة ذلك اليوم فقال: **اَلسَّمٰآءُ مُنْفَطِرٌ بِهٖ** أي متّصدعٌ لشدّة ذلك اليوم، قيل معنىٰ (به) أي (فيه) أي في ذلك اليوم لهوله **كٰانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا** أي وعده بالقيامة و الحساب و الجزاء كائنٌ لا شكّ فيه إذ لو لم يكن كذلك لزم الكذب فيما وعده و هو قبيحٌ علىٰ اللّه تعالىٰ لأنّه منزّهٌ عن القبائح.

إِنَّ هٰذِهٖ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰآءَ اَتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهٖ سَبِيلًا

أي أنّ هذه الأيات عظةٌ و تذكرةٌ لمن تدبّر فيها حقّ التّدبر **فَمَنْ شٰآءَ اَتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهٖ سَبِيلًا** معناه إنّا بيّنا طريق العذاب و طريق النّجاة كما قال تعالىٰ: **إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ اَلسَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِرًا وَ إِمّٰا كَفُورًا**[1] و لا شكّ أنّ طريق النّجاة من العذاب منحصر في طاعة اللّه و رسوله فمن لم يطع اللّه و رسوله فقد ظلم على نفسه و ما ربّك بظلّامٍ للعبيد.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اَللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طٰآئِفَةٌ مِنَ اَلَّذِينَ مَعَكَ وَ اَللّٰهُ يُقَدِّرُ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتٰابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا مٰا تَيَسَّرَ مِنَ اَلْقُرْاٰنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضىٰ وَ اٰخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي اَلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اَللّٰهِ وَ اٰخَرُونَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ فَاقْرَؤُا مٰا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا اَلصَّلٰوةَ وَ اٰتُوا اَلزَّكٰوةَ وَ أَقْرِضُوا اَللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اَللّٰهِ هُوَ خَيْرًا وَ أَعْظَمَ أَجْرًا وَ اَسْتَغْفِرُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

إِنَّ رَبَّكَ يا محمّد **يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ** لصلاة اللّيل، و قيل معنى تقوم، نصلّي **أَدْنىٰ** أي أقلّ **مِنْ ثُلُثَيِ اَللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ** إختلفوا، في قراءة **نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ** فمنهم من كسر الفاء في نِصفه، و الثّاء في ثلثه، و على هذه القراءة فالتّقدير من نصفه و ثلثه بمقتضى العطف على **ثُلُثَيِ اَللَّيْلِ** و المعنى انّ ربّك

١- الدّهر = ٣

يعلم أنّك تقوم للصّلاة أدنىٰ و أقلّ من ثُلثي اللّيل و من نصفه و من ثلثه أي و أدنىٰ من نصفه و أدنىٰ من ثلثه، و قرأ الباقون بالنّصب في الفاء و التّاء و علىٰ هذه القراءة فالمعنى أنّ ربّك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثي اللّيل، و نصفه و ثلثه، و على هذا فقوله: **نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ** معطوفٌ على قوله: **أَدْنَىٰ** و هو في محلّ النّصب علىٰ أنّه مفعول **تَقُومُ** و هذه القراءة اكمل و احسن و المصاحف فعلاً عليها.

و أمّا القراءة الأولى و هى الجرّ فهي شاذّة نادرة و كيف كان فمعنى الكلام أنّ ربّك يعلم قيامك باللّيل **وَ طَآئِفَةٌ مِنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ** أي أنّ اللّه يعلم قيامك باللّيل للصّلاة و يعلم قيام طائفة ممّن معك من المؤمنين **وَ ٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱللَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ** معناه أنّ اللّه الّذي يقدّر اللّيل و النّهار علم أن لن تحصوه، أي علم أن لن تقدروا على ذلك أو لن تطيقوه أي لن تطيقوا القيام باللّيل هكذا قيل.

أقول هذا التّفسير يتّم بناءً علىٰ القول بوجوب صلاة اللّيل أوّلاً علىٰ الجميع ثمّ نسخ و الحقّ انّ الأمر في أوّل السُّورة علىٰ وجه النّدب لأنّ الأمر لو كان للغرض لما كان محيّزاً في مقداره و انّما بيّن تخفيف النّقل و على هذا فالتّخفيف في النّقل لا في الوجوب فقوله: **عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ** خطاب للطّائفة لا للنبّى.

يقول اللّه تعالىٰ لمن معه من المؤمنين علم اللّه أن لن تحصوه أي أنّها توجب المشّقة و الحرج عليكم **فَتَابَ عَلَيْكُمْ** أي لم يلزمكم اثماً كما لا يلزم التّائب أي رفع التّبعة فيه كرفعها عن التّائب هكذا فسرّه الشّيخ في التّبيان مع أنّ قد نصّ فيه بأنّ صلاة اللّيل من أوّل الأمر كان علىٰ النّدب فلا وجه للتّنافي حتّىٰ ينسخ بعضها ببعضٍ.

و لقائلٍ أن يقول لو كان الأمر في أوّل السُّورة علىٰ وجه النّدب فكذلك هاهنا، فأيُّ معنىٰ كقوله تعالىٰ: **عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ** و من

المعلوم أنّ ترك النّدب لا يُوجب إثماً فما معنىٰ قولكم، أي لم يلزمكم اثماً كما لا يلزم التّثب و أيُّ إثم في ترك النّدب حتّىٰ صحّ قوله: **فَتٰابَ عَلَيْكُمْ** والّذي يقوّي في النّفس هو أنّ الصّلاة في اللّيل كانت واجبة على جميع المؤمنين كما كان واجبة على الرّسول بدليل قوله و طائفة من المؤمنين معك ثمّ أنّ اللّه تعالىٰ خفّف عنهم أي عن الّذين كانوا مع النّبي لما ذكره في هذه الأيج من المرض و السّفر و غير ذلك فرفع الوجُوب و بقي النّدب على حاله و يؤيّد ما إحتملناه ما ذكره علّي بن إبراهيم في تفسيره في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام عن قوله تعالىٰ: **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ ٱللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ** ففعل النّبي ذلك و بشّر النّاس به فإشتدّ ذلك عليهم و علم أن لن تحصوه، الرّجل يقوم و لا يدري متىٰ ينتصف اللّيل و متى يكون الثّلثان و كان الرّجل يقوم حتّى يصبح مخافة أن لا يحفظه، فأنزل اللّه تعالىٰ: **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ** إلىٰ قوله: **عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ** يقول متىٰ يكون النّصف و الثُّلث فنسخت هذه الآية بقوله تعالىٰ: **فَاقْرَؤُا مٰا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْاٰنِ** و أعلموا أنّه لم يأت نبّيٌ قطّ إلاّ خلا بصلاة اللّيل و لا جاء نَبّيٌ قطّ بصلاة اللّيل في أوّل اللّيل إنتهىٰ.

فَاقْرَؤُا مٰا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْاٰنِ هو أمرٌ من اللّه علىٰ سبيل النّدب بقراءة القرأن بدل صلاة اللّيل و أنّما قلنا علىٰ سبيل النّدب لأنّ الفَرع لا يزيد على الأصل ثمّ بيّن اللّه تعالىٰ علّة النّسخ فقال: **عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضىٰ** و المريض لا يَقدر علىٰ صلاة اللّيل و حفظ مواقيتها إلاّ لصعوبة الّتى تستلزم الجمح و المشّقة و الجرح منّفيٌ في الدّين للّه تعالىٰ.

قال اللّه تعالىٰ: **مٰا يُرِيدُ ٱللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ**[1].

١- المائدة = ٦

قال اللّه تعالى: **هُوَ ٱجْتَبٰيكُمْ وَ مٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**[1].

و لا شكّ أنّ القيام في اللّيل في وقتها حرج على المريض و هو ظاهر.

وَ ءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ ٱللّٰهِ أي ومنكم قوم أخرون ليسوا بمرضى و لكن يسافرون في الأرض لتحصيل الرّزق كالتّجار و أمثالهم.

قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ما من جالب يجلب طعاماً من بلدٍ إلى بلدٍ فيبيعه بسعر يومه إلاّ كانت منزّلته عند اللّه منزّلة الشّهداء ثمّ قرأ رسُول اللّه هذه الآية (و ءَاخَرُونَ يُقٰاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللّٰه) وهُم المجاهدون.

فَاقْرَءُوا مٰا تَيَسَّرَ مِنْهُ أي ما تيسّر من القرأن بدل الصّلاة في اللّيل فأنّ اللّه يجزيكم أجرها يوم القيامة ثمّ خاطب اللّه المسلمين و قال: **وَ أَقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ** و هي الصّلوات المفروضة **وَ ءَاتُوا ٱلزَّكٰوةَ** المفروضة بشرائطها.

وَ أَقْرِضُوا ٱللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا أي أنفقُوا في سبيل اللّه و الجهات الّتى أمركم اللّه بها، قيل سمّي ذلك قرضاً تلطفاً في القول لأنّ اللّه تعالىٰ من حيث أنّه يجازيهم على ذلك بالثّواب فكأنّه إستقرض منهم ليردّ عوضه هكذا قيل و يحتمل أن يكون المراد بالقرض في الآية القرض المعروف بين النّاس فأنّه أيضاً من القرض الحسن و من أقرض غيره للّه فكأنّما أقرض اللّه و الأحسن حمل الكلام على معناه العامّ و الأمر واضح و قد تكلّمنا في الصّلاة و لازّكاة و القرض فيما مضى من الأيات الواردة في فضلها و شرفها غير مرّةٍ بما لا مزيد عليه ثمّ قال تعالىٰ.

وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ ٱللّٰهِ هُوَ خَيْرًا وَ أَعْظَمَ أَجْرًا أي ما تقدّموا لأنفسكم من خيرٍ، في الدُّنيا من الأعمال و الخيرات و

١- الحجّ = ٧٨

المبّرات تجدوه، أي تجدوا ثوابه و جزاءه يوم القيامة عند اللّه و قوله: **هُوَ خَيْرًا وَ أَعْظَمَ أَجْرًا** قيل هو عطفه علىٰ **خَيْرٍ** أي ما تجدوه لأنفسكم من خيرٍ، هو خيراً و أعظم أجراً.

أقول يظهر من كلام صاحب الكشّاف أنّ **خَيْرٍ** ثاني المفعولين لقوله: **تَجِدُوهُ** و المعنىٰ تجدوه خيراً و اعظَم أجراً، و علىٰ هذا فقوله: **عِنْدَ اللّٰهِ هُوَ** فصل بين المفعولين، و قرأ أبوالسَّمال هو خيرٌ و أعظم أجراً، برفع الخير على أنّه خبر، هو، و أظنّ أنّ هذه القراءة أوفق بنظم العبارة واللّه أعلم.

و كيف كان فالأمر أوضح من أن يخفى على أحدٍ ثمّ أمرهم اللّه بالإستغفار فقال: **وَ اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ** علىٰ معاصيكم **إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** إذا تبتم و رجعتم إليه فأنّ رحمته وسعت كلّ شيءٍ.

■

سورة المدثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓ أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَ ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَ ٱلرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَ لَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَ جَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَ بَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَ مَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَ ٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَ مَآ أَدْرِيكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَ لَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَ مَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا

عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَ يَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَانًا وَ لَا
يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ ٱلْكَافِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ
ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَشَآءُ وَ يَهْدِى
مَنْ يَشَآءُ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ مَا هِىَ إِلَّا
ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَ ٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَ ٱلَّيْلِ إِذْ
أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَ ٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ
﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾
قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ
ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾
وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ
﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ
عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ
﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ
مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا
يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن
شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

◄ اللّغة

ٱلْمُدَّثِّرُ: أصله المتدثّر أدغمت التّاء في الدّال لكونهما من مخرج واحد مع أنّ الدّال أقوى بالجهر و المعنىٰ المُتدثّر بثيابه.

قُمْ: فعل أمرٍ من قامَ يَقُوم.

فَأَنْذِرْ: الإنذار التّخويف.

ٱلرُّجْزَ: بضمّ الرّاء و سكون الجيم الإثم و المعصية، قال الكسائي هو، بكسر الرّاء العذاب و بفتحها الصَّنم و الوثن.

فَاهْجُرْ: الهجر التّرك.

نُقِرَ: أي نفخ النّاقور الصّور.

مَمْدُودًا: من المُدّ و هو الإمتداد و هو كناية عن الكثرة.

عَنِيدًا: العنيد الذّاهب عن الشّئ على طريق العداوة المعاند.

سَأُرْهِقُهُ: الإرهاق الإعجال بالعنف.

عَبَسَ: أي قبض وجهه تكرّهاً للحقّ.

بَسَرَ: بدو التُّكرّه في الوجه.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ: الإصلاء إلزام موضع النّار و أصله اللُّزوم و سقر بفتح السّين و القاف إسم من أسماء جهنَّم.

لَوَّاحَةٌ: أي مغيّرة و قيل حَرّاقة.

أَدْبَرَ: أي ولّىٰ.

أَسْفَرَ: أي كشف وأنار.

ٱلْيَقِينُ: الموت.

حُمُرٌ: بضمّ الحاء المهملة و الميم جمع حمار.

مُسْتَنْفِرَةٌ: من الفرار الذّهاب عن الشّئ خوفاً منه.

قَسْوَرَةٍ: قيل هي الرّماة و قيل هي الأسد.

مُنَشَّرَةً: النَّشر الغبط. و الصُّحف جمع صحيفة.

◄ الإعراب

ٱلْمُدَّثِّرُ كالمزّمل و قد ذكر تَسْتَكْثِرُ بالرّفع علىٰ أنّه حال و بالجزم على أنّه جواب أو بدل و بالنّصب على تقدير ليستكثر فَإِذَا نُقِرَ إذا ظرف و العامل فيه فَذَٰلِكَ لأنّه إشارة إلىٰ النّقر و يَوْمَئِذٍ بدل من إذا و (ذلك) مبتدأ و يَوْمٌ عَسِيرٌ الخبر وَ مَنْ خَلَقْتُ هو مفعول معه أو معطوف و وَحِيدًا حال من التّاء في خلقت لَا تُبْقِي حال من سقر لَوَّاحَةٌ بالرّفع أي هي لوّاحة جُنُودَ رَبِّكَ هو مفعول يلزم تقديمه ليعود الضّمير إلىٰ مذكور نَذِيرًا حال من الفاعل في قُمْ في أوّل السُّورة أو حال من الضّمير في، فأنذر في جَنَّاتٍ حال من أصحاب اليمين أو من الضّمير في يتسائلون لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ جواب مَا سَلَكَكُمْ و مُعْرِضِينَ حال من الضّمير في الجار فَرَّتْ حال وقد، معها مقدّرة إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ أي في وقت مشيّئة اللّه.

◄ التّفسير

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ

الخطاب للنّبي و المعنىٰ أيُّها المتدّثر بثيابه فأدغمت التّاء في الدّال لأنّ مخرجهما واحد مَع أنّ الدّال أقوى بالجهر فيها يقال دثر الرّسم إذا محى أثره و قرأ أبّي بن كعب يا أيُّها المُتدثّر علىٰ الأصل قيل معظم هذه السُّورة في الوليد بن المغيرة.

روى القُرطبي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه، في صحيح مسلم عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري و كان مِن أصحاب رسول اللّه ﷺ كان يحدّث قال: قال رسُول اللّه ﷺ و هو يحدّث عن فترة الوحي قال في حديث فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السّماء فرفعت رأسي فإذا المَلَك الّذي جاءني بحراء جالساً على

كرسي بين السّماء و الأرض قال رسول اللّه ﷺ فرجعت و قلت زمّلوني زمّلُوني فدّثروني إنتهىٰ.

قُمْ فَأَنْذِرْ

أي خوف المشركين من أهل مكّة و حذّرهم العذاب يوم القيامة إن لم يسلموا و قيل الإنذار هُنا إعلامهم بنبوّته و قيل هو دعائهم إلىٰ التّوحيد.

وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ

أى عظّمه وصفه بما هو يليق بشأنه قال بعض العُرفاء هذا القول و أن كان يقتضي بعمومه تكبير الصّلاة فأنّه يراد به التّكبير وا لتّقديس و التّنزيه لخلع الأنداد والأصنام دونه و لا تتّخذ وليّاً غيره و لا تعبد سواه.

وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ

أي و طهّر ثيابك فهو منصوب به و هكذا قوله: **وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ** أي فكبّر ربّك و قوله: **فَطَهِّرْ** الطّهارة و النّظافة الّتى تتحقّق بإنتفاء النجاسة.

فعن إبن عبّاس في قوله: **وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ** معناه من لبسها علىٰ معصيته كما قال تعالىٰ الشّاعر:

و انّي بحمد اللّه لا ثوب فاجر لبست و لا من غدرةٍ أتقنّع

و ذكر بعض المفسّرين فيه ثمانية أقوال:

أحدهما: أنّ المراد بالثّياب العمل.

الثّانى: القلب.

الثّالث: النّفث.

الرّابع: الجسم.

الخامس: الأهل.

السّادس: الخلق.

السّابع: الدّين، الثّياب الملبوسات على الظّاهر، فمن ذهب إلى القول الأوّل قال تأويل الأية، و عملك فأصلح و به قال مجاهد و ابن‌زيد، قيل إذا كان الرّجل خبيث العمل قالوا أنّ فلاناً خبيث الثّياب و إذا كان حسن العمل قالوا فلان طاهر الثّياب ثمّ.

روى عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنّه قال يحشر المرء في ثوبيه اللّذين ماتَ عليهما يعني العمل الصّالح و الطّالح.

أقول أخلاق الثّياب على العمل أو القلب أو النّفس و غيرهما ممّا لا كلام فيه فأنّ باب المجاز واسع كما يقال زيد كثير الرّماد مثلاً و هو كناية عن جوده فإرادة الجود من كثير الرّماد مجازاً لا يوجب حمل الرّماد عليه أينما وجد الرّماد في اللّفظ.

و حاصل الكلام أنّ ما ذكروه في المقام من الوجوه كلّها مجاز لا يطلق الثّياب عليها حقيقةً و اذا دار الأمر بين الحقيقة و المجاز فالحمل علىٰ الحقيقة أولى و أيُّ إشكالٍ في المقام في حمل لفظ الثّياب علىٰ معناه الحقيقي حتّىٰ نحتاج إلىٰ هذه التكلّفات الباردة الّتى ينكرها العقل السّليم و علىٰ هذا فنقول معنى الكلام هو تطهير الثّياب و لا سيّما في الصّلاة فأنّ طهارة الثّوب شرط في صحّتها.

و من المعلوم أنّ هذه الخطابات و أن كانت ظاهرة للنّبي إلاّ أنّ المراد بها الأمّة.

وَ ٱلرُّجْزَ فَاهْجُرْ

الرُّجز بضمّ الرّاء الإثم و المعصية و قيل هُو الاوثان و الأصنام و عن ابن‌عبّاس أنّه قال معناه المأثم ما ترك.

و قال الكسائي الرُّجز بالضمّ الصَّنم و بالكسر النّجاسة و المعصية و بالنَّصب الوعيد و الحقّ أنّ معناه كلّما يوجب الإثم فأتركه و هذا معنى يشمل الجميع.

وَ لٰا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ

قال ابن عبّاس و مجاهد و قتادة و غيرهم معناه لا تعط عطيّة لتعطي أكثر منها.

و قال الحسن و الرّبيع و أنس، معناه لا تمنّن حسناتك على اللّه مستكثراً لها.

و قال إبن زيد لا تمّنن ما أعطاك اللّه من النبوّة والقرأن مستكثراً إطاعتك.

و قال قومٌ لا تمّنن على النّاس، بما تنعم به عليهم على سبيل الإستكثار لذلك ثمّ أنّ **تَسْتَكْثِرُ** مجزومٌ على جواب النّهي و هو في مواضع الحال هذا كلّه ذكره الشّيخ في التّبيان.

و قد ذكر القرطبي أحد عشر تأويلاً في معنى الكلام و نحن أعرضنا عن نقلها لعدم الفائدة فيها و إن شئت الوقوف عليها فعليك بكتابه والّذي نقول في معنىٰ الآية.

ما روي عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية وهُو أنّه قال لا تستكثر ما عملت من خيرٍ للّه.

و عن الباقر عليه السلام: لا تعط العطيّة تلتمس أكثر منها.

ففي الحقيقة نهى اللّه تعالىٰ نبيّه ظاهراً و جميع الأمّة واقعاً عن إستكثار الخير و العمل، لأنّه يوجب العجب و هو من الأفات و انّما نهىٰ اللّه عن ذلك لأنّ كلّ يفعله العبد من الخيرات فهو من توفيق اللّه إيّاه فلا معنى لمنّة العبد و المفروض أنّه لا يقدر علىٰ شئ من عند نفسه.

و قال بعض المعاصرين في تفسيره ماهذا لفظه، و المعنى لا تمّنن إمتثالك لهذه الأوامر و قيامك بالإنذار و تكبيرك ربّك و تطهيرك ثيابك و هجرك الرُّجز حال كونك ترى ذلك كثيراً و تعجبه فأنّما أنت عبدٌ لا تملك من نفسك شيئاً إلاّ ملّكك اللّه و أقدرك عليه و هو المالك لما ملّكك والقادر على ما عليه أقدرك

فله الأمر و عليك الإمتثال ثمّ بعد نقله بعض الأقوال، قال، و قيل هو نهيٌ عن الرّبا المحرم أي لا تعط شيئاً طالباً أن تعطى أكثر ممّا أعطيت إنتهىٰ.

أقول ما ذكره‌ﷺ و اختاره لا إشكال فيه و هو قريبٌ ممّا ذكرناه من أنّ الخيرات الّتى تجري علىٰ يد العبد من توفيق اللّه و أمّا قوله فهذه الأوامر و إمتثالها كذا و كذا فهي داخلة تحت الهموم لأنّها من الخيرات فلا وجه لتطبيق الآية عليها فقط و أنّ المراد بقوله و لا تمّنن تستكثر، هو إمتثال هذه الأوامر.

وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ

قيل معناه و لأجل ربّك فأصبر على عطيّتك، و قيل فأصبر على أذىٰ المشركين، و قيل فأصبر على ما أمرك به من أداء الرّسالة و تعليم الدّين و ما ينالك من الأذىٰ و التّكذيب.

أقول لا شكّ أنّ الصّبر علىٰ المكاره من أحسن الصّفات و قد أمر اللّه جميع أنبيائه به على ما نالهم من الأذىٰ و التّكذيب من ناحية الكفّار كذلك لرسول اللّه ﷺ.

قال اللّه تعالى: **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**[1] فأن الصّبر مفتاح الفَرج.

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ

النّاقور فاعول من النَّقر كأنّه الّذي من شأنه أن ينقر فيه للتّصويت و النَّقر في كلام العرب اصَّوت و منه قول إمرؤ القيس:

أخفّضه بالنَّقر لمّا علوته يرّفع طرفاً غير خافٍ غضيّض.

١- الاحقاف = ٣٥

فالمعني فإذا نفخ في الصُّور و هو يوم البعث فذلك اليوم يومٌ شديدٌ على الكافرين غير يسير أي غير سهلٍ و لا هيّن و ذلك أنّ عقدهم لا تنحّل إلاّ إلى عقدةٍ أشدّ منها بخلاف المؤمنين المذنبين فانّها تنحلّ إلى ما هو أحطّ منها حتّى يدخلوا الجنّة و المقصود أنّ اللّه تعالىٰ يقول لنبيّه **لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** إلىٰ اليَوم الموعود الّذي يرونه بعيداً و نراه قريباً ثمّ قال تعالىٰ لنبيّه:

ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا، وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَ بَنِينَ شُهُودًا، وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا

ذرني، أي دعني و هى كلمة وعيد و تهديد، و من خلقت وحيداً، أي دعني و من خلقته وحيداً، فقوله: **وَحِيدًا** حال من ضمير المفعول المحذوف أي خلقته وحده لا مال له و لا ولد ثمّ أعطيته بعد ذلك ما أعطيته.

قال المفسّرون هو الوَليد بن المغيرة المخزومي و أن كان النّاس خلقوا مثله لا أنّه خصّ بالذّكر لإختصاصه بكفر النّعمة و إيذاء الرَّسول و كان يسمّىٰ الوحيد في قومه.

قال إبن عبّاس كان الوليد يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظيرٌ و لا إلى المغيرة نظيراً و كان يسمّىٰ الوحيد، و قال قوم أنّ **وَحِيدًا** يرجع إلىٰ الرَّب تعالىٰ على معنيين:

أحدهما: ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الإنتقام منه من كلّ منتقم.

الثّاني: أنّي إنفردت بخلقه و لم يشركني فيه أحد فأنا أهلكه و لا أحتاج إلى ناصرٍ في إهلاكه و على هذا فقوله: **وَحِيدًا** حال من ضمير الفاعل التّاء في خلقت و الأوّل قول مجاهد.

و الثّاني: قول الجمهور و هو أقرب الى الصَّواب و أمّا قوله: **وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا** أي خولّته و أعطيته مالاً ممدوداً أي كثيراً، و أمّا ما ذكره بعض المفسّرين من تعيين مقدار المال فلا دليل عليه و لا نحتاج إليه فأنّ كثرة المال

تشمل جميع ما ذكروه أو أقلّ أو أكثر و فى هذا الكلام إشارة إلىٰ أنّ كثرة النّعمة توجب الطُّغيان علىٰ الرَّب غالباً.

وَ بَنِينَ شُهُودًا البنين أولاد الذُّكور كما أنّ البنات أولاد الاناث و قوله: **شُهُودًا** معناه أنّه يتمتّع بمشاهدتهم و ينتفع بحضورهم، و قيل كان بنوه لا يغيبون عنه لغنائهم عن ركوب السَّفر في التّجارة قاله في التّبيان.

و قال مجاهد و قتادة كانوا عشرة و قيل أثنى عشر و قيل سبعة ولدوا بمكّة و خمسة بالطّائف و قيل كانوا ثلاثة عشر ولداً، و قال مقاتل كانوا سبعة أسلم منهم ثلاثة، خالد بن هشام و الوليد بن الوليد قال فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان في ماله و ولده حتّىٰ هلك.

و قال بعضهم في معنىٰ الشّهود أنّه أي الوليد إذا ذكر ذكروا معه، و قيل معناه قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده و القيام بما كان يباشره و قيل غير ذلك و الكلّ محتمل لا دليل عليه والّذي نصَّ عليه القرأن هو أنّه كان له بنين و شهوداً و معنىٰ الشّهود الحضور.

وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا أي بسطت له في العيش بسطاً و قيل سهَّلت له التَّصرف في الامور تسهيلاً، و التَّمهيد عند العرب التَّوطئة و التَّهيئة و منه (مَهدُ الصَّبي).

و قال إبن عبّاس أي وسَّعت له ما بين اليَمن و الشّام.

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ

أي أنّه لَم يشكر علىٰ هذه النِّعم و كفر بها و معذلك يطمع الزّيادة فيها.

كَلَّآ إِنَّهُ كَانَ لِاٰيَاتِنَا عَنِيدًا

كلاّ، للرَّدع و الزَّجر و المعنىٰ ليس يكون كذلك مع كفره أي لا نزيد على ما أعطيناه شيئاً فأنّ زيادة النّعمة مسبّبةٌ عن الشّكر عليها كما أنّ العذاب على

النّعمة مسبّبٌ عن الكفر بها قال تعالىٰ: **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ**[1].

و على هذا فمن كفر بالنِّعمة كيف يطمع الزّيادة عليها اللّهم إلاّ أن يطمع زيادة العذاب ثمّ علّل الزّجر و المنع عن الزّيادة بقوله: **إِنَّهُ كٰانَ لِاٰيٰاتِنٰا عَنِيدًا** أي معانداً منكراً لها و المراد بالأيات أمّا أيات الكتاب المعبّر عنها بالأيات التّشريعيّة، و أمّا النبوّة و المعجزات المعبّر عنها بالأيات التّكوينيّة و يظهر من الآية أنّه كان منكراً للجميع كما هو شأن الكافر المعاند.

سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا

الإرهاق الإمجال بالعنف أي سألجاه و قيل معناه سأكلّفه صعوداً فالصُّعود جبلٌ من نار يتصعّد فيه سبعين خريفاً ثمّ يهوي فيه أبداً الصُّعود العقبة الّتى يصعب صعودها و هى الكئود و الكدود في إرتفاعها و نقيض الصُّعود الهبوط ثمّ علّل اللّه ذلك العذاب بقوله:

إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَ ٱسْتَكْبَرَ

ذكر اللّه تعالىٰ من أوصافه الّتى أوجبت له العذاب في القيامة أموراً:

أحدها: إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ أي فكر فكراً باطلاً لأنّه لو فكر على وجه الحقّ و طلب الرّشاد به لم يكن مذموماً، و قيل أنّه فكر في شأن النّبي و القرأن **وَ قَدَّرَ** أي هيّأ الكلام في نفسه فقال أنّه كذّب و نسب النّبي إلىٰ السّحر و الجنون في القرأن أنّه من أساطير الأوّلين و امثال ذلك من الأباطيل.

روي أنّه لما نَزَل، **حٰمٓ، تَنْزِيلُ ٱلْكِتٰابِ مِنَ ٱللّٰهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ** الى قوله: **إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ**[2] فسمعه الوليد و قال واللّه لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام

١- إبراهيم = ٧ ٢- غافر = ١ الى ٣

الإنس و لا هو من كلام الجنّ و أنّ له لحلاوة، و أنّ عليه لطلاوة، و أنّ أعلاه لمثمر، و أنّ أسفله لمغدق، و أنّه ليعلوا و لا يعلى عليه، و ما يقول هذا بشر فقالت قريش صبا الوليد لتصبون قريش كلّها و كان يقال للوليد ريحانة قُريش.

الثّاني: قوله: **فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** أي لعن و عذّب كيف قدَّر، و قيل كيف تعجبٌ كما يقال للرَّجل تتعجّب من صنيعه كيف فعلت هذا و ذاك كقوله تعالىٰ: **أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ**[1].

الثّالث: **ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** أي لعن لعناً بعد لعنٍ، و قيل عوقب بعذابٍ أخر كيف قدَّر من ابطال الحقّ تقديراً أخر، و قيل لعن بما يجري مجرى القتل.

الرّابع: قوله **ثُمَّ نَظَرَ** أي نظر بأيّ شئٍ يردّ الحقّ و يدفعه.

الخامس: قوله **ثُمَّ عَبَسَ** أي قبض وجهه تكرّهاً للحقّ يقال عبس يعبس عبوساً، فالعبوس و التّكليح و التّغطيب نظائر و ذلك أنّه مرَّ على جماعة المسلمين فدعوه إلىٰ الإسلام فعبس في وجوههم و **بَسَرَ** فالبسور بدو التكرّه الّذي يظهر في الوجه و أصله من قولهم بسر بالأمر إذا عجل به قبل حينه.

السّادس: قوله **ثُمَّ أَدْبَرَ وَ ٱسْتَكْبَرَ** الإدبار الإعراض و هو ضدّ الإقبال يقال أدبر عن الشّئ أي أعرض عنه و المراد في الآية الإعراض عن الحقّ و لازم ذلك الإقبال إلى الباطل و الإستكبار من الكبر أي تكبَّر و تعظّم عن أن يؤمن باللّه و رسوله و هذا كما أنّ الشّيطان أبي و إستكبر عن السُّجود لأدم فهذه الصّفات المذكورة أوجبت له خزي الدُّنيا و عذاب الأخرة.

فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ

أي الّذي أتىٰ به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من الأيات و المعجزات ليس إلاّ سحراً يؤثر أي يأثره عن غيره و السِّحر الخديعة و قيل هو إظهار الباطل في صورة الحقّ و

١- الاسراء = ٤٨

الأثِرة من أثرت الحديث إذا ذكرته من غيرك فقوله: **سِحْرٌ يُؤْثَرُ** معناه سحرٌ أخذه من غيره و(إن) نافية بمعنى ليس أي ليس هذا إلاّ سحرٌ أخذه من غيره.

إِنْ هٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ

إن، أيضاً نافية أي ليس هذا أي الكتاب إلاّ قول البشر و ليس كلام اللّه.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ

لمّا قال الوليد بن المغيرة ما قال من الأباطيل و حمل معجزات النّبي على السِّحر و قال أنّ القرأن ليس إلاّ قول البشر قال اللّه تعالى مهدّداً له و متوعّداً إيّاه **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** أي ألزمه جهنّم و بعبارةٍ أخرى سأدخله نار جهنّم، فقوله: **سَقَرَ** من أسماء جهنّم و الإصلاء إلزام موضع النّار و أصله اللُّزوم ثمّ قال تعالىٰ لنبيّه.

وَ مَآ أَدْرٰيكَ مَا سَقَرُ

أنّما قال ذلك إعظاماً لها و تهويلاً و المعنىٰ ما أعلمك اللّه كنه جهنّم و حقيقتها.

لَا تُبْقِي وَ لَا تَذَرُ

قيل معناه لا تبقي من فيها حيّاً و لا تذره ميتاً، و قيل معناه لا تبقي أحداً من أهلها إلاّ تناولته من العذاب، و قيل لا تترك عظماً و لا لحماً و لا دماً إلاّ أحرقته.

لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ

أي مغيرةٌ من (لاحَه) إذا غيره و قراءة العامّة لوّاحةٌ، بالرّفع على أنّها نعتٌ لقوله: **سَقَرُ** أي و ما أدراك ما سقر لوّاحةٌ للبشر ثمّ أنّهم إختلفوا في معناها.

فقال مجاهد معناها مغيّرة لجلد الإنسان الّذي هو البشرة، و قيل لوّاحة بمعنى، حرّاقةٌ و قيل، تلفح وجوههم لفحةً تدعها أشدّ سواداً من اللّيل.

عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ

أي على سقر و هى جهنَّم تسعة عشر من الملائكة الموكّلين عليها يلقون فيها أهلها.

وَ مٰا جَعَلْنٰآ أَصْحٰابَ اَلنّٰارِ إِلّٰا مَلاٰئِكَةً وَ مٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ إِلّٰا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ وَ يَزْدٰادَ اَلَّذِينَ اٰمَنُوٓا إِيمٰانًا وَ لاٰ يَرْتٰابَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ اَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ اَلْكٰافِرُونَ مٰاذٰآ أَرٰادَ اَللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلًا كَذٰلِكَ يُضِلُّ اَللّٰهُ مَنْ يَشٰآءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰآءُ وَ مٰا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلّٰا هُوَ وَ مٰا هِيَ إِلّٰا ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ

فقوله: **وَ مٰا جَعَلْنٰآ أَصْحٰابَ اَلنّٰارِ إِلّٰا مَلاٰئِكَةً** لأنّهم خلاف جنس المعذّبين من الجنّ و الإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرّقة والرّأفة و لأنّهم أقوم خلق اللّه بحقّ اللّه و بالغضب له و لأنّهم أشدّ خلق اللّه بأساً و أقواهم بطشاً هكذا قيل في وجه كون أصحاب النّار من الملائكة و عليه أكثر المفسّرين فيما نعلم و الحقّ أنّ ما ذكروه من مستخرجات ظنونهم و أهواءهم إذ لا دليل من العقل و النّقل على صحّة ما ذكروه و الآية لا تدلّ على أكثر ممّا يظهر منها من أنّ اللّه تعالى جعل على النّار ملائكة و لا يبعد أن تكون الملائكة الموكّلين علىٰ النّار من جنس النّار بخلاف الملائكة الموكّلين على الجنّة واللّه أعلم.

وَ مٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ إِلّٰا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا أي ما جعلنا عدّة الملائكة الموكّلين علىٰ النّار، تسعة عشر، إلاّ فتنةً و اختباراً للكفّار، و قيل إلاّ محنةً و تشدّيداً للتّكليف للّذين كفروا نعم اللّه و جحدوا ربوبيّته ليلزمهم النّظر في ذلك ذكره الشّيخ في التّبيان.

و قال بعض المفسّرين أي جعلنا ذلك بسبب كفرهم و سبب العذاب.

قال إبن عبّاس لمّا نزل **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمّهاتكم، أسمع إبن أبي كبشة يخبركم أنّ خزنة جهنّم تسعة عشر و أنتم الدَّهم، أي العدد و الشَّجعان فيعجز كلّ عشيرة منكم أن يبطشوا بواحدٍ منهم فقال أبوالأسود بن كلدة لا يهولنّكم التِّسعة عشر أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة و بمنكبي الأيسر، التِّسعة ثمّ تمرُّون إلى الجنَّة يقولها مستهزءاً.

و في رواية أنّ الحرث بن كلدة قال أنا أكفيكم سبعة عشر و أكفوني أنتم أثنين، و قيل أنّ أبا جهل قال أفيعجز كلّ مائة منكم أن يبطشوا بواحدٍ منهم ثمّ تخرجون من النّار، و قيل أنّ افتنانهم به هو استبعادهم أن يتوّلى هذا العدد تعذيب أكثر الثَّقلين.

لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَ يَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَٰنًا أي أنّما فعلنا ذلك ليعلم أهل الكتاب يقيناً أنّ محمّداً ﷺ صادق من حيث أنّه أخبر بما في كتبهم من غير قراءةٍ لها و يزداد الّذين أمنوا، بمحمّدٍ ﷺ و ما جاء به (إيماناً) مضافاً إلىٰ إيمانهم لأنّهم وجدوا ما أخبرهم النّبي حقّاً.

وَ لَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ و هم اليهود و النّصارىٰ و(المؤمنون) الّذين أمنوا باللّه و رسوله و بعبارةٍ أخرىٰ لا يشكّ أهل الكتاب و أهل الإيمان في أنّ ما في الكتاب أعني التّوراة و الإنجيل و ما أخبرهم النّبي حقّ لا مرية فيه.

وَ لِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ ٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا أي و ليقول الّذين في قلوبهم نفاق و العناد و الكافرون باللّه و رسوله و اليوم الأخر، ماذا أراد اللّه بهذا (يعني بعَدَد خَزَنة جَهنّم).

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَشَآءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ أي مثل ما فضح اللّه هؤلاء الكفّار و ذمَّهم، يضلّ من يشاء منهم، لا ما زعم هؤلاء الكفّار و القائلون بالجبر من أنّ اللّه خلقهم كافراً و أعجزهم عن الإيمان و المقصود أنّا نختبرهم في الدُّنيا فمنهم من يؤمن و منهم من يكفر بالإيمان و الكفر بسوء إختيارهم و عنادهم ربّك بظلّامٍ للعبيد.

وَ مٰا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلّٰا هُوَ وَ مٰا هِيَ إِلّٰا ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ أي أنّما قُلنا (تسعة عَشَر) لأجل الإختبار و الإمتحان ليهلك من هلك عن بَيّنة و يحيا من حيّ عنها، و إلاّ فجنود ربّك لا تعدّ و لا تحصى لا يعلمها إلاّ خالقها و ما هي أي الجنود إلاّ ذِكرىٰ، أي تذكرةٌ للبشر وعظةٌ له فأنّ اللّه تعالىٰ لا يحتاج إلىٰ ناصرٍ و معينٍ و محصّل الكلام في هذه الآية هو إختبار النّاس من المؤمن و الكافر كما قال: **أَحَسِبَ ٱلنّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوٓا أَنْ يَقُولُوٓا ءَامَنّٰا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ**[1].

قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: وطّت السّماء وحقٌّ أن تئط ما فيها موضع قدمٍ إلاّ و فيه ملك واضع جبهته للّه ساجداً إنتهىٰ.

كَلّٰا وَ ٱلْقَمَرِ، وَ ٱللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ، وَ ٱلصُّبْحِ إِذٰآ أَسْفَرَ، إِنَّهٰا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ، نَذِيرًا لِلْبَشَرِ، لِمَنْ شٰآءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ

قال الفّراء، كلاّ، صلة للقسم و التّقدير **وَ ٱلْقَمَرِ** و قيل المعنىٰ حقّاً، و القمر، أي ليس الأمر كما يقول من زعم أنّه يقاوم خزنة النّار كما نقلناه عن أبي جهل و أتباعه ثمّ أقسم اللّه عزّ و جلّ على ذلك بالقمر و ما بعده فقال حقّاً أقسم بالقمر، و اللّيل إذا أدبر، أي أقسم باللّيل إذا أدبر أي، ولّى، و قال بعض أهل اللُّغة، دبر اللّيل إذا مضىٰ، و أدبر معناه أخذ في الإدبار و الصُّبح إذا أسفر، أي أقسم بالصُّبح إذا أسفر أي أضاء يقال أسفر وجهه حسناً أي أشرق، و سفرت إمرأة، كشفت عن وجهها **إِنَّهٰا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ** هي جمع (كُبرىٰ) و هى العظمى، و هو جواب القسم أي أقسم بالقمر و اللّيل إذا أدبر، أنّها أي نار جهنّم لإحدى الكبر أي لإحدى الدَّواهي، و قيل الكبر، من أسماء النّار و قيل معناه أنّ السّاعة لإحدى الكبر هي العظائم من العقوبات قال الرّاجز:

يابن المعلّىٰ نزّلت إحدى الكبر داهية الدّهر و صمّاء الغير

١- العنكبوت = ٢

و قوله: **نَذِيرًا لِلْبَشَرِ** أي النّار أو السّاعة، نذيراً، أي منذراً، و مخوّفاً للبشر فقوله: **نَذِيرًا** نصب علىٰ الحال من الضّمير في أنّها، و أنّما ذكّر لأنّ معناه العذاب أو أراه ذات إنذار على معنى النّسب كقولهم إمرأة طالق و طاهر.

و قال الخليل النّذير كالنّكير و لذلك يوصف به المؤنّث **لِمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ** أي نذيراً لمن شاء منكم أن يتقدّم إلى الخير أو يتأخّر، أو أنّها أي السّاعة و القيامة تكون نذيراً لمن شاء منكم أن يتقدّم و يسرع إلى الإيمان بها أو يتأخّر فالمعنى واضح ثمّ قال تعالىٰ.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلَّآ أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ، فِي جَنَّاتٍ يَتَسَآءَلُونَ

حكمٌ كلّي لا إستثناء فيه لأحدٍ من الخلق و المعنى كلّ نفسٍ مرتهنةٌ بكسبها من خيرٍ أو شرٍّ.

قال بعض الأدباء، أنّ رهينة إسمٌ بمعنى الرّهن كالشَّتيمة بمعنى الشَّتم كأنّه قال كلّ نفسٍ بما كسبت رهينٌ و منه بيت الحماسة:

أبعد الّذي بالنَّصف نصف كويكبُ رهينة رمسٍ ذي ترابٍ و جندل

فليست **رَهِينَةٌ** صفة للنّفس لأنّه لو قصدت الصّفة لقيل (رَهين) لأنّ (فَعيلاً) بمعنىٰ مفعُول يستوي فيه المذّكر و المؤنّث إنتهىٰ.

أقُول فعلىٰ هذا يكون المعنى كلّ نفسٍ رهنٌ بكسبها عند اللّه **إِلَّآ أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ** إستثنى من الحكم أصحاب اليمين.

قال صاحب الكشّاف فأنّهم فكُّوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الرّاهن بأداء الحقّ.

و قال في التّبيان إستثنى من النّفُوس فقال: **إِلَّآ أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ**، و الإستثناء منقطع لأنّ أصحاب اليمين ليسوا من الضّلال الّذين هم رهنٌ بما كسبوه إنتهىٰ.

أقول فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالىٰ: **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** هو نفوس الكفّار و الضلاّل.

إن قلت أن كان الحكم في المستثنى منه عامّاً بمعنى أنّ كلّ إنسان رهنٌ بما كسبه فما معنى الإستثناء أليس أصحاب اليمين من أفراد الإنسان و علىٰ هذا فيلزم أن يكون الحكم مختصّاً بغير أصحاب اليمين من أوّل الأمر فلا عموم فيه.

قلت الإستثناء لا ينافي عموم الحكم فأنّ العموم باقٍ على حاله إلاّ أنّ بعض الأفراد يفكُّون رقابهم عن الرَّهن في الدُّنيا بسبب الإيمان و الإتيان بالأعمال الصّالحة فيردون المحشر و رقابهم منفكّة عن الرَّهن و هذا لا ينافي كونهم قبل الفكّ رهين الكسب و بعبارةٍ أخرى الإنسان بما هو هو مرهون بكسبه إلاّ أنّ بعض الأفراد يفكُّون الرّهن في الدُّنيا و هم أصحاب اليمين و بعضهم ليس كذلك و هم أصحاب الشّمال و على هذا فالإستثناء متّصل ثمّ أنّ اللّه تعالى أشار إلى أحوال أصحاب اليمين فقال: **في جَنّاتٍ** أي أنّهم مقيمون بها و يتنعّمون فيها بأنواع النِّعم.

يَتَسَآءَلُونَ أي يسأل بعضهم بعضاً فأنّ التّسائل التّفاعل و هو يتحقّق من الطَّرفين مثل التّضارب و هو أن يضرب بعضهم بعضاً.

عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ

أي يسأل بعضهم بعضاً عن أحوال المجرمين و هم الكفّار و المشركون و العصاة.

و قال بعض المفسّرين **يَتَسَآءَلُونَ** أي يسئلون عن أحوال المجرمين فيقال لهم إسألوا عنهم فيقولون لهم.

ما سلككم أي أدخلكم في سقر أي يسأل الرّجل من أهل الجنّة الرَّجل من أهل النّار بإسمه فيقول يا فلان ما سلكك في سَقر، أي أيُّ شيءٍ أدخلك في النّار (قالوا) أي قال المجرمون.

قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ

أي لم نك في الدُّنيا من المؤمنين الّذين كانوا يصّلون.

وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ و هُو الفقير **وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ**

أي كنّا نخالط أهل الباطل في باطلهم فقلنا ما قالوا من الكفر و فعلنا ما فعلوا من الأعمال القبيحة و بعبارةٍ أخرىٰ تابعنا الكفّار و العصاة قولاً و فعلاً و إعتقاداً هو معنى الخوض لا صرف المخالطة و المعاشرة.

وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ

أي كنّا نكذّب بيوم الجزاء و هو يوم القيامة و كنّا كذلك.

حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ

أي حتّىٰ أتانا الموت فمتنا على الكفر و الالحاد ذكر اللّه تعالى في هذه الأيات أنّ الّذي أوقعهم فيما أوقعهم من الدُّخول في النّار هو تركهم الصّلاة أوّلاً.

و البخل عن الإنفاق ثانياً.

و متابعة العصاة ثالثاً.

و إنكار المعاد رابعاً.

فهم في الحقيقة أنكروا أصول الدّين بالكلّية و لا نعني بالكفر إلاّ هذا فقولهم لم نكُ من المصلّين، دليلٌ علىٰ عدم إيمانهم باللّه و رسوله ففيه إنكار التّوحيد و النبوّة و قولهم (وكُنّا نُكذّب بالدّين) دليلٌ علىٰ إنكارهم المعاد و عدم الإعتقاد به و لا نعني بالأصول الثّلاثة الّتى عليها مدار الإسلام إلاّ التّوحيد و النبوّة و المعاد هذا كلّه مضافاً إلى بخلهم و امساكهم من إطعام المساكين و الإنفاق عليهم فأنّ البخيل لا يدخل الجنّة و فى قولهم: **حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ** اشارة إلىٰ عدم توبتهم من الكفر قبل الموت و لذلك عبَّر اللّه تعالى عنهم

بالمجرم **يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ** و من المعلوم أنّ من كان كذلك لا تنفعه شفاعة الشّافعين لو كانت و إلى هذا المعنىٰ أشار اللّه بقوله:

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ

الّذين يشفعون لهم و الّذي يخطر بالبال هو أنّ المراد بالشّافعين في الآية قولهم في الأصنام و الأوثان **هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَآؤُنَا عِنْدَ ٱللَّهِ**[1] و علىٰ هذا فالمعنىٰ ما تنفعهم شفاعة الشّافعين الّذين كانوا يزعمون أنّهم شفعاؤهم عند اللّه.

فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ

ما، إستفهاميّة على سبيل التّهديد و التّخويف و المعنى أيُّ شئٍ لهم و لم أعرضوا و تولُّوا **عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ** و النّبوة و الرّشد و لم يتّعظوا به إلى أن صاروا إلىٰ جهة الضّلال، و قيل المراد بهم أهل مكّة من الكفّار، أي فأيُّ شئٍ لأهل مكّة قد أعرضوا وتولوا عن الحقّ فأنكروا التّوحيد و النّبوّة و المعاد بعد إتمام الحجّة عليهم بوجود النّبي و إنزال القرأن، هكذا قيل و أنت ترى أنّه لا دليل علىٰ تخصيص الآية بأهل مكّة فأنّ الآية علىٰ عمومها تشمل جميع الكفّار في كلّ عصرٍ و زمانٍ فأنّ الأوصاف المذكورة في أيّ شخصٍ وجدت فهو من مصاديق الآية فأنّ تعليق الحكم على الوصف مشعرٌ بالعلّية ثمّ أنّ اللّه تعالىٰ شبّه هؤلاء القوم بالحمر الوحشيّة فقال:

كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ

حُمُر بضمّ الحاء و الميم جمع حمار.

و قال إبن عبّاس المراد به الحمار الوَحشي فانّه يفرّ من الإنسان أو من الرّماة و السّبع و أمّا الحِمار الأهلي فَليس كذلك و الإستنفار و النّفر بمعنى **فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ** الفرار الذّهاب عن الشّئ خوفاً منه والفارّ الهارب والهرب نقيض

١- يونس = ١٨

الطَّلب و القسورة، الأسد و المعنى أنّهم أي الكفّار كالحمر الوَحشيّة الّتى تفرُّون من الأسد خوفاً منه، و قيل المراد بها، هو الرّامي للصَّيد و به قال إبن عبّاس. و في روايةٍ أخرى عنه هي جماعة الرّجال.

أقول القسورة من أسماء الأسد بلا كلام و من أسماء الأسد الغضنفر، و اللّيث، و الحارث، و الهزبرة، و الحيدر، و الضَّيغم، أيضاً و كيف كان فقد شبَّههم اللّه تعالىٰ بالحمر الوحشيّة عن الأسد أو الصَّياد ولم يعلموا أنّ الأنبياء لم يبعثوا إلاّ لإرشادهم إلى طريق الحقّ و إخراجهم من الظُّلمات إلىٰ النُّورالجهل إلى العلم فهم لهم بمنزلة الطَّبيب الّذي يريد معالجة المريض فيأمره بشرب الدّواء و ترك الأكل ممّا يضرّ به و المريض الجاهل لا يعلم بذلك لا سيّما إذا كان المريض من الصِّبيان الّذين لا يعلمون خيرهم من شرّهم و نفعهم من ضررهم فيظنُّون أنّ الطَّبيب من أعدائهم و ما أقبح ذلك الظّن بالرّجل الّذي يدّعي العقل و الفهم و مع ذلك كان عمله عمل الصبيّ الّذي لا عقل له و لقد صدق اللّه تبارك و تعالىٰ و من أصدق من اللّه قيلاً حيث شبَّههم بالحمر الوحشيّة قال تعالىٰ: **لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها** الىٰ قوله: **أُولٰئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ** ثمّ قال تعالىٰ.

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً

أخبر اللّه تعالىٰ عن هؤلاء الكفّار بأنّه يريد كلّ إمرئٍ منهم، أي كلّ واحدٍ من رجالهم أن يؤتى صحفاً منشّرة، أي كتباً تنزل من السّماء كتاباً إلىٰ فلان و كتاباً إلى فلان و أن أمنوا بمحمّدٍ ﷺ قيل أنّ أبا جهل و جماعة مِن قريش قالوا لرسول اللّه ﷺ يا محمّد أئتنا بكتبٍ من ربّ العالمين مكتوبٌ فيها أنّي أرسلت محمّداً ﷺ إليكم فأتّبعوه.

و قال إبن عبّاس كانوا يقولون أن كان محمّداً صادقاً فيما إدَّعاه من النّبوّة فليصبح عند كلّ رجل منّا صحيفة فيها براءته و براءة أمّته من النّار و قيل أنّهم

أرادوا أن يعطوا بغير عملٍ و غير ذلك من الإحتمالات فقال تعالىٰ في الجواب **كَلَّا** أي ليس يكون ذلك **كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ** لعدم إعتقادهم بها **كَلَّآ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ** يعني القرأن تبصرةٌ و موعظة لمن عمل به و إتّعظ بما فيه.

فَمَنْ شَآءَ ذَكَرَهُ

أي فمن شاء أن يتذكّر بالقرأن و يتعظّ به، فعل لأنّه قادرٌ عليه.

وَ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ

أي و ما يتذكّرون و لا يتعظّون إلاّ أن يشاء اللّه **هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ** أي أنّ اللّه تعالىٰ هو أهل أن يتّقى عقابه و أهل أن يعمل بما يؤدّي إلى مغفرته و على هذا فقوله: **هُوَ** أي اللّه تعالىٰ هكذا فسَّروا الكلام.

اقول يحتمل أن يكون مرجع الضّمير من يتذكّر و يتعظّ بالقرأن و المعنى أي المتذكّر و المتعظّ أهل التّقوىٰ و المغفرة هذا ما خطر ببالي واللّه أعلم بما قال وأراد.

■

سورة القيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ ﴿١﴾ وَ لَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ
ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسٰانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظٰامَهُ
﴿٣﴾ بَلٰى قٰادِرِينَ عَلٰىٓ أَنْ نُسَوِّيَ بَنٰانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنْسٰانُ لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيّٰانَ يَوْمُ
ٱلْقِيٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذٰا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَ خَسَفَ ٱلْقَمَرُ
﴿٨﴾ وَ جُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَ ٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنْسٰانُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلّٰا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلٰى رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنْسٰانُ يَوْمَئِذٍ بِمٰا
قَدَّمَ وَ أَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنْسٰانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ
﴿١٤﴾ وَ لَوْ أَلْقٰى مَعٰاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسٰانَكَ
لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْاٰنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذٰا
قَرَأْنٰاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا بَيٰانَهُ ﴿١٩﴾
كَلّٰا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعٰاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَ تَذَرُونَ ٱلْاٰخِرَةَ
﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلٰى رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ
﴿٢٣﴾ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ
بِهٰا فٰاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلّٰآ إِذٰا بَلَغَتِ ٱلتَّرٰاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَ قِيلَ

مَنْ راقٍ ﴿٢٧﴾ وَ ظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِراقُ ﴿٢٨﴾ وَ ٱلْتَفَّتِ ٱلسّاقُ بِالسّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَساقُ ﴿٣٠﴾ فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلّىٰ ﴿٣١﴾ وَ لٰكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلْأُنْثىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتىٰ ﴿٤٠﴾

◄ اللّغة

ٱللَّوّامَةِ: كثيرة اللَّوم.

بَنانَهُ: البنان عند العَرب الأصابع.

بَرِقَ: أي لمع.

خَسَفَ ٱلْقَمَرُ: أي ذهب ضوءه.

لا وَزَرَ: الوَزَر في اللُّغة ما يلجأ اليه من حصنٍ أو جبلٍ أو غيرهما.

مَعاذِيرَهُ: المعاذير جمع معذار و هو السِّتر.

ناضِرَةٌ: من النُّضرة الّتى هي الحُسن والنّعمة.

ناظِرَةٌ: من النَّظر.

فاقِرَةٌ: الفاقرة الدّاهية والأمر العظيم يقال كَسرَتْهُ الفاقِرة أي الّداهية.

ٱلتَّراقِيَ: أي بلغت الرُّوح التّراق و هو الّذي يقال له الترقوة.

رَاقٍ: من رَقِيَ يَرقىٰ إذا صعد.
ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ: أي الشدّة بالشدّة.
ٱلْمَسَاقُ: المصير والمرجع.
يَتَمَطّىٰ: أي يتبختر إفتخاراً بذلك.
سُدًى: أي يخّلى مهملاً و قيل سدىً، ترعىٰ بلا راعٍ.

◄ الإعراب

قَادِرِينَ حال من الفاعل و أَمَامَهُ ظرف بَلِ ٱلْإِنْسَانُ هو مبتدأ و بَصِيرَةٌ خبره و وُجُوهٌ مبتدأ و نَاضِرَةٌ خبره و جاز الإبتداء بالنّكرة لحصول الفائدة و مَنْ مبتدأ و رَاقٍ خبره و سُدًى حال و ألفه مبدّلة من واو.

◄ التّفسير

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ، وَ لَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ

قيل، لا في الموضعَين صلة و التّقدير، أقسم، و قيل هي تأكيد كقولك لا واللّه، بلى واللّه، ما كان كذا، و قال الحسن أقسم اللّه تعالىٰ بيوم القيامة و لم يقسم بالنّفس اللَّوامة بل نفى أن يقسم بها، و قيل أنّ جواب القسم محذوف و تقديره ليس الأمر علىٰ ما تتوهّمون، و قال اللَّيث السّمرقندي، أجمع المفسّرون علىٰ أنّ معنىٰ (لا أُقسِم) أقسم، و أختلفوا في تفسير (لا) فقال بعضهم، لا زيادة في الكلام للزّينة و يجري في كلام العرب زيادة (لا) كقوله تعالىٰ: **قٰالَ مٰا مَنَعَكَ أَلّٰا تَسْجُدَ**[1] يعني أن تسجد، و قال بعضهم (لا) ردٌّ لكلامهم حيث أنكروا البَعث فقال تعالىٰ، ليس الأمر كما زعمتم قال إمرؤالقيس:

فلا و أبيك إبنه العامِرى لا يدّعي القوم أنّي أفرّ

١- الاعراف = ١٢

و كيف كان فاللّوامة صفة للنّفس و اللّوامة الكثيرة اللّوم لقلّة رضاها بالأمر.

قال سعيد بن جبير هي الّتى تلوم على الخير و الشرّ، و قيل معناه لا صبر لها على محن الدُّنيا و شدائدها فهي كثيرة اللّوم فيها، و قال الحسن اللّوامة هي الّتى تلوم نفسها علىٰ ما ضيَّعت من حقّ اللّه يوم القيامة و هى نفس الكافر، و قيل أي بنفس المؤمن الّذي لا تراه إلاّ يلوم نفسه دائماً قاله إبن عبّاس و مجاهد و الحسن و غيرهم.

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ

الإستفهام للإنكار أي تجمع العظام قطعاً و هذا ردٌّ على منكري البعث و النُّشور قيل هذا جوابٌ للقسم أي أقسم بيوم القيامة و بالنّفس اللّوامة لنجمعنّ العظام للبعث و قيل جواب القسم محذوف أي لنبعثنّ و المراد بالإنسان هنا الكافر المكذِّب للبعث نزّلت الآية في عدِّي بن ربيعة قال للنبي حدثني عن يوم القيامة متى تكون و كيف أمرها وحالها فأخبره النّبي بذلك فقال: **لو عانيت ذلك اليوم لم أصدّقك يا محمّد و لم أومن بك (به) أو يجمع اللّه العظام و لهذا كا النّبي** صلى الله عليه وآله وسلم **يقول اللّهم أكفني جاري السُّوء عدِّي بن ربيعة و الأنس بن شريق**، و قيل نزلت في أبى جهل أنكر البعث بعد الموت، فأجاب اللّه تعالىٰ بقوله:

بَلىٰ قادِرِينَ عَلىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ

البنان عند العرب الأصابع واحدها بنانة، و ذلك لأنّ من خلقه أوّلاً من نطفةٍ قادرٌ على خلقه ثانياً كيف أراد و فى قوله تعالىٰ: **نُسَوِّيَ** إشارة الىٰ أنّ الخالِق الّذي سوّىٰ أعضاءه و جوارحه في أوّل الأمر في خلقه آدم حيث قال:

فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدينَ[1].

١- الحجر = ٢٩

قادرٌ علىٰ تسويتها ثانياً و ثالثاً و هكذا وسيأتي الكلام في هذا الباب إن شاء اللّه.

بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ

قال إبن عبّاس يعني الكافر يكذّب بما أمامه من البعث و الحساب و دليله قوله تعالىٰ:

يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيٰمَةِ

فأنّ هذا السؤال لا يكون من المعتقد بالمعاد أي يسأل متى يكون على وجه الإنكار والتّكذيب و ممّا يدلّ على أنّ المراد بالفجور التّكذيب أنّ أعرابياً قصد عمربن‌الخطّاب و شكىٰ اليه نقب أبله و دبرها و سأله أن يحمله على غيرها فلم يحمله فقال الأعرابي:

أقسم باللّه أبو حفص عمر ما مسّها من نقب و لا دبر

فأغفر له اللّهم أن كان فجر

يعني أن كان كذّبني فيما ذكرت، و قيل معناه أنّ الكافر يعجل المعصية و يسُوف التّوبة و الفجور أصله الميل عن الحقّ والإقبال الىٰ الباطل.

أقول قولهم أنّ المراد بالإنسان الكافر لا دليل عليه و هو قول قالوا من عند أنفسهم والمراد بالإنسان جنسه و الحكم بإعتبار الأغلب اذ ما من عامٍ و إلاّ و قد خصّ و معنى الآية أنّ الإنسان يريد الحياة ليتعاطىٰ الفجور فيها أو ليذنب فيها أو يذنب و يقول، غداً أتوب ثمّ لا يتوب فيكون ذلك فجور لبذله عهداً لا يفي به و سمّى الكاذب فاجراً لكون الكذب بعض الفجور و أنت ترى أنّ الفجور بالمعنى الّذي ذكروه لا يختصّ بالكافر بل أكثر أفراد الإنسان كذلك إلاّ قليلاً منهم و أمّا قوله: **يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيٰمَةِ** فهو لا يدلّ على إنكاره و تكذيبه و بعبارة اخرىٰ هذا السؤال ممّا لا إشكال فيه و لا يستفاد منه الإنكار و

التّكذيب أصلاً نعم في بعض الموارد يكون على وجه الإنكار كما إذا كان السّائل كافراً معانداً منكراً للبعث فأنّ سؤاله يكون على وجه الإستهزاء فمعنى الآية ما ذكرناه.

فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ، وَ خَسَفَ ٱلْقَمَرُ، وَ جُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَ ٱلْقَمَرُ، يَقُولُ ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ

هذه علامات ليوم القيامة و هى ثلاثة:

الأولىٰ: قوله **فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ** قيل معناه، إذا لمع بصره من شدّة شخوصه. قال مجاهد و هذا عند الموت و قال الحسن هذا يوم القيامة هذا بناءً على قراءة **بَرَقَ** بفح الرّاء مثل صرب، و قرأ بعضهم بكسر الرّاء مثل (عَلِم) و علىٰ هذا فمعناه تحيّر و لم يطرف قال الخليل و الفرّاء **بَرِقَ** بكسر الرّاء معناه، فزع و بهت و تحيّر و العرب تقول للإنسان المتّحير المبهوت قد برق.

أقول هذا المعنى أوفق بوصف القيامة و سياق الكلام من قراءة الفتح لأنَّ رؤية المحشر توجب الحيرة و البهت و الفزع إلاّ أنَّ المشهور بين القرّاء الفتح في الرّاء و عليه المصاحف فعلاً و على هذا فالمعنى إذا برق و لمع البصر من شدَّة الخوف و الفزع و حقٌّ له أن يفزع من القيامة إذ لا يدري عاقبة أمره إلى الجنَّة أو إلى النّار.

الثّانية: قوله **وَ خَسَفَ ٱلْقَمَرُ** الخسف ذهاب ضوئه و الفرق بين خسوف القمر في الدُّنيا و خسوفه في القيامة، هو أنّ الخسوف في الدُّنيا له أجل و مدَّة قلّ أو كثر و هذا بخلاف الآخرة فأنّ الخسوف فيها لا إنجلاء لَه.

الثّالثة: قوله **وَ جُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَ ٱلْقَمَرُ** قيل في معناه أي جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشَّمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه، و إنّما قال و جمع، و لم يقل، و جمعت، لأنَّ المعنى جمع بينهما و قيل هو على تكليف المذَّكر كما قد يعبّر عنهُما (بِالبَّينَة و القمرين.

و قال المبَّرد، التّأنيث في الشّمس غير حقيقّي.

قال إبن عبّاس، جمع بينهما أي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب يوم القيامة أسودين مكوّرين، مظلمين، لقوله تعالىٰ: **إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ** و سيأتي الكلام فيه ثمّ أنّ المراد بالجمع بين الشّمس و القمر إمّا جمعهما في مكانٍ واحد أو في زمانٍ واحدٍ أو هو من قبيل جمع الإعراض في المحلّ و على التّقادير جمع الشّيئين في حكم واحدٍ مجاز و المقصود من جعلها واحداً هو رفع الاثنينيّة عنهما بذهاب نورهما واللّه أعلم.

و أمّا قوله: **يَقُولُ ٱلْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ** فالمَفرّ بفتح الميم مَصدَر و بالكسر مَكان الفرار و المعنى أنّ الكافر و العاصي إذا رأى القيامة و ما فيها من الخوف و الجزع و هو كناية عن هول المطلع يقول بلسان الحال أو بلسان المقال، أين المفرّ أهرب إليه من عذاب اللّه ذلك اليوم الّذي يفرُّ المرء من أخيه و أمّه و أبيه و صاحبته و بنيه، و لا مفرّ له إذ لا يمكن الفرار من حكومته.

كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ، يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ

إذا قال الإنسان أين المفرّ، يقال في جوابه كلاّ لا وَزَر، أي لا ملجأ ذلك اليوم يمكن الفرار لأحدٍ من النّاس. والوَزر بفتح الواو والزّاي الملجأ من جبلٍ يتحصّن به أو غيره من الحصون المنيعة قال الشّاعر:

أين المفرّ والكباش تنتطح وأيُّ كبشٍ حاد عنها يفتضح

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ أي المرجع الّذي يفرُّ فيه، و هو أي المستقرّ على وجهين:

مستَقَرّ إلى أمدٍ و مستقرٌّ إلى الأبد و حاصل الكلام أنّه لا ملجأ يوم القيامة من عذاب اللّه إلاّ هو تعالىٰ و ذلك لأنّه تعالىٰ هو الحاكم ذلك اليوم و لا يقدر أحدٌ على دفع العذاب أو رفعه عن العباد إلاّ اللّه و إذا كان كذلك فهو الملجأ لا غيره.

يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ النَّبأ الخبر و المعنى يخبر إبن أدم برّاً كان أو فاجراً مسلماً كان أو كافراً، بما قدَّم من الأعمال، أو أخَّر، في الدُّنيا من خيرٍ و شّرٍ و فى قوله: **وَ أَخَّرَ** إشارة إلى الأعمال الّتى لم يفعلها الإنسان بنفسه في حياة الدُّنيا و لكن سنَّ سنَّةً سيّئة أو حسنة، عملوا بها بعد موته فهو في حكم ما فعل فأنّ من سنَّ سنّةً ليستنَّ بها من بعده كان عليه مثل وزر من عمل بها و لا ينقص مِن وزرهم شيئاً و من سنَّ سنّةً حسنة ليستنَّ بها بعده فهو كذلك أي لَه مثل ثواب من عمل بها من دون أن ينقص من ثوابهم شئ و هذا هو المراد بقوله: (أو أخَّر) و بعبارةٍ أخرى يخبر الإنسان بأوّل عمله وأخره و أنّما يعلم ذلك من صحيفة أعماله.

روى أبو نعيم الحافظ من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: سبعٌ يجري اجر من للعبد بعد موته و هو في القبر، من علّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورَّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد مَوته إنتهىٰ.

و في حديثٍ أخر قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّ ممّا يلحق المؤمن من عمله و حسناته بعد موته، علماً علَّمه و نشره أو ولداً صالحاً تركه أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه، أو بيتاً لإبن السّبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحّته و حياته تلحقه من بعد موته إنتهىٰ.

و الأحاديث في الباب كثيرة، والّذي مقلناه نقلناه عن تفسير القرطبي، و الأمر أوضح من أن يخفي على أحدٍ فلا حاجة إلى إطالة الكلام فيه فأنّ كلّ إنسانٍ بما كسبت نفسه رهينة و لا فرق في ذلك بين أن يكون مباشراً للعمل بنفسه و أن يكون سبباً للعمل به بعد موته كالبدع الّتى أبدعها المبدعون في الدِّين.

بَلِ ٱلْإِنْسٰانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَ لَوْ أَلْقٰى مَعٰاذِيرَهُ

أي ولو أرخى ستوره و السّتر بلغة أهل اليمن معذار و جمعه على معاذير كما قال الشّاعر:

ولكنّها ضنّت بمنزل ساعةٍ علينا وأطّت فوقها بالمعاذر

و المعنى أنّ الإنسان له بصيرة بنفسه فيعلم ما يفعل و ما فعل.

و قال الأخفش، جعله هو البصيرة، كما تقول للرّجل أنت حجّةٌ على نفسك.

و قال إبن عبّاس، بصيرة، أي شاهدة و هو شهود جوارحه عليه، يداه بما بطش بهما، و رجلاه بما مشىٰ عليهما، و عيناه بما أبصر بهما و البصيرة الشّاهد، كما قيل:

كأنّ على ذي العقل عيناً بصيرةً بمقعده أو منظرٍ هو ناظره

يحاذر حتّىٰ يحسب النّاس كلّهم من الخوف لا تخفى عليهم ضرائره

قيل و تأنيث البصيرة لأنّ المراد بالإنسان هاهنا الجوارح لأنّها شاهدة على نفس الإنسان فكأنّه قال بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة و قيل هذه الهاء في قوله: **بَصِيرَةٌ** هي الّتى يسمّيها أهل الإعراب هاءُ المبالغة كالهاء في قولهم داهية و علاّمة و رواية.

و قال بعض المفسّرين تقدير الكلام **بَلِ ٱلْإِنْسٰانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** أي شاهدٌ فحذف حرف الجرّ و يجوز أن يكون **بَصِيرَةٌ** نعتاً لإسم مؤنّث تقدير (بَل الانسان علىٰ نَفسه عينٌ بصيرة) و أنشدّ الفّراء كأنّ على ذي العقّل عيناً بصيرةً.

و هذه الوجوه ذكرها القرطبي في تفسيره.

و قال صاحب الكشّاف (بَصيرة) حجّة بيّنة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الأيات بالأبصار في قوله: **فَلَمّٰا جٰآءَتْهُمْ اٰيٰاتُنٰا مُبْصِرَةً**[1] أو عَينٌ مبصرة إنتهىٰ كلامه.

١- النّمل = ١٣

والّذي يخطر بالبال في حلّ الإشكال هو أنّ الأصل في الآية **بَلِ ٱلْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصيرَةٌ** و لا يبعد أن تكون الآية المنزلة في الكتاب كذلك، كما يحتمل أن تكن الآية **بَلِ ٱلْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصيرَةٌ** فألحقت التّاء في أخر الآية رعايةً للسَّمع بدليل قوله: **مَعاذيرَهُ** و على هذا فالتّاء ليست للتّأنيث والوجه الأوّل أقوى في النَّظر فأنّ تدوين الأيات في الكتابة غير نزولها إذ من المحتمل إشتباه الكتّاب و عدم تفَّطن القرّاء بذلك و أنّما قلنا ذلك لأنّ معنى الآية لا يستقيم بغير ذلك والوجوه المذكورة في التّفاسير عليلة لا يعتمد عليها، و التّقدير خلاف الأصل.

و أمّا قوله: **وَ لَوْ أَلْقى مَعاذيرَهُ** أي أرخى ستوره و السَّتر بلغة أهل اليمن، معذار، و الجمع منه، معاذير، و المعنى و لو أقام الإعتذار عند النّاس في دار التّكليف و إستتر بالمعاصي بإرخاء السَّتر.

و قال السُّدي ولو أرخى السّتور و أغلق الأبواب بذكر العذر.

أقول إرخاء السّتور كناية عن كتمان المعصية عن غيره كما إذا أراد العاصي أن يزني بإمرأة في البيت يرخي السّتور لئّلا يراه النّاظر، كذلك بعض النّاس يستترُّون بالمعاصي أي يخفونها ثمّ يعتذرون به و يقولون لم يكن شيئاً، و على هذا فالمعنى أنّ الإنسان بصيرٌ بنفسه ممّا فعل قولاً و فعلاً ولو أرخى أي أطلق ستور المعاصي لئّلا يعلم غيره، و ذلك لأنّ الملائكة الموكّلين عليه يكتبون ما فعله واللّه تعالى محيطٌ بهم فلا يخفى عليه شئ و لا يقبل منه عذرٌ إن إعتذر.

و قال مقاتل و أبوالعالية و الفّراء و غيرهم معنى قوله: **وَ لَوْ أَلْقى مَعاذيرَهُ** أنّه لو أدلى و إعتذر بعذرٍ أو حجّةٍ لم ينفعه ذلك نظير قوله تعالى:

وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ[1].

و قوله: **يَوْمَ لا يَنْفَعُ ٱلظّالِمينَ مَعْذِرَتُهُمْ**[2].

١- المرسلات = ٣٦ ٢- غافر= ٥٢

فالمعاذير علىٰ هذا مأخوذٌ من العذر، كما قال الشّاعر:

وإيّـاك والأمـر الّـذي إن تـوَّسعت مـوارده ضـاقت عـليك المـصادر
فـما حسـن أن يـعذر المـرء نـفسه وليس له مـن سـائر النّـاس عـاذرُ

و إعتذر رجلٌ إلى إبـراهـيم النَّـخعي فـقال له قـد عـذرتك غـير مـعتذرٍ أنّ المعاذير يشوبها الكذب ذكره القرطبي في تفسيره، و الحقّ أنّ المعذير جمع، معذار، و المعاذر، بدون الياء جمع معذرة، و المكاتب جمع مكتبة و المراحل جمع مرحلة و هكذا و على هذا فما نقله القرطبي عن إبراهيم النَّخعي أنّه قال أنّ المعاذير يشوبها الكذب، لا يصّح والصَّحيح أنّ المعاذر يشوبها الكذب و من أمثال العرب قولهم (المعاذر مكاذب) و بالجملة لم يقل أحدٌ من علماء اللّغة فيما نعلم أنّ المعاذير جمع معذرة من العذر بل إتّفقوا علىٰ أنّها جمع، معذار كما يقال مفتاح و مفاتيح و مقدار و مقادير و ميزان و موازين و هكذا.

نعم يحتمل أن يكون المراد بالمعذار آلة العذر و هى الحجّة الّتى يقيمها المعتذر علىٰ إثبات عذره و ذلك كما أنّ الميزان آلة الوزن و المكيال آلة الكيل و على هذا فالمعنى و لو ألقىٰ المعتذر حجّته و برهانه على إثبات عذره و بعبارةٍ أخرى، ولو ألقى الحجّج على إعتذاره فلا ينفعه و علىٰ هذا فلا نحتاج إلى لغة أهل اليمن لأنّ ما ذكرناه هو لغة قريش. واللّه أعلم.

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْانَهُ، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْانَهُ

الخطاب لرّسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال إبن عبّاس و غيره كان النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه القرأن عجّل بتحريك لسانه لحبّه إيّاه، و قيل يريد أن يحفظه فنهاه اللّه عن ذلك و قال لا تحرّك به لسانك و لا تعجل بحفظه، إنّ علينا جمعه، أي جمع القرأن في صدرك ثمّ نقرؤه أي بعد الجمع في صدرك نقرأه، فإذا قراناه، أي إذا قرانا القرأن، فإتّبع قرأنه، أي فاستمع له و انصت.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ

أي بيان القرأن من الأحكام الموجودة فيه أعني بها الحلال و الحرام و الحدود و القصاص و النّكاح و الطّلاق و غيرها فأنّ القرأن جامع لها و يحتاج إلىٰ البيان و محصّل الكلام في هذه الأيات هو أنّ اللّه تعالىٰ نهى رسوله عن التّعجيل في حفظ القرأن و ضبطه في صدره و أخبره بأنّ جمع القرأن في صدره و كيفيّة قراءته على اللّه تعالىٰ كما أنّ بيان أحكامه أيضاً على اللّه تعالىٰ و هو كذلك بقوله تعالىٰ: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ**[1].

ثمّ قال تعالىٰ:

كَلّٰا بَلْ تُحِبُّونَ اَلْعاجِلَةَ

قال إبن عبّاس المعنى أنّ أباجهل و أمثاله لا يؤمنون بتغيير القرأن و بيانه بل تحبُّون العاجلة أي أنّ الكفّار يريدون المنافع العاجلة في الدُّنيا و يركنون اليها.

وَ تَذَرُونَ اَلْاٰخِرَةَ

أي و تتركون عمل الأخرة الّذي يستحقّون به الثّواب، قاله في التّبيان.

و لقائلٍ أن يقول قوله تعالىٰ: **كَلّٰا بَلْ تُحِبُّونَ اَلْعاجِلَةَ، وَ تَذَرُونَ اَلْاٰخِرَةَ** التّاء في الآية للخطاب فمن المخاطب في الآية فأن كان المخاطب بها الكفّار كما فسَّرتم الآية به و قلتم معناه الأخبار عن اللّه تعالىٰ أنّ الكفّار يريدون العاجلة، فلم لم يقل بل يحبُّون العاجلة، أليس الخطاب يشمل الجميع من الكافر و المسلم و لا دليل علىٰ تخصيص الخطاب بقومٍ دون قومٍ، و إن كان المخاطب بالآية جميع النّاس كما هو الظّاهر فلم خصَّصتم بالكفّار و قلتم أنّ المراد به الكفّار.

و الحقّ أنّ المخاطب بالأيتين جميع النّاس من المسلم و الكافر و نقل

١- الحجر = ٩

القرطبي عن إبن عبّاس أنّه قال، أي أنّ أباجهل لا يؤمن بتفسير القرأن و بيانه و قيل، أي كلاّ، لا يصلّون و لا يزّكون يريد كفّار مكّة **بَلْ تُحِبُّونَ** أي بل تحبُّون يا كفّار أهل مكّة **ٱلْعَاجِلَةَ** أي الدّار الدُّنيا و الحياة فيها **وَ تَذَرُونَ** أي تدعون **ٱلْآخِرَةَ** و العمل لها و العجب أنّ القرطبي نقل عن بعض المفسّرين أنّه قال قرأ أهل المدينة و الكوفّيون (بَل تُحبُّون، وتَذَرُون) بالتّاء فيهما على الخطاب و اختاره أبوعبيد و قال لولا الكراهة لخلاف هؤلاء القُرّاء لقرأتهما بالياء لذكر الإنسان قبل ذلك.

و قرأ الباقون بالياء على الخبر و هو إختيار أبى‌حاتم، فمن قرأ، بالياء فرداً على قوله تعالىٰ: **يُنَبَّؤُا ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ** ثمّ قال: (كلاّ بَل يحبُّون العاجلة و تذرون الأخرة) و أمّا من قرأ بالتّاء فعلى أنّه واجههم بالتّقريع لأنّ ذلك أبلغ في المقصود إنتهىٰ كلام القرطبي.

أقُول أمّا علىٰ المختار و هو القراءة بالياء فالمعنىٰ واضح و أمّا علىٰ قراءة المشهور و هى التّاء فالأحسن أن يقال هو من باب الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب و هو من محسّنات البديعيّة و لا إشكال فيه كيف كان فالمراد الإنسان و هو بمعنى النّاس و لذلك أتىٰ بصيغة الجمع و لا ربط لها بالقرأن.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ

أخبر اللّه تعالىٰ أنّ يوم القيامة بعض الوجوه و هو وجوه المؤمنين باللّه و رسوله و اليوم الأخر، ناضرة أي مشرقة مضيئة فالنّضرة الصُّورة الحسنة الّتى يملأ القلب سوراً عند الرُّؤية و النُّضرة مثل البهجة و الطّلاقة و ضدّه العبوس و البسور فوجوه المؤمنين المستّحقّين للثّواب بهذه الصّفة بما جعل اللّه تعالىٰ عليها من النُّور علامة للخلق و المَلائكة على أنّهم مؤمنون مستحقّون للثّواب و هذا ممّا لا كلام فيه لدلالة الأيات و الأخبار عليه.

و أمّا قوله: **إِلٰى رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ** فهي من النَّظر و النَّظر لا يتحقّق إلاّ بالعين الباصرة و لذلك صارت الآية معركة الأراء بين المفسّرين من العامّة والخاصّة، و حيث أنّ الموضوع من أهمّ الموضوعات الإعتقاديّة فلابدّ لنا من التّكلم فيه و قبل بيان المقصود نشير إلى أقوالهم و آرائهم ثمّ نقضي بما هو الحقّ عندنا في الباب و من اللّه التّأييد و به الإعتصام.

فنقول جمهور المفسّرين من العامّة علىٰ أنّ المراد بالنَّظر هو النَّظر بالعين الباصرة يوم القيامة.

قال القرطبي **نٰاظِرَةٌ** أي تنظر إلى ربّها و على هذا جمهور العلماء الباب حديث صهيب خرَّجه مسلم و قد مضىٰ في يونس عند قوله تعالىٰ: **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيٰادَةٌ**[1] و كان إبن عمر يقول أكرم أهل الجنَّة على اللّه من ينظر إلى وجهه غدوةً و عشيّة ثمّ تلا هذه الآية **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ، إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ.**

و روى يزيد النَّحوي عن عكرمة أنّه قال تنظر إلى ربّها نظراً، و كان الحسن يقول نَضرت وجُوههُم ونَظَرُوا إلىٰ ربّهم، وساق الكلام إلىٰ أن قال.

و في التّرمذي عن إبن‌عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: أنّ أدنى أهل الجنَّة منزلةً لمن ينظر إلى جنّاته و أزواجه و خدمه و سرره مسيرة ألف سنة و أكرمهم على اللّه من ينظر إلى وجهه غدوةً و عشيّةً ثمّ قرأ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة إنتهىٰ.

و قد روي عن إبن‌عمر و لم يرفعه، و في صحيح مسلم عن أبي‌بكر بن عبد اللّه بن قيس عن أبيه عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: جنَّتان من فضّة أنيتهما و ما فيهما، و جنَّتان من ذهبٍ أنيتهما و ما فيهما و ما بين القوم و ما ينظروا إلى ربّهم جلَّ و عزَّ إلاّ رداء الكبرياء علىٰ وَجهه في جنّة عدنٍ إنتهىٰ.

١- يونس = ٢٦

و روى جرير بن عبدالله قال كنّا عند رسول اللّه ﷺ جلوساً، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال ﷺ: أنّكم ترون ربّكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامُّون في رؤيته ثمّ قرأ ﷺ و سبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشّمس، الآية إنتهىٰ.

و قد ذكر في تفسيره كثيراً من الأحاديث من هذا النّمط و ذكر أشعاراً في هذا المعنىٰ عن العرب.

و قال صاحب الكشّاف في قوله: **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** تنظر إلى ربّها خاصّة لا تنظر إلى غيره و هذا معنى تقديم المفعول يفيد الإختصاص إلى أخر ما قال و الأصل في جميع تفاسير العامّة هو تفسير الطَّبري فأنّه أمامهم في التّفسير بلا كلام و هذه الأخبار الّتى نقلناها عن القرطبي نقلها عن تفسير الطَّبري و هو أي الطَّبري من المصّرين على ذلك و ذكر في تفسيره لهذه الآية أخباراً كثيرة ثمّ قضى بأنّ الصّواب عندنا لقول الّذي ذكرناه عن الحسن و عكرمة من أنّ معنىٰ ذلك تنظر إلىٰ خالقها و بذلك جاء الأثر عن رسول اللّه ﷺ و ممّا نقله عن رسول اللّه ﷺ أنّه ﷺ قال:

أنّ أهل الجنّة منزلةً لمن ينظر في ملكه ألفي سنة و أنّ أفضلهم منزلةً لمن ينظر في وجه اللّه كلّ يوم مرّتين ثمّ تلا رسول اللّه هذه الآية وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ قال بالبياض و الصّفاء قال إلىٰ ربّها ناظرة، قال ينظر كلّ يوم في وجه اللّه جلّ و عزّ إنتهىٰ.

و قال الآلوسي في تفسيره المسمّىٰ عنده بروح المعاني في هذه الآية بعد نقله الأخبار عن تفسير الطَّبري و غيره و إطالة الكلام في الباب بما لا يفهمه الأنام بعد ما روى حديث إبن عمر على ما مرَّ ذكره ماهذا لفظه:

و من المعلوم أنّه ﷺ أعلم الأوّلين و الأخرين لا سيّما بما أنزل عليه من كلام ربّ العالمين و مثل هذا فيما ذَكر ما أخرجه الدّار قطني و الخطيب في

تاريخه عن أنس أنّ النّبي أقرأه **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** فقال: واللّه ما نسخها منذ أنزلها يرون ربّهم تبارك و تعالىٰ فيطعمون و يسقون و يطيبون و يحلُّون و يرفع الحجاب بينه و بينهم فينظرون إليه و ينظر اليهم عزَّ و جلَّ، و هذا الحجاب على ما قال السّادة من قبلهم لا من قبله، ثمّ أنّ أجهل الخلق عندهم المعتزلة و أشدُّهم عمىً و أدناهم منزلةً حيث أنكروا صحّة رؤية من لا ظاهر سواه بل لا موجود علىٰ الحقيقة إلاّ إيّاه و أدلّة إنكارهم صحّة رؤيته مذكورة مع ردودها في كتب الكلام و كذا أدلّة القوم علىٰ الصّحة و كأنّي بك بعد الإحاطة و تدقيق النّظر تميل الى أنّه سبحانه و تعالى يرى لكن لا من حيث ذاته سبحانه البحت و لا من حيث كلّ تجلٍّ حتّى تجلّيه بنوره الشّعشعاني الّذي لا يطاق إنتهى كلام الألوسى.

و أنمّا نقلنا كلامه بعد كلمات القوم لتعلم أنّ منهم من كان مدّعياً للتّحقيق و التفوّه بكلمات الفلاسفة و العرفاء بزعمه الباطل و لم يعلم أنّ ما ذكره من نوره الشّعشعاني من هفوات الشّيطان و لا يعلم معنى هذه الكلمات إلاّ الشّياطين الّذين يوحون الى أولياءهم في كلّ عصر و زمانٍ نعم ما ذكره الألوسي و أمثاله يدلّ على مبلغ علمهم و قبح إعتقادهم في حقّ خالقهم الّذي خلقهم و هو منزّهٌ من كلّ عيبٍ و نقصٍ و لا ينبغي للمسلم العاقل أن يفسّر كلام ربّه هكذا و قد قال رسول اللّه **من فسّر القرآن برأيه فليتبّوء مقعده من النّار**، فأنتظر إنّا معك من المنتظرين ليوم الموعود.

إذا عرفت هذا فنقول القول بجواز الرّؤية يوم القيامة للأشاعرة و أمّا المعتزلة من أهل السُّنة فأنّهم لا يقولون به، و الأشاعرة أخذوا أصول إعتقاداتهم عن أبى‌الحسن الأشعري، و أمّا المعتزلة فأنّهم وافقونا في إستحالة الرّؤية على اللّه في الدُّنيا و الأخرة ثمّ أنّ المفسّرين من الشّيعة بل جميع علماء أصحابنا إتّفقوا علىٰ إستحالة الرّؤية علىٰ اللّه عقلاً و نقلاً و لم يخالف أحدٌ منّا في ذلك الحكم و النشر الىٰ ما قالوا في تفسير الأية.

قال الشّيخ قدس سره في التّبيان **إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ** أي منتظرة نعمة ربّها و ثوابه أن يصل اليهم، قال الشّاعر:

وجوهُ يوم بدرٍ ناظراتُ الىٰ الرّحمٰن تأتي بالفلاح

أي منتظرة للرّحمة الّتى تنزل عليهم، و قال الفيض قدس سره في الصّافي **إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ** أي ينظرون الىٰ وجه اللّه أي الىٰ رحمة اللّه و نعمته و فى العيون عن الرّضا عليه السلام: **يعني مشرقة ينتظر ثواب ربّها**. و في التّوحيد و الإحتجاج عن أميرالمؤمنين **ينظرون الى ربّهم كيف يثيبهم** فذلك قوله تعالىٰ: **إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ** و أنمّا يعني بالنّظر اليه النّظر الىٰ ثوابه تبارك و تعالىٰ إنتهىٰ.

و على هذا جميع المفسّرين من أتباع أهل البيت و عليه إجماعهم فلا حاجة الىٰ نقل الأقوال و العقل السّليم أيضاً يحكم بذلك فأنّ الموجود المجرّد عن المادّة و المدّة و المنزّه عن المكان و عن الجهة و الموضع و غير ذلك ممّا هو من شئون الجسم كيف يعقل أن يرىٰ و قد ثبت في العلوم العقليّة أنّ من شرائط تحقّق الرّؤية كون المرئي في جهة فما ليس في جهة لا يمكن رؤيته و اللّه تعالىٰ منزّهٌ عن الجهة لأنّ كلّ ما في الجهة فهو محدودٌ فيها و كلّ محدودٍ متناهٍ و كلّ متناهٍ مخلوقٌ ممكنٌ و اللّه واجب الوجود و أن شئت قلت هو صرف الوجود و حقيقة الوجود صرف الشّئ لا يمكن رؤيته، و إستدلال أبي حنيفة و من تبعه من الأشاعرة و غيرهم، بأنّ الشّئ إذا كان موجوداً فلا بدّ من أن يرىٰ إمّا في الدُّنيا و إمّا في الأخرة فما لا يرىٰ لا وجود له أصلاً، عاطلٌ باطلٌ، و ذلك لأنّ الرُّوح أو النّفس أو ما شئت فسَّمه موجودٌ لا كلام في كلّ إنسانٍ حيٍّ و لا يشكّ فيه أحد و هو لا يرىٰ، فهل يجوز للعاقل أن ينكر وجوده و لذلك قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **من عرف نفسه فقد عرف ربّه** فإذا كان الإنسان لا يقدر روحه و نفسه كيف يقدر على رؤية خالق الرّوح الّذي هو محيطٌ بجميع الأشياء غير متناهٍمحدود في ذاته و صفاته منزّهٌ عن شوائب الإمكان، هذا كلّه مضافاً الى نَّص القرآن و هو قوله تعالىٰ: **لا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصٰارُ وَ**

هُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ[1] فقوله لا تدركه الأبصار و قوله: **لَن تراني** الآية صريح في إستحالة الرّؤية و قد تكلّمنا في هذه الأيات فيما مضىٰ و أشبعنا الكلام فيه و القول بأنّ عدم الرّؤية مختّص بالدُّنيا، و أمّا الرّؤية في الآخرة خارجة عن الحكم، شططٌ من الكلام فأنّ التّخصيص يحتاج إلى الدّليل مضافاً إلى أنّ الحكم المذكور من الأحكام العقليّة و قد ثبت في الفلسفة أنّ العقليّات لا تخصيص فيها فثبت و تحقّق أنّ القول بجواز الرُّؤية و وقوعها في الأخرة لا شبهه شئ بالهذيان هذا كلّه بالنّظر إلىٰ الإستدلال عقلاً و شرعاً على إستحالة الرُّؤية.

ثمّ نقول قوله: **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** لا يدلّ على مدّعاهم من حيث اللّفظ أيضاً و ذلك لأنّ النَّظر لا يدلّ علىٰ الرُّؤية أصلاً، و ذلك لأنّ النَّظر عبارة عن تقليب البصر و البصيرة لإدراك الشّئ و رؤيته و قد يراد به التّأمل و الفحص و قد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص و هو الرُّؤية، يقال نظرت ولم تنظر أي لم تتّأمل و إلى هذا المعنى أشار اللّه تعالى بقوله: **قُلِ ٱنْظُرُوا مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ** أي تأمّلوا، و إستعمال النَّظر في البصر أكثر عند العامّة كالأشاعرة و فى البصيرة أكثر عند الخاصّة كالشّيعة الأثنى عشريّة أتباع أهل البيت كما قال أميرالمؤمنين: **لم أعبد ربّاً لم أره**. أي لم أره بالبصيرة إذا عرفت هذا.

فقوله: **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** لا يدلّ على أكثر من ثبوت النَّظر يوم القيامة و أمّا أنّ النَّظر يوجب رؤية الحقّ فهو أوّل الكلام ألا ترى أنّه يقال نظرت إلى القمر فلم أره، فلو دلّ النَّظر على الرُّؤية لزم إجتماع النَّقيضين لأنّ الرُّؤية و عدمها متناقضان.

قال بعض أهل اللُّغة يقال نظرت إلى كذا إذا مددت طرفك إليه رأيته أو لم تره، و يقال نظرت فيه إذا تدَّبرته، قال اللّه تعالىٰ: **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ**

١- الانعام = ١٠٣

خُلِقَتْ[1] أي أفلا يتَّدبرون في خلق الإبل، يقال نظرت في نفسي فرأيتها أمّارةٌ بالسُّوء، يعني تأمَّلت فيها و امثال ذلك كثيرة، و لذلك قالوا أنّ النَّظر الإنتظار يقال نظرته و إنتظرته و أنظرته أي أخَّرته.

قال بعضهم يكون النَّظر بمعنىٰ المقابلة و منه المناظرة في الجدل و منه نظر الرَّحمة، أي قابله بالرَّحمة، و يقال هو ينظر إلى فلان أي و ينتظر خبره و ليس النَّظر بمعنى الرُّؤية أصلاً بدليل قولهم نظرت إلىٰ الهلال فلم أره و لأنّهم يجعلون الرُّؤية غاية للنَّظر يقولون ما زلت أنظر إليه حتّى رأيته و لا يجعل الشّئ غاية لنفسه لا يقال ما زلت أراه حتّىٰ رأيته و الأمثلة في الباب كثيرة و إذا كان الأمر على هذا المنوال فكيف يقال قوله: **نٰاظِرَةٌ** يدلّ على الرُّؤية فالنَّظر في الآية بمعنى الإنتظار و المعنى وجوهٌ يومئذٍ تنتظرون رحمة الرَّب، أو أمر الرَّب، أو حكم الرَّب و يؤيّده ما ذكرناه قول الصَّادق عليه السلام أنّ التّقدير وجوهٌ يومئذٍ ناظرةٌ إلى امر ربّها ناظرة، و على هذا فهو بتقدير المضاف كما في قوله تعالىٰ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** أي أهلها و كيف كان لا تدُّل الآية علىٰ صحّة مذهب الأشاعرة أصلاً لا شرعاً و لا عقلاً و لا عرفاً و لا لغةً.

هذا و أمّا قوله: **وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَةٌ** فالبسور ظهور حال الغمّ في الوجه معجّلاً قبل الإخبار عنه.

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهٰا فٰاقِرَةٌ فالفاقرة الكاسرة الفقار الظَّهر بشّدةٍ و قيل معنىٰ باسرة، كاشرة كالحة.

و قال مجاهد الفاقرة الدّاهية، و قال إبن زيد الأبدة بدخول النّار و المقصود أنّ النّاس يوم القيامة علىٰ صنفين، مؤمنٌ و غير مؤمن، فالمؤمن في عيشةٍ راضية ينتظر رحمة ربّه، و الكافر في حال الحزن و الغمّ من عاقبة أمره، لأنّه يرىٰ العذاب الشدّيد أعاذنا اللّه منه.

١- الغاشية = ١٧

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ، وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ، وَ ظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ، وَ ٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ

كلاّ، ردعٌ و زجرٌ أي بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة و ما فيها من النِّعم في الجنّة و العذاب في النّار و قيل، كلاّ، معناه حقّاً أي حقّاً إذا بلغت التّراقي، فالتّراقي جمع ترقوة و هى العظام المكتنفة لنقرة النّحر و هو مقدّم الحلق من أعلىٰ الصّدر موضع الحشرجة، و المعنى كلاّ أنّ الكافر لا يؤمن، ثمّ إستأنف الكلام و قال: **إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ** أي إذا بلغت الرُّوح أو النّفس التُّرقوة حين الموت و ذلك لأنّ الرُّوح حين خروجها عن البدن تصل إلىٰ التّرقوة أخر الأمر فإذا خرجت عنها مات و فيه إمهالٌ من اللّه تعالى للتّوبة.

وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ قالوا أي طبيبٌ شاف أي أهله يطلبونه ليداويه فلا يجدونه أي فلا يجدون من يشفيه و يمنعه من الموت و قيل معناه، قالت الملائكة من يرقي روحه، أملائكة الرَّحمة أم ملائكة العذاب و المشهور بينهم هو المعنى الأوّل، قال الشّاعر:

هل للفتىٰ من بنات الدّهر من واقٍ أم هل له من حمام الموت من راقٍ

وَ ظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ الظّن هاهنا اليقين و المعنى أيقن أنّه الفراق، من المال و الأولاد و الأحبّة و ذلك حين عاين الملائكة و لنعم ما قيل:

فراقُ ليس يشبهه فراقُ قد انقطع الرّجاء من التّلاق

وَ ٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ أي و إتّصلت الشّدة بالشّدة، أي إتّصلت شدّة أخر الدُّنيا و هى سكرات الموت و الفراق، بشدّة الأخرة و هو الحساب و شدائد الأخرة و أنواع العذاب للكافر، و قيل إلتّفت ساق الكفن بساق الميّت، إلتّفت ساق الإنسان عند الموت، و قيل إلتّفت حال الموت بحال الحياة، و الأظهر عندي أنّ المراد **ٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ** أي الرِّجل بالرِّجل في الكفن أي جمعهما و إلتفافهما فيه.

إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسٰاق

أي يساقون إلى المحشرالّذي لا يملك فيه الأمر و النّهي غير اللّه تعالى و المساق مصدر من السَّوق أشار اللّه تعالىٰ في هذه الأيات إلى شدائد الموت و هول المطلع، و لمثل هذا فليعمل العاملون.

فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلّىٰ، وَ لٰكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّىٰ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّىٰ، أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ، ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ

قال الحسن معناه لم يتَّصدق ولم يتّصل.

و قال قوم معناه فلا صدَّق بربّه، أي لم يؤمن باللّه و رسوله و اليوم الأخر صلّىٰ.

و قال قتادة، فلا صدَّق بكتاب اللّه و لا صلّي للّه، و قيل لا أمن بقلبه عمل ببدنه.

أقول قوله فلا صدَّق بتشديد الدّال معناه لا أمن لأنّ الإيمان هو التَّصديق بالقلب و مصدر (صدَّق) التَّصديق فقول بعضهم لم يتّصدق بماله لا معنىٰ له لوجود الفرق بين، صدَّق و تصَّدق من حيث المعنىٰ فالتَّصدق هو إعطاء المال للفقراء و التَّصديق الإعتقاد بالقلب و أين هذا من ذاك فالحقّ أنّ معنىٰ الكلام أنّ الكافر لم يؤمن باللّه و رسوله قلباً و لا صلّىٰ عملاً و فيه إشارة إلى أنّ الإيمان التّصديق بالقلب بدون العمل لا معنىٰ له و أنّما ذكر الصّلاة من بين الأعمال لأنّها أفضل الأعمال البدَّنية بعد الإيمان بالقلب و لذلك قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **الصّلاة عمود الدّين إن قبلت قبل ما سواها و إن ردَّت ردّ ما سواها.**

هذا مضافاً إلى أنّ الصّلاة جعلت للتّنزيه عن الكبر كما أنّ الإيمان مطّهرٌ عن الشِّرك قالت سيّدة نساء العالمين عليها السلام: **فجعل اللّه الإيمان لكم تطهيراً للشّرك و الصّلاة تنزيهاً عن الكبر.**

و قوله: **وَ لٰكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى** أي كذّب الكافر رسول اللّه لمّا دعاه الرّسول إلىٰ التّوحيد و النّبوة و المعاد و قوله: **وَ تَوَلّٰى** أي أعرض عن الحقّ فأنّ التوّلي هو الإعراض عن الشّيء فلمّا كان هذا الجاهل الكافر معرضاً عن الحقّ بتركه إلىٰ خلافه من الباطل لزمه الذّم.

و قوله: **ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّٰى** فالتّمطي التّبختر و المعنىٰ أنّه بعد تكذيب الرّسول و عدم قبول الإيمان ذهب إلى أهله و عياله و أقاربه و أولاده يتّبختر و يتّكبر بذلك التّكذيب.

و قال بعضهم التّمطي، هو تمدُّد البدن عن الكسل و التّثاقل فهو يتثاقل عن الدّاعي إلىٰ الحقّ فعلى هذا، أصله يتّمطط، فأبدل من الطّاء ياء كراهةً للتّضعيف و التّمطي يدلّ علىٰ قلّة الإكتراث و هو التّمدد كأنّه يمُّد ظهره و يلويه من التكّبر و التّبختر.

أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ، ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ في هذا الكلام تهديدٌ بعد تهديد و وعيدٌ بعد وعيد، قيل أنّ الآيتين نزلنا في أبي جهل و على هذا فالخطاب في قوله (لَك) له لعنة اللّه و علىٰ هذا فالأيات السّابقة أعني قوله فلا صدَّق صلّىٰ أيضاً له، أي فلا صدَّق أبو جهل بربّه و لا صلّىٰ له تعالىٰ و لكن كذَّب نبيّه و أعرض عن الحقّ، ثمّ ذهب إلىٰ أهله، و أقاربه يتّمطى و يتّبختر به، فالذّنوب أربعة:

الأوّل: ترك التّصدّيق بربّه.

الثّاني: ترك التّصلية.

الثّالث: التّكذيب.

الرّابع: التّولي و الإعراض عن الحقّ.

فجاء الوعيد و التّهديد أيضاً كذلك أي جاء الوعيد مقابلاً لترك الخصال الأربعة، فالمعنىٰ، فأولىٰ لك يا أبا جهل العذاب علىٰ ترك الإيمان، و بعد ذلك

أولىٰ لك العذاب بتركك الصّلاة، ثمّ أولىٰ لك العذاب بتكذيبك النّبي و المعاد، ثمّ أولىٰ لك ترك العذاب بإعراضك عن الحقّ، أو يقال، أولىٰ لك الإيمان التّصديق باللّه و رسوله، ثمّ أولىٰ لك الصّلاة، ثمّ أولىٰ لك ترك التكذيب، ثمّ أولىٰ لك الإعراض عن الحقّ.

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسٰانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى

الحسبان الظّن و قوله: **سُدًى**، بضمّ السّين أي مهملاً عن الأمر و النّهي فالسُّدىٰ عمل من غير أمرٍ يؤخذ به.

قال إبن عبّاس **سُدًى** أي هملاً لا يؤمر و لا ينهى مع كمال عقله و قدرته على العمل و فيه وعيدٌ و تهديدٌ للكافر و العاصي و أنّ ظنَّه باطل فأنّ اللّه تعالى ما ترك شيئاً سدىً.

قال الشّاعر:

فأُقسم باللّه جهد اليمين ما ترك اللّه شيئاً سدىً

و الوجه فيه أنّ المخلوق المهمل عبثٌ و لغوٌ و اللّه تعالىٰ منزّهٌ عن فعل العبث إذ لا يفعل العبث إلاّ الجاهل، ثمّ أنّ اللّه تعالىٰ قال علىٰ وجه التّنبيه علىٰ أنّ خلق الإنسان لأجل المعرفة و العبادة و علىٰ أنّه قادرٌ علىٰ إعادته و إحياءه بعد موته كما أحياه أوّلاً.

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنٰى

فالمنّي نطفة الذّكر الّتي يجيء منها الولد.

ثُمَّ كٰانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّٰى

العَلَقة بفتح العَين و اللاّم و القاف قطعة من الدّم المنعقد جامدة لا تجري، فخلق اللّه منها هذا الإنسان الّذي هو في أحسن تقويم و هو المراد بقوله: **فَسَوّىٰ** أي فسّواه تسويةً وعدّله تعديلاً ثمّ جعل الرُّوح فيه:

قال اللّه تعالىٰ: **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**[1].

فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلْأُنْثَىٰ

أي فجعل من الإنسان و قيل من المنّي الزَّوجين الذَّكر و الأنثى، أي الرَّجل و المرأة.

أَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ

الإستفهام للإنكار أي بلىٰ هو قادر علىٰ ذلك أي أنّه قادر علىٰ أن يحي الموتىٰ يوم البعث كما أحياه أوّلاً من المنّي و الخلق الثّاني أعني به إحياء الموتى ليس بأصعب من الأوّل بل هو أسهل لبقاء المادّة و قد مرَّ الكلام فيه سابقاً و سيأتي الكلام إن شاء اللّه في محلّه عند بحثنا في المعاد.

■

١- الحجر = ٢٩

سُورَةُ ٱلْإِنْسَانِ (الدهر)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَ أَغْلَالًا وَ سَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَ يُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَآءً وَ لَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَيٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَ لَقَّيٰهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُورًا ﴿١١﴾ وَ جَزَيٰهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَ لَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا

وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ
بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾
قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَ
يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾
عَيْنًا فِيهَا تُسَمّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا
مَنْثُورًا ﴿١٩﴾ وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا
كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ
إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقَيٰهُمْ رَبُّهُمْ
شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَ كَانَ
سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ
ٱلْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُطِعْ
مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَ ٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً
وَ أَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ
لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَ
يَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ
وَ شَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ
سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَ مَا تَشَآؤُنَ إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَآءُ فِي
رَحْمَتِهِ وَ ٱلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

◄ اللّغة

حِينٌ: الحين بكسر الحاء المهملة و سكون الياء و النُّون وقت بلوغ الشّئ و حصوله و هو مبهم المعنىٰ و يتَّخصص بالمضاف إليه.

أَمْشَاج: بفتح الألف جمع مشيج و هو الخلط.

نَبْتَلِيهِ: الإبتلاء الإختبار.

سَلَاسِل: جمع سلسلة.

أَغْلَالًا: جمع غلّ.

سَعِيرًا: السَّعير بفتح السّين النّار المسعرة.

تَفْجِيرًا: التَّفجير تشقيق الأرض لجري الماء و منه إنفجار الصُّبح.

مُسْتَطِيرًا: أي ظاهراً.

قَمْطَرِيرًا: أي شديداً و قيل القمطرير الشدّيد في الشَّر.

نَضْرَةً: النَّضرة حسن الألوان.

ٱلْأَرَآئِكِ: هي جمع أريكة و هى كلّ ما يتّكأ عليه من مسورةٍ أو غيرها و قيل هي الحجال فيها الأسرة.

زَمْهَرِيرًا: فالزَّمهرير أشدّ ما يكون من البرد و قيل البرد الشدّيد (دانية) من الدُّنو و هو القرب.

قُطُوفُهَا: القطوف الثّمار.

بِآنِيَةٍ: هي جمع إناء و هو الظَّرف.

أَكْوَابٍ: الأكواب الميزان العظام واحدها، كوب.

قَوَارِيرَا: واحدها قارورة.

سَلْسَبِيلًا: فالسَّلسبيل الشّراب اللّذيذ.

مَنْثُورًا: أي مفرقاً في عرصة المجلس.

سُنْدُس: ما رَّق من الدَّيباج.

وَ إِسْتَبْرَقٌ: ما غلظ منه.

و حُلُّوا: النَّحيلة الزِّينة.

◄ الإعراب

لَمْ يَكُنْ شَيْئًا حال من الإنسان أَمْشاج بدل أو صفة نَبْتَلِيهِ حال من الإنسان أو من ضمير الفاعل مِنْ كَأْسٍ المفعول محذوف أي خمراً أو ماءً من كأس عَيْنًا بدل من موضع، من كأسٍ، أو من كافور أو بفعلٍ محذوفٍ أي أعني عيناً، مُتَّكِئِينَ: حال من المفعول في جزاهم أو صفة لجنَّة لا يَرَوْنَ حال من الضّمير المرفوع في، متّكئين، و دانِيَةً معطوف على متّكئين وَ ذُلِّلَتْ حال و قيل هو مستأنف قَوارِيرَا خبر، كان أو حال و كان، تامّة قَدَّرُوها نعتٌ لقوارير أو هو مستأنف و خُضْرٌ بالجرّ صفة لسندس و بالرّفع صفة، لثواب وَ الظّالِمِينَ منصوب بفعلٍ محذوف تقدير و يعذّب الظّالمين.

◄ التّفسير

هَلْ أَتىٰ عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا

في الآية مسائل:

الأُولىٰ: أنّ هل، ما معناها هاهنا، فقال أكثر المفسّرين أنّها بمعنى (قد) أي قد أتىٰ علىٰ الإنسان.

قال الزّجاج معناه ألم يك علىٰ الإنسان حين من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً، يعني قد كان شيئاً إلاّ أنّه لم يكن مذكوراً لأنّه كان تراباً و طيناً إلىٰ أن نفخ فيه الرُّوح و قال قومٌ (هل) يحتمل معناها أمرين:

أحدهما: أن تكون بمعنىٰ (قد).

الثّانى: معنها أتىٰ علىٰ الإنسان و الأغلب عليها الإستفهام و الأصل فيها معنىٰ (قَد) لتجري علىٰ نظائرها بمعنىٰ ضمن معنىٰ الألف و أصله و من ذلك قول الشّاعر:

أم هل كبيرُ بكىٰ لم تقضي عبرته أثـر الأحبَّة يـوم البـين مشكـومُ

و قال الفرّاء(هَل) تكون جحداً و تكون خبراً و هذا من الخبر لأنَّك تـقول هـل أعطيتك، تقرَّره بأنَّك أعطيته، و الجحْد أن تقول:(هَل يقدر أحدٌ علىٰ مـثل هـذا) أي لا يقدر، و قيل هي بمنزلة الإستفهام بمعنىٰ (أتىٰ) و المشـهور بـين المـفسّرين أنَّها هاهنا بمعنىٰ (قَد) و به قال الكسائي و الفَّراء و أبو عبيدة حكىٰ عن سيبويه (هَل) بمعنىٰ، قد و قال صـاحب الكشّـاف (هَـل) بـمعنىٰ، قـد فـي الإسـتفهام خاصَّة و الأصل (أَهَل) فالمعنىٰ (أَقَد أَتىٰ) على التَّقرير و التَّـقريب جـميعاً، أي أتىٰ علىٰ الإنسان قبل زمانٍ قريب **حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا** أي كان شيئاً منسياً غير مذكور نطفة في الأصلاب إنتهىٰ ما ذكروه في معنىٰ (هَل).

المسئلة الثّانية: أنَّه ما المراد بالإنسان، فقال الحسن الإنسـان هـاهنا، آدم، و المعنى قد أتىٰ علىٰ آدم **حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا** أي قد كان شيئاً إلاّ أنَّه لم يكن مذكوراً وبه.

قال قتادة و سفيان و قيل أنّ آدم لمّا خـلقه اللّـه بـقيت جـثَّته عـلى الأرض أربعين سنة لم تلج فيه الرُّوح كان شيئاً ولم يكن مذكوراً فلّما نفخ فيه الرُّوح و بلغ إلى ساقه كاد ينهض للقيام فـلّما بـلغ عـينيه و رآىٰ ثـمار الجنَّة بـادر إليـها ليأخذها فلذلك.

قال اللّه تعالىٰ: **خُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**[1] و قال غيره المـراد بـه كـلّ إنسـانٍ المشهور بين المفسّرين و الإنسان في اللُّغة حيوان علىٰ صورة الإنسانيّة.

قال الزَّمخشري في الكشّاف المراد بالإنسان جنس بني‌آدم بدليل قوله: **إِنَّـا خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ**.

المسئلة الثّالثة: إختلفوا في معنىٰ **حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ** فقال صاحب الكشّاف معناه طائفة من الزَّمان الممتَّد، و قيل (الحِين) مدَّة من الزَّمان يقع علىٰ ألقـليل

١- الأنبياء = ٣٧

و ألكثير، و قال قوم كلّ سنة، و الدَّهر مرور اللّيل و النّهار جمعه أدهر و دهور و الفرق بين الدَّهر و الوقت، أنّ الوقت بجعل جاعلٍ كما أنَّ اللّه تعالىٰ جعل لكلّ صلاةٍ مفروضة وقتاً للصيام وقتاً و قد يجعل الإنسان لنفسه وقتاً يدرس فيه و وقتاً مخصوصاً لنومه و غذائه، و إمّا الدَّهر فليس كذلك.

أقول قد مرَّ في شرح اللّغات، أنّ الحين في الأصل وقت بلوغ الشّئ و حصوله و هو مبهم المعنىٰ و يتَّخصص بالمضاف إليه نحو قوله تعالىٰ: **وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ** فقد يأتي للأجل نحو قوله تعالىٰ: **وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ**[1] و قد يأتي للمنَّة نحو قوله: **تُؤْتِيَ أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها**[2] وللسّاعة نحو **حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ**[3] وللزَّمان المطلق نحو قوله: **هَلْ أَتىٰ عَلَى اَلْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ اَلدَّهْرِ** و ما نحن فيه من هذا القبيل.

و أمّا الدّهر، فهو الأصل إسمٌ لمدَّة العالم من مبدأ وجوده إلىٰ إنقضائه، و إذا كان الحين بمعنىٰ الزَّمان، فالمعنىٰ زمانٌ من الدَّهر فيصير معنىٰ الآية قد أتىٰ علىٰ الإنسان زمانٌ من الدَّهر لم يكن شيئاً مذكوراً، هذا علىٰ مذاق القوم لأنَّهم قالوا معناه أنَّه كان شيئاً إلاّ أنَّه لم يكن مذكوراً.

و لقائلٍ، أن يقول الشّئ مساوقٌ للوجود فكلّ شئٍ موجودٌ فما لا وجود له لا شيئيّة له، و علىٰ هذا فإذا كان شيئاً، معناه كان موجوداً فما معنىٰ أنّه لم يكن مذكوراً و قد ثبت أنّ كلّ موجودٍ مذكورٌ أي يتعلّق به الذِّكر أي قابلٌ له و الّذي يخطر بالبال في حلّ الإشكال هو أنّ النّفي تعلَّق بالشّئ المتّصف بالذِّكر، لا بالذِّكر فقط كما زعموه فعلىٰ قولهم المنّفي في الآية هو قوله: **مَذْكُورًا**.

و أمّا قوله: **شَيْئًا** فهو ليس بمنفّي، لأنّهم أثبتوا الشَّيئية و نفوا الذِّكر، و أمّا على قولنا، فالمنفيّ الموصوف و الصِّفة معاً، و علىٰ هذا فالمعنىٰ قد أتىٰ علىٰ

١- يوسف = ٩٨ ٢- ابراهيم = ٢٥
٣- الروم = ١٧

الإنسان حينٌ أي زمان من الدَّهر لم يكن، الإنسان، **شَيْئًا مَذْكُورًا** أي لم يكن الإنسان متّصفاً بالذّكر أي بأن يذكر، لكونه في ديار العدم و من المعلوم انّ المعدوم لا يذكر و محصّل الكلام أنّ الآية الشّريفة إشارة إلىٰ أنّ الإنسان كان معدوماً غير متّصفٍ بالشّيئية حتّىٰ يذكر هذا ما إستفدناه من الآية و اللّه أعلم.

إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

أخبر اللّه تعالىٰ في هذه الآية أنّه خلقَ الإنسان من نطفةٍ أمشاج، أي أخلاط من ماء الرّجل و ماء المرأة، و قيل معناه أنّا خلقناه أطواراً، طوراً، نطفة، و طوراً، مضغةً و طوراً عظماً إلىٰ أن صار إنساناً.

أقول العرب تقول مشجت هذا بهذا أي خلطته فهو ممشوج أي مخلوطٌ و علىٰ هذا فالإمشاج، هو إختلاط النُّطفة بالدَّم، أو إختلاط ماء الرَّجل و ماء المرأة و الدَّم و العلقة و أمّا قوله: **نَبْتَلِيهِ** فالإبتلاء الإختبار أي نختبره في الدّنيا بالخير و الشَّر، أو بالشُّكر في السَّراء و الصَّبر في الضَّراء و الأصل فيه:

قال اللّه تعالىٰ: **الٓمٓ، أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوٓا أَنْ يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ**[1].

قال اللّه تعالىٰ: **أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**[2].

و قد مرَّ البحث في أمثال هذه الآية فيما مضىٰ فلا وجه للإعادة.

و هكذا قوله: **فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** و أنّما ذكر اللّه هاتين الصِّفتين أعني بها السَّمع و البصر لأنّهما أشرف القوىٰ و أفضلها بإتّفاق المحقّقين و أنّما الخلاف في ترجيح أحدهما على الأخر و تعيين الأفضل منهما و قد مرَّ الكلام فيه أيضاً:

إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا

١- العنكبوت = ٢ / ١ ٢- القيمة = ٣٦

اللاّم للجنس و المعنىٰ أنّا بيّنا للإنسان و عرّفناه طريق الهدىٰ و الضّلال و الخير و الشّر و الإيمان و الكفر و السّعادة و الشّقاوة بواسطة الرُّسل المبعوث إليهم فمن تبعهم كان شاكراً لما أنعم اللّه عليه من الدّين و من خالفهم و أنكرهم كان كافراً جاحداً بما أنعم اللّه عليه و من المعلوم أنّ من شكر فأنّما يشكر لنفسه و من كفر فعليها و ما ربّك بظلّامٍ للعبيد.

و قيل معنىٰ الكلام أنّا بيّنا له سبيل التّوحيد بنصب الأدلّة عليه و هو يرجع إلى ما ذكرناه ففي الآية إشارة إلىٰ ثبوت الإختيار للإنسان في أخذه بأحد الطّريقين، الهداية، و الضّلالة، و فيه ردٌّ علىٰ الأشاعرة القائلين بالجبر فأنّ الهداية هي إراءة الطّريق حقّاً كان أو باطلاً، و هى تنافي الجبر الّذي لا إختيار للمكلّف فيه و قد مرَّ البحث في هذا الباب غير مرّةٍ.

إِنَّآ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاٰسِلاَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِيرًا

هدّد اللّه تعالىٰ في هذه الآية من إختار الكفر علىٰ الإيمان و الشّقاوة علىٰ السّعادة و الضّلالة علىٰ الهداية بسوء سريرته و خبث طينته و إنكاره التّوحيد و النّبوة و المعاد و متابعة الشّيطان و غير ذلك من طرق الضّلالة فقال: **إِنَّآ أَعْتَدْنا** أي هيّأنا و أدّخرنا لهم جزاءً علىٰ كفرهم و معاصيهم بإختيارهم **سَلاٰسِلاَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِيرًا** فالسّلاسل جمع سلسلة و الأغلال جمع غلّ، و السّعير هي النّار المسعرة و قد تقدّم، قيل السّلاسل القيود في جهنّم طول كلّ سلسلةٍ سبعون ذراعاً كما مضىٰ في الحاقّة.

إِنَّ ٱلْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورًا

لمّا أخبر اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة أنّه أعدَّ لهم سلاسل و أغلالاً و سعيراً، لكفرهم و طغيانهم و إنكارهم الحقّ أشار في هذه الآية إلىٰ أحوال المؤمنين يوم القيامة فقال: **إِنَّ ٱلْأَبْرارَ** و هم المؤمنون الّذين عملوا الصّالحات

يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ و هو إناء الشّراب إذا كان فيه و لا يسمّىٰ كأساً إذا لم تكن فيه شراب قاله الزّجاج و إليه أشار الشّاعر بقوله:

صددت الكأس عنّا أمّ عمروٍ و كان الكأس مجراها اليمينا

كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا قيل ما يسمّ من ريحها لا من جهة طعمها، و قيل أي شرابها و طعامها و منه مزاج الإنسان و هو ما يمازجه من الصّفراء و السّوداء وا لحرارة و البرودة، و الكافور إسم عين ماء في الجنّة، قيل الكافور في ريحها لا في طعمها، قال الشّاعر:

كأنّ بسيئةُ من بيت رأسٍ يكون مزاجها عسلُ و ماءُ

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا

إختلفوا في نصب **عَيْنًا** فقال الفّراء أنّ الكافور إسم لعين ماء الجنّة و قوله: **عَيْنًا** بدلٌ من كافور، كأنّه قيل ما الكافور، فقال عيناً يشرب، الآية و قيل هو بدل من **كَأْسٍ** علىٰ الموضع، هو حال من المضمر في مزاجها، و قيل نصب علىٰ المدح كما يذكر الرّجل فيقول العاقل للّبيب، أي ذكرتم العاقل اللّبيب.

و قيل، التّقدير: يشربون عيناً، و قوله: **يُفَجِّرُونَهَا**، فالتّفجير تشقيق الأرض بجري الماء و منه إنفجار الصّبح و قوله: **تَفْجِيرًا**، مفعول مطلق و هو يفيد النّوع أي أنّهم يشقّقون العين شقّاً كما يفجر الرّجل النّهر هاهنا و هاهنا إلىٰ حيث يريد.

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا

ثمّ وصف اللّه تعالىٰ هؤلاء المؤمنين فقال أنّهم **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ** و يجوز أن يكون في موضع الحال فكأنّه قال يشرب بها عباد اللّه الموفون بالنّذر الخائفون **يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** و هو يوم القيامة، لأنّ شرّه للكافر يكون مستطيراً أي ظاهراً لا خفاء فيه.

وَ يُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلٰى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللّٰهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَآءً وَ لَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

هذا وصف ثان للمؤمنين الّذين يوفون بالنّذر فأنّهم يطعمون الطّعام علىٰ حبّه، أي علىٰ شهوتهم له أو علىٰ محبّتهم للّه تعالىٰ: **مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا** فالمسكين الفقير و اليتيم هو الّذي لا والد له من الأطفال، و الأسير هو المأخوذ من أهل دار الحرب و قيل هو المحبوس و قوله: **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللّٰهِ** إخبار عن قول المؤمن أي أنّهم يقولون أنّما نطعمكم لوجه اللّه أي قربةً إلىٰ اللّه، لا نريد منكم، معاشر الفقراء جزاءً و لا شكوراً، علىٰ إطعامنا إيّاكم كما هو مقتضىٰ الإخلاص في الإنفاق و ذلك.

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا أي عابساً، قمطريراً، أي شديداً فالقمطرير الشدّيد في الشَّر و هو يوم القيامة و المشهور بين المفسّرين أنّ هذه الأيات نزلت في علّي و فاطمة و الحسن و الحسين فأنّهم آثروا المسكين و اليتيم و الأسير ثلاث ليال علىٰ إفطارهم.

قال القرطبي و هو من أعيان العامّة في تفسيره لهذه الأيات ما هذا لفظه:

قال أهل التّفسير نزلت في علّي و فاطمة رضي اللّه عنهما و جارية لهما إسمها فضّة، قلت و الصّحيح أنّها نزلت في جميع الأبرار و من فعل فعلاً حسناً فهي عامّة.

و قد ذكر النّقاش، و الثّعلبي و القشيري و غير واحدٍ من المفسّرين في قصّة علّي و فاطمة و جاريتهما حديثاً لا يصّح و لا يثبت.

رواه ليث عن مجاهد عن إبن عبّاس في قوله عزّ وجلّ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْمًا**.

الأيات قال مرض الحسن و الحسين فعادهما رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و عادهما عامّة العرب فقالوا يا أبا الحسن و رواه جابر الجعفي عن قنبر مولىٰ علّي مرض

الحسن و الحسين حتّىٰ عادهما رسول اللّه ﷺ فقال أبو بكر، يا أبا الحسن، رجع الحديث إلىٰ حديث ليث بن أبي سليم لو نذرت عن ولديك شيئاً و كلّ نذرٍ له وفاء فليس بشيءٍ فقال رضي اللّه عنه أن برأ ولد اي صمت للّه ثلاثة أيّام شكراً و قالت جارية لهم ثويبة إن برأ سيّداي صمت للّه ثلاثة أيّام شكراً و قالت فاطمة مثل ذلك و في حديث الجعفي قال الحسن و الحسين مثل ذلك فألبس الغلامان العافية و ليس عند أل محمّدٍ قليلٌ و لا كثيرٌ فإنطلق عليّ إلىٰ شمعون بن جارية الخيبري وكان يهوديّاً فإستقرض منه ثلاثة أسبوع من شعيرٍ فجاء به فوضعه ناحية البيت فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته و إختبزته و صلّىٰ عليّ مع النّبي ثمّ أتىٰ المنزل فوضع الطّعام بين يديه.

في حديث الجعفي فقامت الجارية إلىٰ صاع من شعيرٍ فخبزت منه خمسة أقراص لكلّ واحدٍ منهم قرص فلمّا مضىٰ صيامهم الأوّل وضع بين يديهم الخبز و الملح الجريش إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب و قال السّلام عليكم أهل بيت محمّد في حديث الجعفي أنا مسكين أمّة محمّد ﷺ و أنا و اللّه جائع أطعموني أطعمكم اللّه من موائد الجنّة فسمعه عليّ فأنشأ يقول:

فأطعم ذات الفضل و اليقين ... يابنت خير النّاس أجمعين
أما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنينُ
يشكو إلى اللّه و يستكين ... يشكوا إلينا جائعٌ حزين
كلّ إمرٍ بكسبه رهين ... و فاعل الخيرات يستبين
موعدنا جنّة عليّين ... حرّمها اللّه على الضّنين
و للبخيل موقفٌ مهينُ ... تهوي به النّار إلىٰ سجّين
شرابه الحميم و الغسلين ... من يفعل الخير يقم سمين

و يدخل الجنّة أيُّ حين

فأنشأت فاطمة رضي اللّه عنها تقول:

أمرك عندي يابن عمٍّ طاعة مابي من لؤم و لا وضاعة
غديث في الخبز له صناعة أطعمه و لا أبالي السّاعة
أرجوا إذا أشبعت ذا الحاجة أنّ الحقّ الأخيار و الجماعة
و أدخل الجنّة في شفاعة

فأطعموه الطّعام و مكثوا يومهم و ليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح فلمّا أن كا ن في اليوم الثّاني قامت إلىٰ صاعٍ فطحنته و أخبزته و صلّىٰ عليٌّ مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ أتىٰ المنزل فوضع الطّعام بين أيديهم فوقف في الباب يتيمٌ فقال السّلام عليكم أهل بيت محمّدٍ يتيمٌ من أولاد المهاجرين إستشهد والدي يوم العقبة أطعموني أطعمكم اللّه من موائد الجنّة فسمع عليٌّ فأنشد يقول:

فاطم بنت السيّد الكريم بنت نبّي ليس بالزّنيم

إلىٰ أخر الأشعار الّتى نقلها القرطبي في اللّيلة الثّانية و الثّالثة و قال في أخرها، فأعطوه الطّعام و مكثواً ثلاثة أيّام و لياليها لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح فلمّا أن كان في اليوم الرّابع و قد قضى اللّه النّذر أخذ بيده اليمنىٰ الحسن و بيده اليسرىٰ الحسين و أقبل نحو رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و هم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع فلمّا أبصرهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال يا أبا الحسن ما أشدَّ مايسوئني ما أرى بكم إنطلق بنا إلى إبنتي فاطمة فإنطلقوا اليها و هي في محرابها و قد لصق بطنها بظهرها و غارت عيناها من شدّة الجوع فلمّا رأها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و عرف المجاعة في وجهها بكىٰ و قال واغوثاه يا اللّه أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يموتون جوعاً فهبط جبرئيل و قال السّلام عليك، ربّك يقرئوك السّلام يامحمّد خذه هنيئاً في أهل بيتك قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فما أخذنا ياجبرئيل فأقرأه هل أتى على الإنسان، الآية إلىٰ قوله: **شُكُورًا**، إنتهى ما

ذكره القرطبي في تفسيره و نحن نقلناه عنه عين ألفاظ الحديث إلاّ أنّا حذفنا بعض الأشعار حذراً من الإطالة إن شئت الوقوف عليها فعليك بتفسيره[1].

ثمّ أنّ القرطبي نقل كلاماً من التّرمذي في تضعيف الحديث فقال ما هذا لفظه:

قال التّرمذي الحكيم أبو عبد اللّه في نوادر الأصول، فهذا حديثٌ مروَّقٌ مزيَّفٌ قد تطَّرف فيه صاحبه حتّى تشَّبه علىٰ المستمعين فالجاهل بهذا الحديث يعَّض علىٰ شفتيه تلهفاً ألاّ يكون بهذه الصّفة و لا يعلم أنّ صاحب هذا الفعل مذمومٌ و قد قال اللّه تعالىٰ في تنزيله **وَ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ** و هو الفضل الّذي يفضل عن نفسك و عيالك و جرت الأخبار عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم متواترة بأنّ خير الصّدقة ما كان عن ظهر غنىً، و أبدأ بنفسك ثمّ بمن تعول و أفترض اللّه علىٰ الأزواج نفقة أهاليهم و أولادهم قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت أفيحسب عاقل أنّ علّياً جهل هذا الأمر حتّىٰ أجهد صبياناً صغاراً من أبناء خمس أو ستّ علىٰ جوع ثلاثة أيّام و لياليهنّ حتّىٰ تضورُّوا من الجوع و غارت العيون منهم لخلاء أجوافهم حتّىٰ أبكىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما بهم من الجهد هب أنّه أثر علىٰ نفسه هذا السّائل فهل كان يجوز له أن يحمل أهله علىٰ ذلك، وهب أنّ أهله سمعت بذلك لعلّي فهل جاز له أن يحمل أطفاله علىٰ جوع ثلاثة أيّام بلياليهنّ ما يروج مثل هذا إلاّ علىٰ حمقىٰ جهّال أبىٰ اللّه لقلوب متنبّهة أن تظُّن بعلّي مثل هذا و ليت شعري من حفظ هذه الأبيات كلّه ليلةً من علّي و فاطمة و إجابة كلّ واحدٍ منهما صاحبه حتّىٰ أدّاه إلىٰ هؤلاء الرُّواة فهذا و أشباهه من أحاديث السُّجون فيما أرىٰ بلغني أنّ قوماً يخلّدون في السُّجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون أحاديث في السَّمر و أشباهه و مثل هذه الأحاديث مفتعلة فإذا صارت إلىٰ

1- ج ۱۹ ص ۱۳۰ إلىٰ ص ۱۳۴

الجهابذة رموا بها و زيّفوها و ما من شيءٍ إلاّ له آفة و مكيدة آفة الدِّين وكيده أكثر إنتهىٰ ما نقله القرطبي عنه.

أقول أنّما نقلنا ما نقله القرطبي عن التّرمذي بطوله و تفصيله حفظاً للأمانة لئلا يظُّن ظانّاً أنّ التِّرمذي لم يقل ذلك و أنت ترىٰ أنّ التِّرمذي أنكر أصل القضيّة و هى أنّ الأيات نزلت في علّي عليه السلام و فاطمة في إطعامهم المسكين و اليتيم و الأسير ثلاثة أيّام و إيثارهم هؤلاء المساكين علىٰ أنفسهم و لذلك حكم في صدر كلامه بأنّه حديثٌ مزَّوقٌ مزَّيقٌ ثمّ حكم ثانياً بأنّ صاحب هذا الفعل مذمومٌ إلىٰ أخر كلامه.

و نحن نقول إن كان إعتراضه علىٰ ألفاظ الحديث فهي من الرّاوي و لا ربط لها بأصل القضية فأنّ الحديث نقلوه بطرقٍ مختلفة من العامّة و الخاصّه و لذلك ترىٰ الألفاظ مختلفة.

و إن كان إعتراضه بل إنكاره علىٰ أصل الحديث فهو جاهل بالأخبار أو معاندٌ لأهل البيت فأنّ نزول الأيات في علّي و فاطمة و الحسن و الحسين ممّا لا خلاف فيه عند الشّيعة و أكثر علماء العامّة، أمّا الشّيعة فلا نحتاج إلىٰ نقل أقوالهم في الباب لأنّهم متّفقون علىٰ أنّ سورة هل أتىٰ نزلت في علّي و فاطمة و الحسن و الحسين، و أمّا العامّة فنشير إلىٰ بعضهم.

أبوالمؤيّد أحطب خوارزم موّفق إبن أحَمد من علماء العامّة بأسناده عن إبن عبّاس في قوله تعالىٰ: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ إلىٰ أخر) قال مرض الحسن و الحسين رضي اللّه عنهما فعادهما جدّهما رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و ساق الحديث إلىٰ أخره[1].

منهم، إبراهيم بن محمّد الحموينى في كتاب فوائد السِّمطين بأسناده عن مجاهد عن إبن عبّاس[2].

١- غاية المرام الباب الحادِي والسَّبعُون ص ٣٦٨

٢- ص ٣٧٠

منهم، الحافظ السّيوطي في الدُّر المنثور عند تفسيره لهذه الأية[۱].

منهم، الحافظ الحسكاني في كتابه المسمّىٰ بالشّواهد التّنزيل بأسناده عن علّي إبن موسى الرّضا عن أبائه عن علّي بن أبي طالب قال عليه السلام: **لمّا مرض الحسن و الحسين عادهما رسول اللّه، و نقل الحديث بطوله**[۲].

و أيضاً بأسناده عن إبن عبّاس الحديث[۳] و أيضاً بسَنَدٍ أخر عنه[۴].

و هكذا كثيرٌ من علماء العامّة إعترفوا بأنّ الأيات نزلت في علّي و أهل بيته و مع ذلك كلّه كيف يقول التِّرمذي فهو حديث مزَوقٌ مزَيفٌ، و العجب كلّ العجب من هذا الحكيم على قول القرطبي، حيث حكم بتزويق هذا الحديث و تزييفه مع أنّ الأكابر منهم نقلوه في كتبهم و أهل البيت الّذين طهّرهم اللّه عن كلّ رجسٍ إتّفقوا على صحّته، ولم يحكم بأنّ ما نقله أبو بكر عن رسول اللّه: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) مزَوقٌ مزَيفٌ مع مخالفته لنّص الكتاب، و هكذا لم يحكم بأنّ ما نقلوه عن رسول اللّه: (أصحابي كالنُّجوم بأيُّهم إقتديتم إهتديتم) مزَوقٌ مزَيفٌ، مع أنّ أبوسفيان ومعاوية وأمثالهما من أصحابه.

و أيضاً لم يحكم بأنّ ما نقلوه عن رسول اللّه (سترون ربّكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر) مزَوقٌ مزَيفٌ، و هكذا و هكذا فإعتبروا يا أولي الأبصار.

فَوَقيٰهُمُ ٱللّٰهُ شَرَّ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَ لَقّيٰهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُورًا، وَ جَزيٰهُمْ بِمٰا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا

الوقاية الحفظ و منها التّقوىٰ بمعنىٰ حفظ النّفس عن المحرّمات و فعل الواجبات، فمعنىٰ الأية، أنّ اللّه تعالىٰ حفظهم شرّ ذلك اليوم أي يوم القيامة فأنّه شرٌّ بالنّسبة إلىٰ العصاة و خيرٌ بالنّسبة إلىٰ المطيعين و المراد بالشّر في الآية العذاب أو الخوف و الوحشة.

۱- ج ۶ ص ۲۹۹
۲- ج ۲ ص ۳۰۰
۳- ص ۳۰۳
۴- ص ۳۰۵

و قوله: **وَ لَقّيٰهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُورًا** معناه أتاهم و أعطاهم نضرةً، أي حسناً، و سروراً و قيل، لقّاهم، أي إستقبلهم به و النُّضرة حسن الألوان، و قيل حسن الصُّورة، و قيل، ناضرة أي ناعمة، و السُّرور هو إعتقاد وصول المنافع إليه في المستقبل، و قيل هو لذةٌ في القلب بحسب متعلّقه بما فيه النّفع و ذلك لأنّ كلّ مسرورٍ لابدّ له من متعلّقٍ كالسُّرور بالمال و الولد و السُّرور بالإكرام و الإجلال و السُّرور بالشُّكر و الحمد و السُّرور بالثّواب و أنّما أعطاهم اللّه ذلك لأنّهم اوفوا بنذرهم في إطعامهم المساكين لوجه اللّه و إيثارهم علىٰ نفوسهم المسكين و اليتيم و الأسير و أنّهم فعلوا ذلك خالصاً مخلصاً لوجه اللّه و خوفاً من عذاب يوم القيامة ولمّا فعلوا في الدُّنيا كذلك أخبرهم اللّه بما أعدَّ لهم من الجزاء فقال: **فَوَقيٰهُمُ ٱللّٰهُ**.

و يستفاد من الآية ترَّتب الحكم علىٰ نفس العمل من أيّ شخصٍ صدر إذا كان علىٰ أساس الإيمان و الإخلاص.

وَ جَزيٰهُمْ بِمٰا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا أي أثابهم اللّه علىٰ صبرهم علىٰ محن الدُّنيا و شدائدها وتحَّملهم مشّاق التّكليف، و قيل بما صبروا علىٰ الفقر، علىٰ الصَّوم و قيل علىٰ الجوع ثلاثة أيّام و هى أيّام النَّذر و قيل بصبرهم علىٰ طاعة اللّه و صبرهم علىٰ معصيته و محارمه و (ما) مصَّدرية، قيل أنّ الآية نزلت في جميع الأبرار.

أقول الحقّ أن يقال أنّ الحكم يشمل جميع الأبرار و أمّا الآية فقد نزلت في أهل البيت، و هم في رأس الأبرار بلا كلام، و قوله: **جَنَّةً وَ حَرِيرًا** معناه أدخلهم الجنَّة و ألبسهم الحرير فيها.

مُتَّكِـِٔينَ فِيهٰا عَلَى ٱلْأَرٰآئِكِ لٰا يَرَوْنَ فِيهٰا شَمْسًا وَ لٰا زَمْهَرِيرًا

لمّا أشار اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة إلىٰ أنّ مكانهم الجنَّة و لباسهم فيها الحرير، أشار في هذه الآية و ما بعدها من الأيات إلىٰ سائر النِّعم الّتى أنعم اللّه

بها عليهم في الجنّة فقال: **مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ** فالإتّكاء الإعتماد و الأرائك جمع، أريكة، و هى الحلة فيها الأسرة و المعنىٰ أنّ هؤلاء الأبرار يعتمدون علىٰ الحجال الّتى عليها.

و قال الزّجاج الأريكة كلّ ما يتّكأ عليه من مسورةٍ أو غيرها و قد شوّق اللّه إلىٰ تلك الحال و هى غاية الرّفاهية **لَا يَرَوْنَ فِيهَا** أي في الجنّة **شَمْسًا وَ لَا زَمْهَرِيرًا** فالزّمهرير أشدّ ما يكون من البرد، قال المفسّرون معنىٰ الكلام لا يرون في الجنّة شدّة حرّ كحرّ الشّمس و لا زمهريراً أي برداً مفرّطاً.

و قال بعضهم لا شمساً، يتّأذون بحرّها و لا زمهريراً، يتّأذون ببردها، و المعنىٰ واحد.

و قال صاحب الكشّاف في معنىٰ الكلام يعني أنّ هواءها معتدل لا حرّ شمسٍ يحمي و لا شدّة بردٍ تؤذي، و قيل الزّمهرير القمر و عن ثعلب أنّه في لغة طيّ و أنشد:

و ليلةُ ظلامها قد إعتكر قطعتها و الزّمهرير ما زهر

و المعنىٰ أنّ الجنّة ضياء فلا يحتاج فيها إلىٰ شمسٍ و قمر إنتهىٰ كلامه.

أقول هذا ما ذكروه في تفسير قوله لا شمساً و لا زمهريراً.

و لقائلٍ أن يقول أن كان المراد من الكلام نفي الحرّ و البرد، فلم لم يقل لا حرّاً و لا برداً، فلا يبعد أن يكون في ذكر الشّمس نقطةٍ أخرىٰ و هى أنّ طلوع الشّمس علّة لوجود النّهار و غروبها لوجود اللّيل فلو كان هناك شمسٌ فلا محالة يكون النّهار موجوداً بوجودها، و اللّيل بغروبها ولازم ذلك وجود الفصل فيها و هو الصّيف و الشّتاء و قد ثبت أنّ اللّيل و النّهار يلبيان كلّ جديد، و المفروض أنّ الأخرة باقية علىٰ حالها لا زوال لها و لا تغيُّر فيها فلا صيف فيها و لا شتاء فالمؤمن مخلّدٌ في الجنّة و الكافر في النّار.

و علىٰ عذا فقوله **شَمْسًا وَ لَا زَمْهَرِيرًا** كنايتان عن نفي الصّيف و الشّتاء و انتفاء العلّة توجب إنتفاء المعلول هذا ما خطر ببالي و اللّه أعلم.

وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا

أي ظلّ الأشجار في الجنّة قريبة من الأبرار فهي مظلّةٌ عليهم زيادةٌ في نعيمهم و أن كان لا شمس و لا قمر ثمّ، كما أنّ أمشاطهم الذّهب و الفضّة و أن كان لا وسخ و لا شعث ثمّ، و قوله: **دانِيَةً** من الدُّنو و هو القرب و المعنىٰ إذا إشتهىٰ المؤمن ثمرة الأشجار ذانت الشَّجرة أي قربت إليه حتّىٰ يتناولها و إنتصبت دانيةً علىٰ الحال عطفاً علىٰ متّكئين و علىٰ هذا يأكل المؤمن من ثمرتها و هو متّكيٌ علىٰ الأريكة فلا يحتاج إلىٰ القيام و المشي إلىٰ جانب الشَّجرة بل الشَّجرة تقرب إليه، **فالقطُوف** بضّم القاف الثّمار و الواحد منها **قِطف** بكسر القاف فمعنىٰ الأية، و قريبة عليهم، أي علىٰ الأبرار **ظِلالُها** أي ظلّ الأشجار (و ذلّلت) أي سخّرت **قُطُوفُها** أي ثمار الأشجار **تَذْلِيلًا** أي خضوعاً تكوينّياً، و قيل هو تأكيد.

وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا، قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيرًا

أي يطاف علىٰ الأبرار في الجنّة **بِانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍوَ أَكْوابٍ** هو جمع كوب و هو إناء الشَّراب.

و قال إبن عبّاس الأكواب الأقداح، و قيل هي صغار القوارير و هى فضّة فلذلك قال **كانَتْ قَوارِيرَا** و قيل الأكواب الأباريق الّتى ليس لها خراطيم، و قيل الأكواب من فضّة في صفاء القوارير لا تمنع الرُّؤية، و قيل أرض الجنّة من فضّة و الأواني تتّخذ من تربة الأرض الّتى هي منها.

قال بعضهم ليس في الجنّة شيٌ إلاّ قد أعطيتم في الدّنيا شبهه إلاّ القوارير من فضّة **قَدَّرُوها تَقْدِيرًا** معناه أنّهما علىٰ قدر ما يشتهون من غير زيادةٍنقصان حتّىٰ تستوفي الكمال و المعنىٰ قدّرتها الملائكة الّتى تطوف عليهم.

و قيل أنّ الشّاربين قدّروا لها مقادير في أنفسهم علىٰ قدر ما إشتهوا.

وَ يُسْقَوْنَ فِيهٰا كَأْسًا كٰانَ مِزٰاجُهٰا زَنْجَبِيلًا، عَيْنًا فِيهٰا تُسَمّٰىٰ سَلْسَبِيلًا

أي يسقون الأبرار فيها، أي في الجنَّة **كَأْسًا** و هى الخمر في الإناء **كٰانَ مِزٰاجُهٰا زَنْجَبِيلًا** قيل، كان، صلة، أي مزاجها زنجبيل، قيل كانت العرب تستَّلذ من الشّراب ما يمزج بالزّنجبيل يطيب رائحته لأنَّه يحذو اللّسان و يهضم المأكول.

قال مجاهد الزّنجبيل إسمٌ للعين الّتى منها مزاج شراب الأبرار، و قيل هو إسمٌ للعين الّتى يشرب بها المقَّربون صرفاً و تمزج لسائر أهل الجنَّة و قيل غير ذلك و المعنىٰ كان فيها زنجبيلاً **عَيْنًا** بدل من كأسٍ و قيل نصب علىٰ أنَّه بدل من زنجبيلاً، فعلىٰ الأوّل نصبها علىٰ الموضع أي موضع، كأس، و السَّلسبيل الشّراب السَّهل اللذيذ، و هو في اللُّغة إسمٌ لما كان في غاية السَّلاسة فكأنّ العين سمَّيت بعضها و عن إبن عبّاس و مجاهد، أنَّها الحديدة الجزي تسيل في حلوقهم إنسلالاً و منه.

قول حسّان إبن ثابت:

يسقون من وزد البريض عليهم بردىٰ يصَّفق بالرَّحيق السّلسل

و قال أبو الغالية و مقاتل أنّما سمّيت سلسبيلاً، لأنّها يستسل عليهم في الطَّريق و فى منازلهم تنبع من جنّة عدن إلىٰ أوّل الجنّة.

وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ مُخَلَّدُونَ إِذٰا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا، وَ إِذٰا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا

و المعنىٰ، يطوف علىٰ هؤلاء الأبرار في الجنَّة، ولدانٌ مخلّدون، أي لا يموتون بل باقون علىٰ ما هم عليه من الشّباب و الغضاضة، و قيل معناه لا يهرمون و لا يتَّغيرون و يكونون علىٰ سنٍّ واحدةٍ علىٰ مرّ الأزمنة (إذا رأيتهم) أي إذا رأيت الولدان **حَسِبْتَهُمْ** و ظنَّنتهم لؤلؤاً منثوراً، أي مفرعاً في عرصة المجلس من كثرتهم و حسنهم **وَ إِذٰا رَأَيْتَ ثَمَّ** ثمّ، ظرف مكانٍ أىّ هناك في الجنّة و الفاعل فيه معنىٰ رأيت أي و إذا رأيت ببصرك، ثمّ.

قال الفّراء في الكلام، ما، مضمرة، أي و إذا رأيت ماثمّ **رَأَيْتَ نَعِيمًا** أي سائر ما يتّنعم به **وَ مُلْكًا كَبِيرًا** إختلفوا في معناه، فقال بعضهم الملك الكبير هو إستئذان الملائكة عليهم قاله السُّدي.

و قال الكلبي هو أن يأتي الرَّسول من عند اللّه بكرامةٍ من الكسوة و الطّعام و الشّراب و التُّحف إلىٰ ولّي اللّه و هو في منزله يستأذن عليه فذلك الملك العظيم، و قيل الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم دليله قوله تعالىٰ: **وَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ**[1] و قيل الملك الكبير كون التّيجان علىٰ رؤوسهم كما تكون علىٰ رأس ملكٍ من الملوك.

و قيل ملك الكبير ملكٌ لا يتعقّبه هلكٌ و موتٌ و الأقوال كثيرة و الذّي يظهر من أخبار أهل البيت عليهم السّلام هو أنّ الملك الكبير في الأخرة هو الّذي لا يزول و لا يفنى، و هذا هو الحقّ فأنّ الملك الّذي فيه الزّوال و الفناء لا يكون كبير بل هو صغير لا قيمة له كما أنّ الملك في الدُّنيا كذلك هذا كلّه مضافاً إلىٰ أنّ الملك في الأخرة منه ما تشتهيه الأنفس و تلّذ به الأعين بغير همٍّ و لا مصيبة و أعظم من ذلك كلّه حسن الجوار و هو الحشر مع الصُّلحاء و الصّديقين.

عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا

قرأ نافع و حمزة وبهن محيص **عاليهم** ساكنه الياء و إختاره أبو عبيد إعتباراً بقراءة إبن مسعود، و قرأ الباقون بفتح الياء علىٰ الظَّرف، و منهم من قرأ **عاليتهم** بالتّاء و الثّياب جمع ثوب و هو ما يلبس.

و **السُّندس** بضّم السّين ما رَّق من الدّيباج، و الإستبرق ما غلظ منه و قوله **حُلُّوا** بضّم الحاء و اللاّم المشدّدة بصيغة المجهول يقال حلي الرّجل الفضّة، و

١- الرعد = ٢٣/٢٤

حلي المرأة الذَّهب، فالتَّحلية الزِّينة بما كان من الذَّهب أو الفضّة و لا يختّص بالإنسان بل قد تكون في غيره كحلية السَّيف و حلية المركب، و معنى الآية أنّ عاليهم أي عالي الأبرار، و قيل عالي الولدان **ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ** من حيث اللّون **وَ إِسْتَبْرَقٌ** معطوفٌ على سندسٍ، و حاصل المعنىٰ أنّ لباس الأبرار أو الولدان، من سندسٍ و إستبرق، أي من الدّيباج الرَّقيق و الغليظ و أنّما قلنا ذلك لأنّ قوله: **عَالِيَهُمْ** يمكن أن يكون حالاً من الولدان و أن يكون حالاً من الأبرار ثمّ قال تعالىٰ: **وَ حُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ** و قال تعالىٰ في سورة الحجّ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**[1].

فقال بعض المفسّرين الذَّهب للنّساء و الفضّة للرّجال، و قال الأخر تارةً يلبسون الذَّهب و تارةً يلبسون الفضّة.

أقول لا نحتاج إلى هذه التّكلفات فأنّ التَّحلي بالذَّهب حرامٌ علىٰ الرّجال في الدُّنيا لا في الأخرة إذ لا تكليف هناك فلا مانع من إستعمال الذَّهب في الأخرة و هكذا الفضّة و لا فرق في ذلك بين الرّجال و النّساء فيها.

وَ سَقَيٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا نقل القرطبي في تفسيره عن علّي عليه السلام أنّه قال:

إذا توَّجه أهل الجنَّة إلىٰ الجنّة مرُّوا بشجرةٍ يخرج منها تحت ساقها عينان يشربون من إحداهما فتجري عليهم بنضرة النَّعيم فلا تتَّغير أبشارهم و لا تتشعَّث أشعارهم أبداً ثمّ يشربون من الأخرىٰ فيخرج من الأخرىٰ ما في بطونهم من الأذىٰ ثمّ تستقبلهم خزنة فيقولون لهم سلامٌ عليكم طبتم فأدخلوها خالدين، إنتهىٰ و اللّه أعلم.

و قال النَّخعي و أبو قلابة هو إذا شربوه بعد أكلهم طهَّرهم و صار ما أكلوه شربوه رشح مسك.

١- الحجّ = ٢٣

أقول ما ذكروه في تفسير الآية ذكروه من عند أنفسهم و قد رأيت في حديثٍ رواه في روضة الكافي و الحديث طويلٌ رواه أبو جعفر عليه السلام عن جدّه رسول اللّه و فيه ما هذا لفظه:

و عن يمين الشَّجرة التّي في باب الجنَّة عينٌ مطّهرة مزكيّة فيسقون منها شربةً فيطّهر اللّه بها قلوبهم من الحسد و يسقط عن أبشارهم الشَّعر و ذلك قول اللّه عزّ وجلّ و سقاهم ربُّهم شراباً طهوراً، من تلك العين المطّهرة ثمّ قال عليه السلام يصرفون إلىٰ عينٍ أخرىٰ عن يسار الشَّجرة فيغتسلون فيها و هي عين الحياة فلا يموتون أبداً الحديث.

إِنَّ هٰذا كٰانَ لَكُمْ جَزٰآءً وَ كٰانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا

أخبر اللّه تعالىٰ في هذه الآية أنّه يقال للمؤمنين لمّا أعطاهم من النّعيم في الجنّة ما أعطاهم علىٰ ما مرَّ ذكره في الأيات المذكورة **إِنَّ هٰذا** الّذي أعطيتم من الدّخول في الجنّة تلتّذون به **كٰانَ لَكُمْ جَزٰآءً** على ما فعلتم في الدُّنيا من الطّاعات **وَ كٰانَ سَعْيُكُمْ** في مرضات اللّه **مَشْكُورًا** أي جوزيتم عليه فكأنّه شكر لكم فعلكم ثمّ أخبر اللّه عن نفسه.

إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ ٱلْقُرْاٰنَ تَنْزِيلًا، فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لٰا تُطِعْ مِنْهُمْ اٰثِمًا أَوْ كَفُورًا

إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ ٱلْقُرْاٰنَ ما إفتريته و لا جئت به من عندك كما يدّعيه المشركون قيل وجه إتّصال هذه الآية بما قبلها أنّه سبحانه لمّا ذكر أصناف الوعد و الوعيد بيّن أنّ هذا الكتاب يتّضمن ما بالنّاس حاجة إليه فليس بسحرٍ و لا كهانة و لا شعر و أنّه حقٌّ لا مرية فيه و في قوله: **تَنْزِيلًا** إشارة إلىٰ إنزال القرأن أية بعد أية ولم ينزل جملة واحدة و قد مضىٰ الكلام في هذا المعنىٰ ثمّ أمر اللّه نبيّه بأمورٍ:

أحَدها: الصَّبر علىٰ أذىٰ المشركين و إستهزؤاهم إيّاه و إنكارهم القرأن و غير ذلك و إليه أشار بقوله: **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ** فأنّ الصَّبر مفتاح الفرج.

الثّاني: عدم الإطاعة من الكفّار قولاً و فعلاً فقال: **وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ** أي من الكفّار أثماً، مذنباً، أو كفوراً، بنعمة اللّه، قيل نزلت في عتبة بن ربيعة و الوليد بن المغيرة، و كانا أتيا رسول اللّه ﷺ يعرضان عليه الأموال و التّزويج على أن يترك ذكر النّبوة، و الآثم عتبة بن ربيعة و الكفور، هو الوليد لأنّه كان ذا مالٍ و أولادٍ و قد مرَّ الكلام فيه سابقاً.

قال مقاتل، الّذي عرض التّزويج عليه هو عتبة بن ربيعة فقال أنّ بناتي من أجمل نساء قريش فأنا أزوّجك إبنتي من غير مهرٍ و أرجع عن هذا الأمر، الوليد إن كنت ما صنعت لأجل المال فأنا أعطيك من المال حتّىٰ ترضىٰ و أرجع عن هذا الأمر فنزلت.

الثّالث: أمره اللّه تعالىٰ بذكر ربّه، فقال: **وَ ٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا** قيل معناه صلِّ لربّك أوّل النّهار و أخره ففي أوّله صلاة الصُّبح و في أخره صلاة الظُّهر و العصر.

و قال بعضهم معناه، و أذكر ربّك بما يستحقُّه من الصّفات و الأسماء الحسنىٰ و البكرة الغداة و الأصيل العشي و هو أصل اللّيل و جمعه آصال.

أقول ما ذكروه لا بأس به فأنّه من مصاديق الذِّكر إلاّ أنّ حمل الذّكر علىٰ معناه العامّ أولىٰ و أحسن و المعنىٰ أذكر ربّك باللّيل و النّهار فالغداة كناية عن النّهار و الأصيل عن اللّيل و فيه إشارة إلىٰ أنّ العبد المطيع ينبغي أن يكون في جميع ساعات اللّيل و النّهار متّوجهاً إلىٰ ربّه غير غافلٍ عنه و لا تشغله الدُّنيا و ما فيها عن ذكر ربّه و التّوجه إليه و إن شئت قلت مراده بالذّكر وجدان المذكوره و حضوره بالقلب لا ذكره باللّسان وحده مع غفلة القلب فأنّه غير معتبرٍ عند السّالك، فأوّل مراتب الذِّكر نسيان الغير لأنّك إن لم تنس الكلّ ما وجدته فإذا

كان العبد موصوفاً بنسيان الغير و ذكر الرَّب كانت نفسه مذكورة في ضمن هذا الذِّكر في هذه الدَّرجة.

قال بعض العرفاء أفضل الذِّكر لا إله إلاّ اللّه فأنّها كلمة التّوحيد و التّنزيه عن الشّرك و الفارق بين الكفر و الإيمان و لكونها أجمع للقلب مع اللّه و أنفىٰ للغير و أشدّ تزكيةً للنّفس و تصفيةً للباطن و تنقيةً من حديث النّفس و أطرد للشّيطان أجمعوا علىٰ أنّ العبد يجب أن يداوم علىٰ هذا الذّكر وحده في الذّكر اللّساني إلاّ أنّ الذّكر اللّساني وحده لا يكفي في تحقّق الذّكر بقولٍ مطلق بل ينبغي أن يكون العبد قولاً و فعلاً و قلباً ذاكراً متوّجهاً إلىٰ معبوده و الكلام في هذا الباب يحتاج إلىٰ كتاب أخر ثمّ أمر اللّه نبيّه بعد ذلك بالتّهجد في اللّيل.

وَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا

كلمة (مِن) للتّبعيض أي بعض اللّيل و المعنىٰ فأسجد له في بعض اللّيل، جميع اللّيل لأنّه مستلزم للحرج و المشّقة ولم يجعل اللّه في دينه حرجاً علىٰ أحدٍ من خلقه كما قال: **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ ٱللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ**[1].

و قد مرَّ الكلام فيه و قوله: **وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا** فالتَّسبيح التَّنزيه أي نَزِّ ربّك عمّا لا يليق بشأنه في اللّيل الطَّويل و قد مضىٰ تفسيره في المزَّمل.

إِنَّ هَٰؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا

هؤلاء إشارة إلىٰ أبناء الدُّنيا و محبّيها و لا وجه لتخصيصه بالكفّار و المشركين كما قال المفسّرون، فأنّ حبّ العاجلة و هى الدُّنيا لا يختصّ بهم كما هو واضح فأنّ حبّ الدُّنيا و ترك الأخرة من الأعراض النّفسانية الّتى لا تجد تاركه إلاّ قليلاً فأكثر النّاس من الكافرين و المسلمين من مصاديق هذه الآية و

١- المُزَّمل = ٢٠

أيّ كافرٍ أو مشركٍ كان أحرص علىٰ الدُّنيا و ما فيها من المسلمين المنافقين الّذين فعلوا بعد موت النّبي ما فعلوا بل نقول أنّهم كانوا أحرص عليها من أبي جهل و عتبة و شيبة و امثالهم ممّن قتلوا في غزوة بدر، لأنّهم أسلموا طمعاً، و الكفّار لم يسلموا أصلاً، و البقاء علىٰ الكفر و الموت عليه أحسن من النّفاق و الموت عليه لأنّ الأوّل ظلم على نفسه و الثّاني على نفسه و على غيره و الإنصاف أنّ ضرر الكفّار الّذين أنكروا نبّوة نبّينا أمثال أبي جهل و أبي لهب و عتبة و غيرهم ما كان أكثر و أشدّ و أفظع و أقبح من ضرر أبي سفيان و معاوية و يزيد و عبدالملك و هكذا على الإسلام و المسلمين أليس هذا أدّل دليلٍ على حبّهم العاجلة أتظُّن أنّهم فعلوا بعد النّبي ما فعلوا لأجل الأخرة والتّقرب الىٰ اللّه لا لأجل الدُّنيا و حبّها، و حاصل الكلام أنّ اللّه تعالىٰ أخبر في هذه الآية أنّ هؤلاء الكفّار و المنافقين من المسلمين يحبُّون الدُّنيا و يتركون وراءهم يوماً كان ثقيلاً، و هو الأخرة أي لا يخافون فيها و لا يعلمون أو لا يعتقدون أنّه يوم علىٰ الظّالمين عسيرٌ.

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا

أشار بهذه الآية الى أنّ هؤلاء الّذين يحبّون العاجلة لا يقدرون علىٰ الفرار من سلطاننا و ذلك لأنّ المخلوق تحت قدرة الخالق فقال: **نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ** و أوجدناهم، **وَ شَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ** أي خلقهم، و قيل الأسر القوّة أي شدّدنا قوّتهم بالمال و الأولاد.

وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا أي إذا شئنا أهلكنا هؤلاء و جئنا بقومٍ آخرين بدلهم نخلقهم و نوجدهم و الأسر مشتّق من الإسار و هو الّذي يشتدّ به الأقتاب يقال أسرت ألقتب أسراً أي شدّدته و ربطته، و من المعلوم أنّ اللّه علىٰ كلّ شئٍ قدير، إلاّ أنّ المصلحة إقتضت أن يمهلهم في دار الدُّنيا و أمّا حسابهم ففي الأخرة.

إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰآءَ ٱتَّخَذَ إِلٰى رَبِّهِ سَبِيلًا

أي أنّ هذه الأيات هذه السُّورة من أوّلها الى آخرها تذكرة و موعظة لمن يتذَّكر و يتَّعظ بما فيها من آيات الوعد و الوعيد و التَّخويف و التَّرغيب.

فَمَنْ شٰآءَ ٱتَّخَذَ إِلٰى رَبِّهِ سَبِيلًا أي طريقاً موصلاً الىٰ طاعته و طلب مرضاته فهذه الآية صريحة في أنّ الإنسان مختارٌ في الدُّنيا وليس علىٰ اللّه و رسوله إلاّ الإرشاد و إرائة طريق الحقّ خلافاً للأشاعرة القائلين بالجبر و أنّ العبد لا إختيار له و ذلك لأنّ قوله: **فَمَنْ شٰآءَ** صريحٌ في المدّعىٰ و هو الإختيار فلو كان الإنسان مجبوراً لا إختيار له، فما معنىٰ هذا الكلام و يؤيّد ما ذكرناه قوله تعالىٰ: **لَآ إِكْرٰاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ**[1] ثمّ قال بعد ذلك.

وَ مٰا تَشٰآءُونَ إِلَّآ أَنْ يَشٰآءَ ٱللّٰهُ إِنَّ ٱللّٰهَ كٰانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

قال القرطبي و هو من القائلين بالجبر في تفسير هذه الآية ما هذا لفظه، فأخبر أنّ الأمر اليه سبحانه ليس اليهم و أنّه لا تنفد مشيّتة أحدٍ و لا تتَّقدم إلاّ أن مشيّتته و ساق الكلام الىٰ أن قال و قيل أنّ الآية منسوخة و الأشبه أنّها ليس بنسخ بل هو مبين أنّ ذلك لا يكون إلاّ بمشيّته و نقل عن الفّراء أنّه قال: **وَ مٰا تَشٰآءُونَ إِلَّآ أَنْ يَشٰآءَ ٱللّٰهُ** جواب لقوله: **فَمَنْ ٱتَّخَذَ إِلٰى رَبِّهِ سَبِيلًا** ثمّ أخبرهم أنّ الأمر ليس اليهم فقال: **وَ مٰا تَشٰآءُونَ** ذلك السّبيل إلاّ أن يشاء اللّه لكم إنتهىٰ كلام القرطبي.

و نحن نقول أن كان الأمر ليس اليهم، فما معنىٰ قوله: **إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰآءَ ٱتَّخَذَ إِلٰى رَبِّهِ سَبِيلًا** أليس للعبد أن يقول يوم القيامة لربّه أنّك أخبرتنا، أنّ الأمر ليس الينا، فلا ذنب لي ثمّ أنّ هذا الكلام أشبه شئ بإجتماع النّقيضين فأنّ قوله: **فَمَنْ شٰآءَ ٱتَّخَذَ** يثبت الإختيار، و قوله ليس الأمر اليهم علىٰ قول

١- البقرة = ٢٥٦

القرطبي يسلب الإختيار عنهم فالعبد مختار و غير مختار و هذا هو التّناقض بعينه لأنّ نقيض كلّ شيءٍ رفعه فكأنّ اللّه تعالىٰ قال لهم، فمن شاء منكم إتّخذ الىٰ ربّه سبيلاً، أو فليتّخذ الىٰ ربّه سبيلاً، و ليعلم أنّ الأمر ليس اليه، أي لا يقدر علىٰ الإتّخاذ بل الأمر بيد اللّه لا إليه، و لا أظنّ أنّ العاقل يتفوّه بهذا الكلام الّذي لا يساعده العقل و النّقل و هذا فبلغهم من العلم و لم يعلموا أنّ القائل بهذا الكلام و حمل كلام اللّه عليه مسئولٌ يوم القيامة.

أن قلت فما معنىٰ الأية.

قلت المشيّئة في قوله: **إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ** بمعنىٰ العلم أي لا تشاؤن إلاّ أنّ اللّه تعالىٰ عالمٌ به و بعبارةٍ أخرىٰ ما تشاؤن إلاّ ما علم اللّه به و قد ثبت أنّ العلم الأزلي ليس علّةً لفعل العبد.

يُدْخِلُ مَنْ يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ ٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

أي يدخل اللّه تعالى من يشاء من عباده في رحمته الواسعة و أمّا الظّالمون المنكرون للحقّ المتجاوزون عن الحدّ أعدّ لهم عذاباً أليماً، يوم القيامة بما كسبت أيديهم و ما ربّك بظلامٍ للعبيد.

■

سُورَةُ ٱلْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَ
ٱلنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾
فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَ
إِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَ إِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾
وَ إِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾
لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ
﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ
نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَآءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي
قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا
فَنِعْمَ ٱلْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَ أَمْوَاتًا
﴿٢٦﴾ وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَ أَسْقَيْنَاكُمْ
مَآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

ٱنْطَلِقُوٓا إِلٰى مَا كُنْتُمْ بِهٖ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنْطَلِقُوٓا
إِلٰى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَ لَا
يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ
﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَ لَا
يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَ فَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾
كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا
كَذٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ
مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَ إِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

◄ اللّغة

عُرْفًا: بضّم الغَين معناه التَّتابع أي متتابعة كعرف الفرس.

فَالْعٰصِفٰتِ: يقال عصفت الرّيح إذا إشتَّد هبوبه.

وَ ٱلنّٰشِرٰتِ: النَّشر التَّفرق و منه نشر السّحاب في الهواء.

فَالْفٰرِقٰتِ: هي الّتى تفرق بين الحقّ و الباطل.

فَالْمُلْقِيَاتِ: فالإلقاء طرح الشّيء.

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا: قال أبو علّي (عذر و نذر) بضّم الذّال فيهما جمع عاذر و ناذر.

طُمِسَتْ: بضمّ الطّاء و كسر الميم بصيغة المجهول فالطّمس ذهاب الضّوء.

فُرِجَتْ: بضمّ الفاء بصيغة المجهول، فالفرج الشّق.

نُسِفَتْ: يقال نسفت الشّيء و أنسفته إذا أخذته كلّه بسرعةٍ.

أُقِّتَتْ: بضمّ الألف و كسر القاف معناه، جمعت، و هو من الوقت بمعنىٰ الأجل.

أُجِّلَتْ: التّأجيل التّأخير أي أخّرت.

مَهِينٍ: المهانة الضّعف و الحقارة، أي ضعيفٌ حقيرٌ.

كِفَاتًا: الكفاة الغّمام يقال كفت الشّيء يكفته كفتاً و كفاتاً إذا ضمّه، و قيل الكفاة الوعاء.

رَوَاسِيَ: فالرّواسي الثّوابت.

شَامِخَاتٍ: الطّوال و منه قولهم فلان شمخ بأنفه إذا رفعه كبراً.

فُرَاتًا: الفرات بضمّ الفاء الماء العذب.

ظِلٍّ: الظلّ بكسر الظّاء الدّخان.

مِنَ ٱللَّهَبِ: بسكون الهاء مصدر قولك لهب لهباً فاللّهب ما يعلوا علىٰ النّار إذا إضطربت من أحمرٍ و أصفرٍ و أخضرٍ.

بِشَرَرٍ: واحدته، شررة و هو ما تطاير من النّار في كلّ جهةٍ و أصله من شررت الثّوب إذا بسطته للشّمس ليجف.

كَالْقَصْرِ: القصر البناء العالى.

جِمَالَتٌ صُفْرٌ: و هى الإبل السُّود و أنّما سميّت صفراً لأنّه يشوب سوادها شيءٌ من صفرة (في ظلالٍ و عيون) ظلال جمع ظلّ، والعيون جمع عين.

◄ الإعراب

عُرْفًا في موضع الحال أي متتابعة عَصْفًا مصدر مؤكّد ذِكْرًا مفعول به عُذْرًا أَوْ نُذْرًا فيها وجهان:

أحدهما: سكون الذّال فيهما أو ضمّها، فهما علىٰ هذا مصدران.

الثّانى: أنّهما جمع عذير و نذير، فعلىٰ الأوّل نصبهما علىٰ المفعول له أو علىٰ البدل من، ذكراً، و علىٰ الثّاني هما حالان من الضّمير في الملقيات أي معذرين و منذرين إِنَّمٰا هاهنا بمعنىٰ، الّذي و الخبر، لواقع، و لا تكون ما، مصدريّة، و لا كافّة لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ هو جواب إذا في قوله فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ويلٌ، هو مبتدأ و يَوْمَئِذٍ نعتٌ له أو ظرف له وَالْمُكَذِّبِينَ الخبر إِلٰى قَدَرٍ في موضع الحال أَحْيٰآءً قيل هو مفعول، كفاتاً و قيل هو المفعول الثّاني، لجعلنا لَا ظَلِيلٍ نعتٌ لظلّ هٰذا هو مبتدأ يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ خبر.

◄ التّفسير

وَ ٱلْمُرْسَلٰاتِ عُرْفًا

الواو للقسم و ما بعدها للعطف، و الْمُرسَلات بضّم الميم و فتح السّين الرّياح، و قوله: عُرْفًا معناه متتابعات و قيل المراد بها الملائكة و قيل الأنبياء.

فَعلىٰ القَول الأوّل: معناه، أقسم بالرّياح المتتابعات لأنّ معنى عُرْفًا يتبع بعضها بعضاً كعرف الفرس تقول العرب النّاس إلىٰ فلان عرفٌ واحد إذا توَّجهوا إليه فأكثروا و هو نصب علىٰ الحال و قيل عُرْفًا أي معروفاً إرسالها.

علىٰ القَول الثّانى و الثّالث: فالعرف بمعنىٰ المعروف أي جاء الأنبياء و الملائكة بالمعروف.

فَالْعٰاصِفٰاتِ عَصْفًا

العصوف مرور الرّيح بشدّةٍ يقال عصفت الرّيح عصوفاً إذا.

إشتدّت هُبُوبها وَ ٱلنَّاشِرَاتِ نَشْرًا

و قال قتادة هي الرّياح لأنّها تنشر السّحاب للغيث كما تلحقه المطر، و قيل هي الملائكة تنشر الكتب عن اللّه و قيل أنّها الأمطار لأنّها تنشر النّبات، و قيل النّاشرات الملائكة الموّكلون بالسُّحب ينشرونها.

فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا

أي الفارقات بين الحقّ و الباطل و المراد الملائكة قتادة هي أيات القرأن و قيل هو القرأن يفرق بين الحقّ و الباطل.

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا

أي إيقاعه علىٰ غيره فأنّ الذِّكر يلقي بالبيان و الأفهام و هو من صفة الملائكة.

أقول و الأحسن أن يقال أنّ المراد بهم الأنبياء ثمّ الأوصياء ثمّ العلماء فأنّهم يلقون الذِّكر على النّاس و المراد بالذِّكر التّوحيد و النّبوة و المعاد و جميع الأحكام الفَّرعية.

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا

قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائي بإسكان الذّال في نُذراً و الباقي بضمّ الذّال.

و أمّا عُذراً، فقد إتّفقوا على إسكان الذّال فيه سوى (عاصم) فأنّه قرأ بضمّ الذّال فيه، ثمّ أنّهم إختلفوا، فقال بعضهم هما جمع، عذير و نذير.

و قال الآخرون هما مصدران أي أعذاراً من اللّه أو إنذاراً إلىٰ خلقه من عذابه و قيل يعني الرُّسل، يعذرون و ينذرون، و قيل هما جمع عاذر و ناذر

كقوله تعالىٰ: هٰذا نَذيرٌ مِنَ ٱلنُّذُرِ ٱلأُولىٰ[1] فيكون نَصباً علىٰ الحال مِن الإلقاء أي يلقون الذِّكر في حال القدرة و الإنذار.

إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ

و الأصل أنّ ما توعدون لواقع، فما، موصولة بمعنى الّذي و المعنى أنّ الّذي توعدون بواسطة الأنبياء من أهوال القيامة، لواقع بكم و نازلٌ عليكم قطعاً فهو أي قوله: لَواقِعٌ جواب ما تقدّم من القسم من المرسلات إلىٰ أخرها، فأنّ الواو في جميعها للقسم أي أقسم بما ذكرناه أنّ ما توعدون لواقع ثمّ بيَّن اللّه تعالىٰ وقت وقوع القيامة فقال:

فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ

الطَّمس محو الأثر الدّال علىٰ الشَّئ و المعنىٰ ذهب ضوءها و محي نورها كطمس الكتاب و النُّجوم الكواكب المضيئة و من علائم القيامة ذهاب نور الكواكب.

وَ إِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ

الفرج الشَّق أي شقَّقت السّماء و صدَّعت.

وَ إِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ

نسف الجبال إذهابها حتّىٰ لا يبقىٰ لها في الأرض أثره و قيل، نسفت أي ذهب بها كلّها بسرعةٍ يقال نسفت الشّئ و أنسفته إذا اخذته كلّه بسرعةٍ.

وَ إِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ

قيل في معناه، أي أعلمت وقت الثّواب و وقت العقاب فالتّوقيت تقدير الوقت لوقوع الفعل، و قيل معناه جمعت لوقتها ليوم القيامة و الوقت الأجل

١- النّجم = ٥٦

الّذي يكون عنده الشّئ المؤخّر إليه فالمعنىٰ جعل لها وقتٌ و أجل للفصل و القضاء بينهم و بين الأمم كما قال تعالىٰ: **يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ**[1].

قال الفّراء، الهَمَزة في **أُقِّتَت**، بدل من الواو، و أصله وقتت، لأنّه من التّوقيت، و قيل لما كان الرُّسل قد قدّر إرسالها لأوقات معلومة بحسب صلاح العباد فيها كانت قد وقتت تلك الأوقات بمعنىٰ أعلمت وقت الثّواب و وقت العقاب.

لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ

أي أُخّرت فالتّأجيل التّأخير إلىٰ أجلٍ فالرُّسل قد أجّلت أي أخّرت بموعودها إلىٰ يوم الفصل و هو يوم القيامة و فى هذا الكلام تعظيم لذلك اليوم فهو إستفهام علىٰ التّعظيم أي **لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ** أجلّت و هو اليوم الّذي يفصل فيه بين النّاس بأعمالهم إلىٰ الجنّة أو إلى النّار.

فقد روي أنّه إذا حشر النّاس يوم القيامة قاموا أربعين عاماً شاخصة أبصارهم إلىٰ السّماء ينظرون الفصل، و كيف كان لا شكّ أنّ يوم القيامة لا يمكن أن يوصف في هوله و شدّته و لذلك قال تعالىٰ:

وَ مَآ أَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ

ما، نافية أي لا تعلم أي يوم يوم الفصل، فما في قوله: **مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ** إستفهاميّة بمعنىٰ (أيُّ) أي لست تعلم أيُّ شئٍ يوم الفصل.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

الويل، بفتح الواو، وادٍ في جهنّم، فيه ألوان العذاب، قيل روي عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال، عرضت علَّي جهنَّم فلم أر فيها وادياً أعظم من الويل.

و روي أنّه مجمع ما يسيل من قبيح أهل النّار و صديدهم.

١- المائدة = ١٠٩

و قال بعضهم أنّ ذلك الوادي مجمع صديد أهل الكفر و الشّرك ليعلم ذوا العقول أنّه لا شيئ أقدر منه و لا أنتن منه نتناً، و لا أشدَّ منه مرارةً و لذلك وصفه رسول اللّه بما وصف و قال: لم أر فيها وادياً أعظم من الويل أعاذنا اللّه منه.

ثمّ قال تعالىٰ أنّه للمكذّبين، أي الويل أعدَّه اللّه لمن كذَّب رسله ولم يؤمن بهم و ذلك لأنّ تكذيب الرّسول هو تكذيب اللّه في الحقيقة و أيُّ كفرٍ أشدَّ من تكذيب اللّه.

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْاٰخِرِينَ، كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

الإستفهام للإنكار أي أهلكنا الأوّلين من الأمم الماضين، كقوم نوح و قوم عاد و ثمود، و فرعون و من تبعه إلىٰ غير ذلك من المنكرين الكافرين، ثمّ نتبعهم الأخرين أي نلحق الأخرين بالأوّلين فأنّ حكم الأمثال واحد و أنّه تعالىٰ علىٰ كلّ شيئٍ قدير و ملاك العذاب فيهم موجود، فإستحقاق العذاب ثابت للأخرين كما كان ثابتاً للأوّلين.

كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ أي مثل ما فعلناه بمن تقدَّم نفعل بمشركي قريش إمّا بالسَّيف و إمّا بالهلاك، ويلٌ بالمكذّبين، أي يوم القيامة للمكذّبين.

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مٰآءٍ مَهِينٍ، فَجَعَلْنٰاهُ فِي قَرٰارٍ مَكِينٍ، إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ، فَقَدَرْنٰا فَنِعْمَ ٱلْقٰادِرُونَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

الإستفهام للإنكار أي خلقناكم من ماءٍ مهين، أي من نطفةٍ، و المهين الضَّعيف و الحقير وصف اللّه تعالىٰ النُّطفة بالحقارة و هى كذلك و فى الآية دلالة واضحة علىٰ أنّ خلق الجنين أنّما هو من ماء الرَّجل وحده و فيه ما لا يخفىٰ من الدّلالة علىٰ أنّ للإنسان مدّبراً و صانعاً و خالقاً فمن جحده كان كالمكابر عقله، فجعلناه، أي جعلنا الماء و هو النُّطفة، في قرارٍ مكينٍ، فالقرار

المكان الّذي يمكن أن يطول فيه مكث الشّيء، و المراد بالمكين الرَّحم أي جعلناه في مكانٍ حريز و هو الرَّحم.

إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ أي إلىٰ أن نصَّوره، أو إلى وقت الولادة، فالقدر المعلوم الّذي لا زيادة فيه و لا نقصان فكأنّه قال إلىٰ مقدارٍ من الوقت المعلوم.

أقول القَدر بفتح القاف و سكون الدّال و الرّاء ما يقدّره اللّه من القضاء و بفتح الدّال ما صدر مقدوراً عن فعل القادر.

قال الرّاغب في المفردات و تقدير منّي الإنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات فتقدير اللّه علىٰ وجهين:

أحدهما: بالحكم منه أن يكون كذا و لا يكون كذاإمّا علىٰ سبيل الوجوب و إمّا علىٰ سبيل الإمكان و علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: **قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا**[1].

الثّانى: بإعطاء القدرة عليه فقوله: **فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ** فيه تنبيهٌ علىٰ أنّ كلّ ما يحكم به فهو محمودٌ، في حكمه أو يكون من قوله: **قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا** و قرئ **فَقَدَّرنا** بالتّشديد و ذلك منه أو من إعطاء القدرة و كيف لا شكّ أنّ اللّه تعالىٰ قادرٌ علىٰ كلّ شئ بل الحقّ أنّه لا قدرة إلاّ قدرته كما لا لم إلاّ علمه و لا حياة إلاّ حياته **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** أي يوم القيامة للمكذّبين.

أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا، أَحْيَآءً وَ أَمْوَٰتًا، وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَ أَسْقَيْنَٰكُمْ مَّآءً فُرَاتًا، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ

الهَمزة أيضاً للإنكار و المعنىٰ جعلنا الأرض كفاتاً، و الكفاة الغمام أي ضامّة تضّم الأحياء علىٰ ظهورها و الأموات في بطنها، و هذا يدلّ علىٰ وجوب واراة الميّت و دفنه في الأرض حتّىٰ الإمكان هكذا قيل و إلىٰ ذلك أشار بقوله **أَحْيَآءً وَ أَمْوَٰتًا** أي أنّ الأرض تضّم الأحياء و الأموات و الكفت في الأصل الضمّ و الجمع و إلىٰ هذا المعنىٰ أشار الشّاعر بقوله:

١- الطّلاق = ٣

كرامُ حين تنكفت الأفاعى إلىٰ أحجارهنّ من الصَّفيع

و قال أبو عبيد الكفاة الأوعية و منه قول الشّاعر:

فأنت اليوم فوق الأرض حيّاً و أنت غداً تضُمك في كفاةٍ

وَ جَعَلْنا فيها أي في الأرض **رَواسِيَ شامِخاتٍ** أي الجبال الثّابتات الطِّوال، فالشّامخات الطِّوال، و قد مرَّ الكلام فيه غير مرَّةٍ.

أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتًا فالفرات الماء العذب يشرب و يسقىٰ منه الزَّرع **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** قال بعض المحقّقين أنّ هذه الأمور أعجب من البعث إلاّ أنّه لا يقدر عاقلٌ علىٰ إنكارها لكونها من الأمور المحسوسة ولو تأمَّل فيها متأمل يراها أعجب من البعث ولكن ما أكثر العبر و أقلّ الإعتبار فأنّ اللّه القادر على المذكور في تلك الأيات كيف لا يقدر علىٰ البعث، ثمّ كيف يعبد غيره.

اِنْطَلِقُوا إِلىٰ ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

الإنطلاق الإنتقال من مكانٍ إلىٰ مكانٍ أخر من غير مكثٍ الإنتقال و هو مأخوذ من الإطلاق خلاف التَّقييد، فالإنتقال من حالٍ إلىٰ حالٍ أو من إعتقادٍ إلىٰ إعتقادٍ لا يسمّىٰ إنطلاقاً و حيث أنّ الكفّار ينتقلون من غير النّار إلىٰ النّار قال تعالىٰ: **اِنْطَلِقُوا** أي إنتقلوا إلىٰ جهنَّم الّتى كنتم بها من المكذّبين و بعبارةٍ أخرىٰ إنتقلوا إلىٰ النّار الّتى أنكرتموها في الدُّنيا جزاءً علىٰ المعاصي ثمّ ذكر اللّه الموضع الّذي أمرهم بالإنطلاق إليه.

اِنْطَلِقُوا إِلىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ، لا ظَلِيلٍ وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ، إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

لمّا أمرهم اللّه بالإنطلاق إلىٰ ما كذَّبوه و هو النّار بيَّن في هذه الأيات أوصافها و هى ثلاثة أو أربعة فقال أنّها ظلٌّ له ثلاث شعب، فالظِّل دخانٌ من

جهنّم ينقسم ثلاث شعب كما قال تعالىٰ: **أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**[1].

لَا ظَلِيلٍ وَ لَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ الظّليل المانع عن الأذىٰ بستره عنه و هو من الظِّلّة و هي السِّترة و المراد به ها هنا الدُّخان لا يغني من حرّ النّار شيئاً و بيَّن ذلك بقوله: **وَ لَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ** و اللّهب إرتفاع الشَّرر و هو إضطرام النّار و محصّل الكلام في معنىٰ الآية إنطلقوا الىٰ ظلٍ أي دخانٍ لا يغني و لا يدفع من حرّ النّار شيئاً.

و الشُعبة الثّانية: قوله: **إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ** يغني النّار ترمي بشررٍ كالقصر، و **الشَّرَر** بفتح الشّين و الرّاء واحدها، شررة، كما أنّ الشّرار، و احدته، شرارة، فالشَّرر ما تطاير من النّار في كلّ جهةٍ واصلة من شررت الثَّوب إذا بطشه للشّمس ليجفّ، و المقصود أنّ شرار النّار ترميهم و قوله: **كَٱلْقَصْرِ** و **القَصر** بفتح القاف و سكون الصّاد البناء المرتفع العالي و هو في معنى الجمع علىٰ طريق الجنس و على هذا فالمعنىٰ الحصون و المدائن شبَّه اللّه تعالىٰ شرر النّار بالقصر في علّوه و إرتفاعه، و قيل، القصر. جمع، قصرة، ساكنة الصّاد، مثل، جمرة و جمرٍ، و ثمرة و ثمر، و القصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ و عن البخاري عن إبن عبّاس في قوله: **تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ** كما ترفع الخشب ثلاثة أذرع أو أقّل فترفعه للشّتاء فتسميّه القصر و عن سعد بن جبير و الضّحاك هي أصول الشَّجرة و النّخل العظام إذا رفع و قطع و قيل أعناقه، و قال مجاهد و غيره **كالقَصر** بفتح الصّاد أي أعناق النّخل، و القصرة، العنق، جمعها، قصر و قصرات، و قال قتادة، أعناق الأبل، و الأقوال كثيرة و المشهور عند المفسّرين هو القول الأوّل.

الشّعبة الثّالثة: قوله تعالىٰ: **كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ** قرأ حفص و حمزة و الكسائي **جِمالة** بكسر الجيم بصيغة المفرد و بقية الشّعبة (جمالات) بصيغة

١- الكهف = ٢٩

الجمع و المصاحف كلّها علىٰ القراءة الأوّلىٰ ثمّ أنهم إختلفوا فقال الفّراء يجوز أن يكن (جمالات) جمع، جمال، كما يقال، رجل و رجل و رجلات، و قرأ بعضهم (جُمالات) الجيم و هى الجبال الغلاظ و علىٰ أيّ التّقادير فالجمالات الصفّر، و هى الأبل السُّود و العرب تسمّىٰ السُّواد من الأبل صفراً قال الشّاعر:

وتلك خيلي منه و تلك ركابى هنَّ صفّرٌ أولادها كالزبيب

و أنمّا سميّت السُّود من الأبل صفّر لأنّه يشوب سوادها شئ من صفرةٍ و بعضهم ضعَّف هذا القول و قال إنّا لا نعلم شيئاً منها في اللُّغة و وجَّه عندنا أنّ النّاس خلقت من النُّور فهي نارٌ مضيئة ثمّ إسودَّت وإزدادت حدّة و صارت أشدَّ سواداً من النّار و من كلّ شئٍ سواداً، و الشَّرر أسود لأنّه من نارٍ سوداء فإذا رقت النّار بشررها ترمي الأعداء به **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ** أي يوم القيامة للمكذّبين و قد مضىٰ معناه.

هٰذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ، وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

هذا، يوم القيامة **يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ** أي لا يتّكلمون، إختلفوا في معنىٰ هذا اللّفظ، فقال قومٌ لا يتكلّمون من هول محشر و خوفه و قيل يوم القيامة له مواطن و مواقيت فهذا من المواطن الّتى لا يتّكلمون فيها **وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** أي لا يؤذن لهم، في الإعتذار أيضاً.

و قيل إنّهم لا ينطقون بحجّةٍ نافعة و من نطق بما لا ينفع و لا يفيد فكأنّه ما نطق عليه السلام.

أقول معنىٰ الكلام ظاهر يستفاد من قوله لا يوذن لهم فيعتذرون، فالمعنىٰ لا كلام لهم لينطقوا به لأنّ الحجّة قد تمّت عليهم، أو المعنىٰ لا يوذن بالنّطق كما لا يوذن لهم بالإعتذار **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**.

هٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَ ٱلْأَوَّلِينَ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

هذا، إشارة إلىٰ يوم القيامة و هو اليوم الّذي هم فيه، يقول اللّه تعالىٰ هذا يوم الفصل، أي يوم الحكم بين الخلائق، و الفصل قطع غلق الأمور بتوفية الحقوق جَمَعْنَاكُمْ وَ ٱلْأَوَّلِينَ أي جمع اللّه تعالىٰ الّذين كذّبوا محمّداً صلى الله عليه وآله و الّذين كذّبوا النّبيين من قبله و بعبارةٍ أخرىٰ جمع اللّه المكذّبين من الأوّلين و الأخرين و ذلك لوحدة الملاك و هى التّكذيب و لا فرق فيه بالنّسبة إلىٰ جميع الأنبياء فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ أي حيلة في الخلاص من العقاب و الهلاك فَكِيدُونِ أي فكيدوني حذفت الياء لدلالة الكسرة عليه رعايةً للسّجع و المعنى فإحتالوا لأنفسكم و فيه توبيخٌ من اللّه لهؤلاء الكفّار و من لا يقدر من دفع العذاب من نفسه فهو علىٰ دفعه عن غيره أعجز و أضعف، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ثمّ بعد ذلك أشار اللّه تعالىٰ إلىٰ أحوال المتّقين.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ

أي أنّ الّذين إتّقوا معاصي اللّه و أتوا بطاعاته و طلبوا ثوابه فهم في ظلالٍ، و هو جمع ظلّ و هو الحجاب العالي المانع من كلّ أذى و المراد بالظّلال ظلال الأشجار و ظلال القصور فكان الظّل في الشُّعب الثّلاث (و عيون) و هى ينابيع الماء الّتى تجري في ظلّ الأشجار.

وَ فَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ

فواكه، جمع فاكهة و الفواكه ثمار الأشجار الّتى من شأنها أن تؤكل إذ قد يكون من الثّمر ما لا يؤكل كالثّمر المرّ فأنّه ليس من الفاكهة.

كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

أي يقال لهؤلاء المتّقين كلوا و أشربوا أي كلوا من الثّمار و أشربوامن العيون.

إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ

أي يثيب الّذين أحسنوا في إيمانهم باللّه و رسوله **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.**

كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ

هذا مردودٌ إلىٰ ما تقدّم قبل المتّقين و هو وعيدٌ و تهديدٌ و هو حال من المكذّبين، أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم.

كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا أنّكم مجرمون أي كافرون **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.**

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ

فالرّكوع هو الإنخفاض على وجه الخضوع و قد يعبّر به عن نفس الصّلاة و المراد به هاهنا الصّلاة و المعنىٰ إذا قيل لهؤلاء الكفّار صلّوا، لا يصّلون و قيل أنّه يقال لهم ذلك في الأخرة كما قال تعالىٰ: **يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**[1] و قيل يقال لهم ذلك في الدُّنيا.

و إنّما ذكر الصّلاة من بين الواجبات لأنّها فارقة بين الكفر و الإيمان **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.**

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ

و ذلك لأنّ القرأن أتى بأظهر البرهان فمن كفر به فليس ممّن يفلح بالإيمان بكلام غيره فأنّ من لم يؤمن بما فيه من المعجزة و هو القرأن كيف يؤمن بما ليس فيه إعجاز ك و هو ظاهر و الحمد للّه ربّ العالمين.

■

١- القلم = ٤٢

الفهرست

سُورَةُ ٱلْمُجَادَلَةِ ٩

الآيات ١ الى ٢٢ ..... ٩

اللّغة ١٢

الإعراب ١٢

التّفسير ١٣

سُورَةُ الحَشْرِ ٣٩

الآيات ١ الى ٢٤ ..... ٣٩

اللّغة ٤٢

الأعراب ٤٣

التّفسير ٤٣

سُورَةُ ٱلْمُمْتَحَنَةِ ٧٩

الآيات ١ الى ١٣ ..... ٧٩
اللّغة ٨١
الإعراب ٨٢
التّفسير ٨٢

سُورَةُ الصَّفِّ ١١١

الآيات ١ الى ١٤ ..... ١١١
اللّغة ١١٢
الإعراب ١١٣
التّفسير ١١٣

سُورَةُ ٱلْجُمُعَةِ ١٢٥

الآيات ١ الى ١١ ..... ١٢٥
اللّغة ١٢٦
الإعراب ١٢٦
التّفسير ١٢٧

سُورَةُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ١٤٧

الآيات ١ الى ١١ ..... ١٤٧
اللّغة ١٤٨
الإعراب ١٤٩
التّفسير ١٤٩

سُورَةُ ٱلتَّغَابُنِ ١٦١

الآيات ١ الى ١٨ ..... ١٦١
اللّغة ١٦٣
الإعراب ١٦٣
التّفسير ١٦٣

سُورَةُ ٱلطَّلَٰقِ ١٨٥

الآيات ١ الى ١٢ ..... ١٨٥
اللّغة ١٨٧
الإعراب ١٨٧
التّفسير ١٨٨

سُورَةُ ٱلتَّحْرِيمِ ٢٠٩

الآيات ١ الى ١٢ ..... ٢٠٩
اللّغة ٢١١
الإعراب ٢١١
التّفسير ٢١٢

■

سُورة المُلك ٢٣٥

الآيات ١ الى ٣٠ ..... ٢٣٥
اللّغة ٢٣٧
الإعراب ٢٣٨
التّفسير ٢٣٩

■

سُورة القَلَم ٢٥٩

الآيات ١ الى ٥٢ ..... ٢٥٩
اللّغة ٢٦١
الإعراب ٢٦٣
التّفسير ٢٦٣

■

سُورَةُ ٱلْحَآقَّةِ ۲۹۱

الآيات ۱ الى ۵۲ ..... ۲۹۱
اللّغة ۲۹۳
الإعراب ۲۹۴
التّفسير ۲۹۵

■

سُورَةُ ٱلْمَعَارِجِ ۳۱۹

الآيات ۱ الى ۴۴ ..... ۳۱۹
اللّغة ۳۲۱
الإعراب ۳۲۱
التّفسير ۳۲۲

■

سُورَةُ نوحٍ ۳۴۳

الآيات ۱ الى ۲۸ ..... ۳۴۳
اللّغة ۳۴۴
الإعراب ۳۴۵
التّفسير ۳۴۶

■

سُورَةُ ٱلْجِنِّ ٣٦٣

الآيات ١ الى ٢٨ ..... ٣٦٣
اللّغة ٣٦٥
الإعراب ٣٦٥
التّفسير ٣٦٥

■

سُورَةُ ٱلْمُزَّمِّلِ ٣٨٧

الآيات ١ الى ٢٠ ..... ٣٨٧
اللّغة ٣٨٨
الإعراب ٣٨٩
التّفسير ٣٨٨

■

سُورَةُ ٱلْمُدَّثِّرِ ٤٠٥

الآيات ١ الى ٥٦ ..... ٤٠٥
اللّغة ٤٠٧
الإعراب ٤٠٨
التّفسير ٤٠٨

■

سُورَةُ ٱلْقِيٰمَةِ ۴۲۷

الآيات ۱ الى ۴۰ ..... ۴۲۷
اللّغة ۴۲۸
الإعراب ۴۲۹
التّفسير ۴۲۹

■

سُورَةُ ٱلْإِنْسٰانِ(الدّهر) ۴۵۱

الآيات ۱ الى ۳۱ ..... ۴۵۱
اللّغة ۴۵۳
الإعراب ۴۵۴
التّفسير ۴۵۴

■

سُورَةُ ٱلْمُرْسَلٰاتِ ۴۷۹

الآيات ۱ الى ۵۰ ..... ۴۷۹
اللّغة ۴۸۰
الإعراب ۴۸۲
التّفسير ۴۸۲

■